

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2-

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة



رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة

فلسفة الأخلاق عند

محي الدين بن العربي

إشراف الأستاذ الدكتور:

ساعد خميسي

إعداد الطالبة:

سهام عراييبة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د. نورة بوحناش	أستاذ	رئيسا	جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2-
أ.د. ساعد خميسي	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2-
أ.د. فتيحة فاطمي	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2-
أ.د. عبد الحكيم فرحات	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر - باتنة-
د. الدراجي زروخي	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة المسيلة
د. مالك بن عباس	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة-

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

شكر وتقدير

استهل كلامي بتقدير وشكر عميقين لأستاذي
الدكتور ساعد خميسي الذي جعل كل تجربته
وخبرته مرآة مصقولة لنرى فيها أفكارنا .

وأنتي بشكر حار وتقدير الأستاذة الدكتورة
فاطمي فتيحة التي اتسع قلبها لقراءة عملنا وتتبع
جميع المراحل التي مر بها

المقدمة

مقدمة

يوجه العديد من الدارسين العرب والغربيين اهتماماتهم اليوم بالتراث العربي الإسلامي ولا سيما مجال التصوف، مركزين في المقام الأول على أكبر أقطابه "محي الدين بن العربي"، أبرز مشايخ الصوفية تحليلاً، وتعمقاً، مكنته سعة فكره، وقوة ذوقه من أن يختزل كل تجربة صوفية في أعماله، التي تمثل بوابة كبرى لمن أراد الدخول إلى عالم التصوف الإسلامي، ومعرفة كيف يتزكى من مرحلة الزهد، والتقشف، إلى مرحلة الكشف، هذا الارتقاء الذي يجتهد فيه الصوفي بكل إرادة خالصة إلى ربط العقل، والقلب، والعمل، والكشف بالأخلاق الشرعية بغية إصابة الحق، وبلوغ أعلى المقامات، ونيل درجة الكمال، ناقلاً بذلك التصوف من كونه مجرد رمز للحياة الروحية إلى علم المجاهدة القائم على السلوك العملي القويم، للطابع الأخلاقي فيه أثر بليغ، ليؤول التصوف بذلك إلى علم الأخلاق الباطنة المهتم بدراسة النفس الإنسانية، وليُعرف أصحابه بأهل الحق.

يطرح هذا العلم مواضيع بالغة الأهمية مثل طبيعة الجنون، والعشق، والحب الإلهي، والموت، والفناء، وغيرها من معاني الحس المدهش من الكلام البشري، الذي يبدو في ظاهره مضاد للفلسفة، لكنه يختزن في باطنه كل الفلسفات الممكنة، الجامعة لأنماط من التأملات، وأشكال من المقالات في المسائل الدينية، والأدبية، والأخلاقية، لذا احتلت حيزاً كبيراً من اهتمامات الدارسين وفي مقدمتها الأخلاق التي يدور في فلكها موضوع رسالتنا الموسومة بفلسفة الأخلاق عند "محي الدين بن العربي"، إن اهتمامنا المتزايد بالتصوف الأكبري يعود إلى جملة من الأسباب منها ما هو متعلق بالتصوف عند ابن العربي في حد ذاته، وما يطرحه من مواضيع ذات أهمية معرفية، وأخلاقية، والممتد تأثيرها إلى يومنا هذا، ما تترجمه غزارة كتبه، ومؤلفاته، التي كانت فضاءً واسعاً لإصدار العديد من الدراسات بلغات عديدة لآثاره، وأفكاره، والتي يصعب حصرها، زيادة على ما يعقد له من ملتقيات، وندوات على

مدار السنة في مختلف أرجاء العالم، وتعود علاقتنا بالتصوف الأكبري إلى سنوات ماضية خلت، بحثنا من خلالها موضوع "منزلة العقل عند محي الدين بن العربي"، مما أتاح لنا فرصة الاقتراب من فكره الصوفي أكثر لنستقر على جوهر فلسفته الأخلاقية، والتي بناها على ثنائية الظاهر، والباطن.

إن دراسة فلسفة الأخلاق عند ابن العربي سمحت بالتعرف على أن فكره لا يقتصر على مجال الذوق فحسب، إنما تجاوزه ليبدع في الأخلاق، لذا حاولنا البحث بخطى ثابتة في هذه الرسالة محاولين حل الإشكالية الآتية: ما طبيعة الفلسفة الأخلاقية عند ابن العربي؟ وكيف كانت أخلاق التوحيد عنده قاعدة متينة ينطلق منها لتفنيدها مناهج، وآليات علماء الكلام، والفلاسفة في الإلهيات؟ كيف أثبت ابن العربي أن الأخلاق معيار للعقل السليم؟ ما طبيعة الأسس الذي بنيت عليها الأخلاق العملية عنده؟ وأين تظهر أركانها؟ ما حقيقة الضوابط الأخلاقية عنده؟ وفيما تنحصر؟ وما الغايات المنشودة من وجودها؟ ما مدى حاجة الواقع العربي الراهن إلى الفكر الأخلاقي الأكبري حتى ينهض من جديد؟.

تُبرز إشكالية بحثنا مدى جدّة هذا الموضوع، فرغم كثرة الدراسات، والمقالات، والكتب المهمة بالفكر الأكبري لم تحظ مسألة الأخلاق عنده بالعناية الكافية في حدود علمنا رغم أهميتها الكبيرة في الوقت المعاصر، ومن هذه الدراسات رسالة "ساعد خميسي" حول الرمزية والتأويل في فلسفة ابن العربي الصوفية، وهي أطروحة دكتوراه دولة قدمت بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، وكذا أطروحة دكتوراه دولة التي تقدم بها "عبد الوهاب فرحات" المعنونة بنظرية الإنسان عند محي الدين بن العربي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، فالأولى حاول الباحث فيها الوقوف على الدوافع التي أدت بابن العربي إلى اعتماد الرمز، وكيف فتح له باب التأويل، والثانية انصب اهتمام دارسها على الأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر ابن العربي، وكذا التوغل في أصول نشأته وأسفاره ساعيا بذلك

التطرق إلى مسألة الإنسان الكامل عند ابن العربي، فوجدناها أعمالا لها بعض الصلة بموضوع رسالتنا، فرغم أنها انصبت في مجال التصوف عامة، وابن العربي خاصة إلا أن مسألة الأخلاق عنده طرحت كعنصر ثانوي في تلك الرسائل.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يمثل طرحا فلسفيا معاصرا باعتبار أن التصوف بوجه عام ميدان تشغله اهتمامات الإنسان الروحية والأخلاقية، ما يبرر وجوده دائما ضمن الاهتمام الفلسفي الراهن الذي رغم الأولوية التي أعطاها للإنسان إلا أنه عجز عن تغطية الفراغ الروحي الذي يشغل أعماقه، فأصبح كائنا ينزلق فوق سطوح الأشياء دون اليقظة إلى خوائه الباطن، وما زاد في أهمية هذا الموضوع أن "فلسفة الأخلاق عند ابن العربي" تحتوي على جانب أخلاقي محوري في بنائها الفلسفي العام تشكلها مجموعة من المبادئ، والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يفضي به إلى غاية مجدية، ويهدف هذا الموضوع إلى الكشف عن الفلسفة الأخلاقية عند ابن العربي، وكذا العمل على إبراز مكانتها بين غيرها من الفلسفات، خصوصا أنها آمنت بالأخلاق، ونادت بالمنزلة الرفيعة التي تحظى بها، ودورها الرائد في حياة الفرد، والجماعة، وهو الدور الذي لا يبرز إلا من خلال البحث في جوهر فلسفته الأخلاقية، وفي أساسها الأول، وأهم مقوماتها، وضوابطها التي كلما توفرت حققت غايات سامية، ومعاني ترسم للفرد آفاقا واضحة تجعله يسير على خطى ثابتة تتجسد في تحكمه في أفعاله بما يوافق الشرع.

ولتسهيل هذا العمل، وتحقيق أهدافه استعنا بمجموعة من المصادر، والمراجع التي اخترناها من بين كم كبير من المؤلفات يصعب اعتمادها جميعا رغم أهميتها لأسباب ذاتية، وأخرى موضوعية، منها مصادر ابن العربي الأصلية التي لا شك في نسبتها إليه، في مقدمتها كتاب الفتوحات المكية بطبعتين متكاملتين، الطبعة التي حققها "عثمان يحيى"، وطبعة "صادر"، إضافة إلى رسائل ابن العربي بطبعاتها المختلفة منها طبعة "حيدر آباد

الدكن"، وطبعة "دار الفكر"، زيادة على هذه الأعمال استعنا بمصادر ثانوية مساعدة على الشرح، والنقد كبعض تفاسير القرآن، وكتب اللغة، والطبقات، كما اعتمدنا على مؤلفات صوفية بارزة مساعدة دون شك على فهم النص الأكبري منها " كتاب قوت القلوب" لأبي طالب المكي، و"لطائف الإشارات" لـ "عبد الكريم القشيري"، بالإضافة إلى شرح "عبد الكريم الجيلي" للفتوحات المكية...

وللإجابة عن هذه التساؤلات وضعنا خطة تتألف من مقدمة، وخمسة فصول، وتمهيد لكل فصل، ففي المقدمة تطرقنا إلى أهمية البحث في النص الصوفي الأكبري، لما له من طابع روحي، وأخلاقي متميز ساهم دون تردد في توليد فلسفته الأخلاقية، كما أشرنا إلى الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، كما حددنا إشكالية تتألف من مجموعة من الأسئلة نحاول من خلالها الإجابة عنها وفق خطة واضحة، ومحددة بإتباع منهج معين مستعنيين في ذلك بمجموعة من المصادر، والمراجع، إلى جانب ذكر الصعوبات التي واجهتنا، وخاتمة لهذا العمل .

ففي الفصل الأول "أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات" شرعنا في الإجابة عن بعض الأسئلة المطروحة سابقا، وعلى جزء من الإشكالية عموما من خلال تناولنا أسباب رفض ابن العربي لمناهج، وآليات المتكلمين، والفلاسفة من أهل النظر في معرفة ذات الله، وتنزيهها، محاولين بذلك توضيح الحجج التي اعتمدها ابن العربي في تأسيس مشروعية هذا الرفض.

وخصصنا الفصل الثاني "أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي" لإبراز سمات هذا الموضوع فكان حول الأساس الذي أقام عليه ابن العربي العقل السليم، بتحديد مظاهر فساد، وسبب تفاضله عنده، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى تحديد طبيعة أخلاق أهل

الله عنده، وفي الفصل الثالث "أسس الأخلاق العملية عند ابن العربي" درسنا الأسس التي وجدها ابن العربي شرطاً في قيام العملية الأخلاقية، والتي ثبت أنها ظاهرة وباطنة.

وجعلنا الفصل الرابع من هذه الرسالة "ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي" حيزاً بحثنا فيه عن الضوابط الأخلاقية عند ابن العربي، فكشفنا عن أصولها، لنرسم بذلك الغايات الجوهرية من وجودها حسب ابن العربي، وجاء الفصل الخامس من الدراسة "حاجة الواقع العربي الراهن إلى الفكر الأخلاقي الأكبري (مشكلة الحداثة والتعليم أنموذجاً)" برهاناً على راهينية الفكر الأكبري وجدة هذا الموضوع من خلال حاجة الواقع العربي اليوم للاعتماد عليه حتى يتدارك ضعفه.

ولحل هذه الإشكالية المطروحة آنفاً من خلال فصول الدراسة الخمسة اتبعنا منهاجاً تحليلياً حاولنا من خلاله التوغل في النص الأكبري للوصول إلى مضامين فلسفته الأخلاقية، وفك ما احتوت عليه من رمزية رغم أن هذا التوغل صعب المنال في أغلب الأوقات، لعمق فكر ابن العربي وكثرة تفرعاته، كما اعتمدنا على المنهج المقارن لإجراء موازنة بين مواقف وأراء ابن العربي وغيره من المفكرين الصوفية، والفلاسفة، وعلماء الكلام، والمفسرين في المحاور التي أثارها إشكالية فلسفة الأخلاق عنده، حتى نثبت أن هناك نقاط تشابه واختلاف بينهما، لأثبت مدى أصالة الفكر الأكبري، وسلامة عقيدته، وحتى يثمر هذا المنهج وجب الاستعانة بمنهج آخر هو المنهج النقدي سواء بالاعتماد عليه فيما يطلق على ابن العربي من أحكام، واعتقادات روج لها خصومه ممن أساء فهم نصوصه، وهو ما يحتاج إلى طرح تساؤلات كثيرة تثري العمل، وتحرر الباحث من قيود الموضوع المبحوث.

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي كيفية التعامل مع هذا الزخم الهائل من النصوص الصعبة المليئة بالرموز، والألغاز، مع الكم الهائل من المراجع، والدراسات التي كتبت عن "الشيخ الأكبر" عبر فترات طويلة من الزمن دون انقطاع إلى يومنا هذا، ومكننا الإصرار

على مواصلة العمل في هذا الموضوع من وضع خاتمة نهائية للدراسة ككل احتوت النتائج التي أفرزها البحث في مسألة فلسفة الأخلاق عند محي الدين بن العربي.

الفصل الأول

أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

أولاً: أساس بطلان آليات المتكلمين في معرفة ذات الله وتنزيهها

1- قصور التأويل عن معرفة ذات الله

2- تعدد معاني اللفظ في اللسان العربي توجب رفض التأويل

3- عجز أهل النظر عن تنزيه ذات الله وصفاته

أ- مسألة أصل العالم

ب- مسألة قدم العالم

ج- مسألة خلق العالم

د- مسألة إختراع العالم

ثانياً: الأخلاق معيار تفاضل المؤولين عند ابن العربي

1- المؤولون على أساس العقل المجرد (أهل النظر)

2- المؤولون على أساس العقل والإيمان (أهل الظاهر)

3- المؤولون على أساس الكشف (المتصوفة وأهل العرفان)

ثالثاً: أسباب رفض ابن العربي للفلسفة من معرفة ذات الله

1- عجز الفلسفة عن الغوص في العلم الإلهي

2- قصور آليات الفلسفة في معرفة الله

أ- قصور العقل

ب- قصور الحس

أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

حرص ابن العربي¹ على ضرورة التمسك بمبادئ القرآن، والسنة قبل الشروع في أي عمل عقليا كان، أم ذوقيا مخافة الكفر والإلحاد، رافضا بذلك كل تصور عقلي عن معنى الألوهية، ومحاولة الربط بين الله والعالم، والله والإنسان، مادام أن العقل² خلق فقيرا³، وإن كان موجودا فوجوده به - سبحانه-، ومن كان موجودا بغيره فهو في حكم العدم⁴ ما يدفع

1 - وهو أبو بكر محمد بن علي، عربي الأصل، أندلسي المنشأ، من قبيلة حاتم الطائي، عرف بابن العربي وبألقاب محي الدين، والشيخ الأكبر، ولد بمدينة مرسية بالأندلس يوم 17 رمضان 28 جويلية 1165م، لما بلغ الستين من العمر كانت شهرته قد عمّت العالم الإسلامي فتنافس الملوك على إستقطابه، ولما إشتدت به آلام الشيخوخة التي ألزمته أن يستقر نزل في قلب سوريا التي كان يراها أطيب بلاد الدنيا مقاما، فوفر له القاضي محي الدين بن الزكي معاشه في دمشق، فرتب له كل يوم ثلاثين درهما، وأواه في منزله حتى توفي في ليلة الجمعة 16 نوفمبر 1240م فدفن بترية خاصة بأسرة ابن زكي في قرية الصالحية شمال مدينة دمشق على سفح جبل قاسيون:/ أسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، مصر، 1965، ص ص 93-94، وعودة ابن العربي من الغرب (الأندلس) إلى الشرق (سوريا) حفظت مؤلفاته ورفاته ولو بقي في الأندلس وحياته المترامنة مع نهاية الوجود العربي فيها لما أتاح الزمن فسحة لنشر كتبه:/ سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991، ص 9، وتصوف ابن العربي الذي رجح أنه كان عام 1184م لم يأتي ثورة على علومه السابقة بل جاء كمرحلة متقدمة تتوج مسلكه الفقهي، وحياته العقلية ليختلف بذلك عن الغزالي الذي كان تصوفه منقذ من الضلال:/ المرجع نفسه، ص 13.

2 - عرف ابن العربي العقل على أنه « جوهر فرد قائم بنفسه متحيز في مذهب وغير متحيز في مذهب...فعلمه متعلق بجميع المعلومات إلا علمه بالله تعالى»: / ابن العربي، الدرة البيضاء، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993، ص 14.

3 - أنظر منزلة العقل عند محي الدين بن العربي، عرابية سهام، منشورات ألفا للوثائق، ط 1، الجزائر، 2017

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، مراجعة إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، 1974، ص 263، بدأ ابن العربي في تصنيف هذا الكتاب بمكة عام 599 هـ، ثم قام في السنوات الأخيرة من حياته بكتابة نسخة ثانية من الفتوحات بخط يده، فرغ منها عام 636 هـ أي = قبل موته بعامين فيها زيادات على ما ذكره في نسخته الأولى:/ ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 28، ويعود الفضل إلى الأمير عبد القادر الجزائري (1808-1883م) الذي لولاه لما عرف المعاصرون النص الكامل للفتوحات المكية لابن العربي، ثم قام عثمان يحيى بإصدار طبعة محققة غير كاملة من الفتوحات المكية لتكون بذلك الطبعة الوحيدة الكاملة وغير المحققة هي تلك التي قام بها الأمير عبد القادر:/ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفا عن كلام خاتم الأولياء، دار قباء للطباعة والنشر، د ط، 2000، ص 9، لذا نجد "عثمان يحيى" يستهل طبعته

أي مهتم بدراسة فكر ابن العربي إلى معرفة كيف كانت نظريته لاجتهادات أهل النظر في محاولة إدراك العلم الإلهي، من خلال تسليطه الضوء على أسباب ضعف المناهج العقلية عند هذه الفئة من المفكرين، وما جعلهم عرضة للشك في نتائج أحكامهم سواء أعلق ذلك بمجال علم الكلام، أم الفلسفة باعتبارهما من أبرز الميادين التي نشط فيها أهل النظر، فما هو موقف ابن العربي من الكلام في ذات الله وصفاته؟ وكيف كان تقييمه لأكثر مناهج علم الكلام ممارسة أي التأويل؟ ما هي مراتب المؤولين عنده؟ وما غاية ابن العربي من هذا الترتيب التفاضلي؟ ما هي البراهين التي أسس عليها ابن العربي موقفه لدحض التأويل وإسقاط مهمته؟ وهل يبطل التأويل عنده يلغي باقي مناهج المتكلمين؟ ما موقفه من الفلسفة؟ وهل كان انتقاده لها شهادة تحسب للفلاسفة أم ضدهم؟، هل الموقف الوسطي الذي اتخذه من هذه المعارف بإبراز محاسنها ومآخذها مشروع، وله مناصرون على الصعيد الفكري الإسلامي؟ وما أهم النتائج التي يمكن تحصيلها من خلال هذا الطرح؟ وهل يمكن اعتبارها دليل بارزاً على سلامة عقيدة ابن العربي الذي طالما رافقته جارحة الداعي إلى الإتحاد والحلول...

أولاً: أسباب بطلان آليات المتكلمة في معرفة ذات الله وتنزيهها

1- قصور التأويل عن معرفة ذات الله

ثبت عند ابن العربي أن الأسماء الإلهية نسب، وإضافات ترجع إلى عين واحدة، لا يصح أن نعتبرها أعياناً زائدة، لا يكون الإله إلا بها كما اعتقد بعض النظار. لأنه لو ثبت هذا لكانت الألوهية معلومة¹، فالأسماء، والصفات ليست أعياناً، إنما وجدت للدلالة عليه، والإيمان به، وهو ما أكد عليه ابن العربي بقوله: «الصفات نسبا وإضافات... وما ثم إلا ذات

المحقق للفتوحات دائماً بقوله إلى رب السيف والقلم، الأب الروحي الأول للثورة الجزائرية الخالدة "الأمير عبد القادر الجزائري" تلميذ "الشيخ الأكبر" في القرن 19، وناشر الفتوحات المكية لأول مرة.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 60

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمنقلسفة في الإلهيات

واحدة من جميع الوجوه»¹. واعتبارها عين الذات، سوء أدب مع - الخالق - وطلب للمحال لأن «العلم الإلهي أوسع من أن يستقصى»²، فهو بعيد من أن تدركه علوم الفكر، إنما هو من اختصاص علوم التلقي والتدلي، فالأولى تحصل بالكشف، والثانية هي المجالسة، أي القرب الإلهي³ في نطاق الزمان والمكان⁴، لذا فما الحاجة من الغوص في العلم الإلهي مادام أنه لا يقبل الكثرة، ولا الترتيب، ما جعله غير مكتسب، ولا مستفاد⁵، ما جعل أهل الله لم يضيعوا وقتهم وأعمارهم في مثل هذه البحوث، إنما قطعوها في طاعة - الخالق -، والامتثال لما شرّعه. لأن معرفة الإنسان بنفسه قاعدة ينطلق منها لمعرفة ربه⁶.

وضح ابن العربي على أنه لا يجوز السؤال عن ماهية - الخالق -، مادامت الماهية تفيد الحد، والخالق - تعالى - لا حد له، علما أن أي حد مكون من جنس وفصل وهذا محال مع الله، لأن ذاته غير مركبة، فما الجنس والفصل إلا في معرفة وإدراك العالم، وما فيه من الموضوعات، والمخلوقات وهذا يمنع إطلاقا مع الله، لأنه لا مناسبة بين الله والعالم، ولا مشاركة بين الصانع والمصنوع⁷. فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁸.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 67

2- المصدر نفسه، ج 3، ص 79.

3 - القرب الإلهي: هو القرب من طاعته والمواظبة على أوقات عبادته، وعكسه البعد وهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، تحقيق عبد الحميد محمود ومحمود دينا شريف، دار المعارف، د ط، د ت، ص 192، والقرب الإلهي عند ابن العربي على وجهين، عام ويسميه التجلي الخَلْقِي أو القرب الإلهي للعالم، ويكون لأن الله قريب من جميع مخلوقاته، لأنه خالقهم، وحافظهم، ورازقهم، والمحيط بهم، أما القرب الإلهي الخاص والمسمى عنده التجلي اللطفي، وهو ظهور إلهي مقدس في حياة الأنبياء، والأولياء الذين إصطفاهم بحبه، واجتباهم بمشيتته: / ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 35

4- المصدر نفسه، ج 3، ص 109.

5 - المصدر نفسه، ج 3، ص 111

6 - ابن العربي، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي، ج 1، دار الكتاب العربي، د ط، د ت، ص 215

7 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 219.

8 - سورة الشورى، الآية 11

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

مبيننا أن الشرع قد قدم دليل نفي التشبيه، وإثبات التنزيه من خلال وضع الألفاظ المباحة إطلاقاً على الذات الإلهية، وما على العبد إلا التلفظ بها، وهذه صورة من صور طاعة الله - تعالى -.

دعا ابن العربي كل من أراد الحفاظ على عقيدته، وسلامة دينه من أن يتلفظ الكلمة من غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان، كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العربي وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه، وله أجر التلاوة¹، تأكيداً من "الشيخ الأكبر" على رفضه تأويل تلك الألفاظ، لإيمانه بأن الأسلم، والأولى في حق العبد أن يرجع ذلك العلم إلى الله - تعالى -، فما كانت الآيات المتشابهة إلا ابتلاء من الله لعباده، نهاهم عن تتبعها، والحكم عليها لأن « التأويل لا يعلمه إلا الله، وما الراسخون في العلم أن علموه فبإعلام الله، لا بفكرهم، واجتهادهم. فإن الأمر أعظم أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي»²، لهذا كان التشريع من خصائص النبوة³.

يعتبر ابن العربي أن إطلاق لفظ "صفة" أو "تعت" على أسماء الله - تعالى - هي تجاوز، وسوء أدب على أساس أن الخالق ما أطلق على ذلك إلا "اسم" فقال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾⁴، ﴿بُذِّكْ اسْمُ رَبِّكَ﴾⁵، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾⁶، لذا قال - تعالى -: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁷، بهذا يكون الخالق قد نزه

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3 ، تحقيق عثمان يحيى، ص 223.

2 - المصدر نفسه، ج 3، ص 224.

3 - المصدر نفسه، ج 3، ص 251.

4 - سورة الأعلى، الآية 1.

5 - سورة الرحمن، الآية 78.

6 - سورة الأعراف، الآية 180.

7 - سورة الصافات، الآية 180.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

نفسه عن الوصف لفظاً ومعنى¹. وقد أفلح أهل الله حسب ابن العربي عندما التزموا الأدب² مع الخالق - جل وعلا-، واحترموا حدوده، « فلا يسمونه إلا بما سمي به نفسه، ولا يضيفون إليه، إلا ما أضاف إلى نفسه»³، فأشار ابن العربي إلى أن الخالق قد عرفنا على أدب رسله، وأوليائه الصالحين في التزامهم حدود الله خشية منه، ومرضاة له، كي نقفدي بهم إذ قال - تعالى - : عن "إبراهيم خليله" ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾⁴، ولم يقل "يجوعني"، ولم يقل "أمرضني"، إنما هو "يشفيني"⁵، بمعنى أنه أضاف الشفاء إلى الله والمرض إلى نفسه. كما قال - تعالى - : عن عبده "الخضر" في خرق السفينة ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴿٦﴾﴾⁶، تنزيهاً من أن يضيف إلى الجنب - العالی - ما ظاهره ذم⁷، كما استعان ابن العربي بما ورد في السنة الشريفة منه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأحد الخطباء عندما جمع بين الله - تعالى - ورسوله - الكريم - في "ضمير واحد: « قُمْ أَوْ: أذهب - بنس الخطيب أنت»⁸.

- 1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 268.
- 2 - الأدب: هو إجتماع جميع خصال الخير لقلوبه: صلى الله عليه وسلم « إن الله أدبني فأحسن تأديبي»: /السخاوي محمد عبد الرحمان، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1985، برقم: 45، ص 73. فقيل أن التوحيد موجب بوجوب الإيمان فمن لا إيمان له فلا توحيد له، والإيمان بوجوب الشريعة فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد، والشريعة موجب بوجوب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له، ولا إيمان ولا توحيد. لذا ثلاثة خصال ليس معهن غربة مجانية أهل الرّيب، حسن الأدب، وكف الأذى: /القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 2، ص ص 446-447.
- 3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 270.
- 4 - سورة الشعراء، الآية 78-79.
- 5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 270.
- 6 - سورة الكهف، الآية 79.
- 7 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 272.
- 8 - أبو داود سليمان، سنن أبي داود، (2) كتاب الصلاة، (229) باب الرجل يخطب على قوس، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، 2007، برقم: 1099، ص 189.

رفض ابن العربي الغوص في العلم الإلهي، بوسيلة العقل لأنه قاعدة فاسدة لبلوغ هذه المدارك¹، لذا من الواجب أن نتعامل مع الذات الإلهية إلا بتوظيف الألفاظ والأسماء التي سمح، وصرح الله - تعالى - بها في تنزيله الحكيم، أو ما أمر به رسوله، أو من أتاه علما من لدنه²، ومن افتقر إلى السبيلين فهو قاصر، عاجز عن إدراك مثل هذا العلم، وما بدر منه من تأويل عقلي لا يخرج عن حدود سوء الأدب، ولا يوصف إلا بالذم، فمن خاف ذلك فله في - رسول الله - أسوة حسنة، فما نطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى، فمن أطاع الله ورسوله فقد أفلح، ومن عصاهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا. إن إتساع العلم الإلهي جعل مهمة البرهان والتأويل فيه باطلة، لأن العقول قاصرة³ عن إدراكه، ففساد الوسيلة ينجم عنها فشل في الوظائف، فيقول - تعالى - ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾⁴. بين "الشيخ الأكبر" أنه حتى إذا اضطر المؤول أن يؤول لفظ: "وجه الله" مثلا، يكفيه أن يقول: « الناظر له وجه لا يعلم إلا الله»⁵، بحكم عجز العقل عن بلوغه وهذا من وجهة نظر ابن العربي ترويضاً للنفس، وتهذيب لها، بدل إقحامها في متاهات، وحسب اعتقاده أن هذا الإلتزام الأخلاقي مع حدود الله لا يؤديه إلا «المؤمن العاقل، وأن غير المؤمن فلا يقبل شيء من ذلك»⁶، لذا كان الواجب التقيد بالتسليم بدل التأويل مادام أن -الحق-

1- **C-Chitick William**, the death and the world of Imagination Ibn Arabis eslamolygy in the muslim world volume:LXXVIII N° 1 Published by the Duncan Black Machdonald center at Hartford Seminary Janury 1998, Page 52.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 275.

3 - **C-Chitick William**, the death and the world of Imagination Ibn Arabis eslamolygy in the muslim world, IPT, P81.

4 - سورة المؤمنون، الآية 117.

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 336.

6 - المصدر نفسه، ج 3، ص 336.

« وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسله، مما يجب الإيمان به... ولا يقبله العقل بدليله على ظاهره، إلا أن تأوله بتأويل بعيد في إيمانه، إنما هو بتأويله لا بالخبر...»¹.

شك "الشيخ الأكبر" في التعريف الإلهي الذي يقدمه العقل، بحجة أن أصحاب العقول يختلفون في مقالاتهم بقدر اختلافهم في أفكارهم، لهذا فمعرفة الخالق - تعالى - بالعقل المجرد من الإيمان، يجعل معرفته هذه عرضة للتشبيه، والتمثيل مادام أن العقل لا يدرك إلا بالبرهان، والبرهان بحاجة إلى موضوع، ومعطى ينطلق منه للإثبات، ما جعل مهمة التأويل باطلة، حتى لو كانت الطائفة المؤولة مسلمة، حيث يقول: « والعقلاء اختلفت مقالاتهم في الله على قدر نظرهم... فاختلقت حقيقة الله بالنظر إلى كل عقل وتقابلت العقول، وكل طائفة من أهل العقول تجهل الأخرى بالله، وإن كانوا الإسلاميين المتأويلين، فكل طائفة تكفر الأخرى»²، مبرزاً أن المتشابهات كثيرة لأن الله - تعالى - وصف نفسه بكثير من صفات المخلوقين، من وجه، وعين، ويد... إلخ « يقبلها المؤمن من غير تأويل، وبعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل يضطره إليه إيمانه»³، ما دفع بابن العربي إلى التأكيد بأن العلم الإلهي واسع جداً، ما جعل الأعيان عاجزة عن إدراكه، فكانت « المثالية أمر معقول متوهم»⁴.

نهل ابن العربي في تأسيس موقفه من التأويل من ينبوع الشرع، هذا الأخير الذي أكد وبين أن التأويل الحقيقي يعود إلى الخالق - عز وجل -، وأما الذين يريدون الفتنة فيتبعون ما تشابها منه قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 336.

2 - المصدر نفسه، ج 3، ص 337.

3 - المصدر نفسه، ج 3، ص 339.

4 - المصدر نفسه، ج 3، ص 345.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾¹

والألباب (٧) ، وهذا ما أكد عليه ابن كثير (700هـ-774هـ) في تفسيره، إذ بين أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب، بينات، واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، وآيات أخرى فيها اشتباه في الدلالة، فمن رد ما تشابها من القرآن إلى الواضح أي " المحكمات"، وحكم ما حكمه على المتشابه عنده فقد اهتدى، ومن فعل عكس ذلك فقد ظل، لأن المتشابه منه قد يحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ، والتركيب لا من حيث المراد².

بين ابن العربي أن من أراد التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول إليه فذلك حق مثل قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾³، والمقصود تفسير الرؤية التي رآها سيدنا يوسف - عليه السلام -، حيث تحققت في الواقع، أما الذين زاغوا عن الحق، وابتغوا الفتنة من المتكلمين، على إختلاف مذاهبهم، وأقوالهم فقد ضلوا ضللا مبينا، وهم كثر من أهل النظر، حيث روى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة، وأن أمتي ستفتقر على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»⁴، لذا نجد أن "الشيخ الأكبر" لم يرفض كل مناهج المتكلمين، إنما تبين من موقفه أنه مؤيد لطريقة التفويض فيه والمعروف عنه ترك أمر التأويل بيد الله، وذلك أن القضايا التي يبحثها المؤولون فوق مستوى العقل، والحجة في التفويض أن أمورا خاصة جاءت عن طريق الوحي، وهي تتضمن أسرار إلهية يعجز العقل

1- سورة آل عمران، الآية 7.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1، 1997، ص 6-7.

3- سورة يوسف، الآية 100.

4- القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (36) كتاب الفتن، (17) باب إفتراق الأمم، تعليق ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، د ت، برقم: 3993، ص 659.

عن إدراكها، أو فهم مكنونها فلو كان العقل قادراً على ذلك لما احتاجت البشرية إلى وحي، وأنبياء، فهذه الأمور الإيمان بها واجب، وهذا مضمون التفويض مادام الغيب لا يعلمه إلا الله، لقوله -تعالى-: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾¹.

نؤمن بالعلم الإلهي عند ابن العربي، ولا نبرهن عليه، لأن العقل عاجز عن إدراكه، وهذا ما يوجب معنى التفويض، لذا وضع ابن خلدون (1332-1406م)، وإعترف كذلك بإيمانه بالعقل كاستعداد لتحصيل المعرفة، وبلوغ المدركات، لكن في مجال محدود، لأن العقل لا ينال الموضوعات، التي تخرج عن ولايته كمسألة الألوهية، وما تفرضه من علوم، ما جعل ابن خلدون، ومن قبله ابن العربي يوجب عدم الإغترار بنعمة العقل، وإستعماله في كل المجالات ما دام له حدود، فالاحتكام إليه في أمور تتجاوزه، قد تزعج العبد، وتنتشر في نفسه الإضطراب، وفي قلبه البلبلة، لذا فضل ابن خلدون بدوره تفويض الأمر لله - تعالى - في هذا النوع من المسائل الخاصة، لأن العقل إستعداد غير كاف للخوض في الماورائيات، فهو ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أننا لا نعول عليه في تقدير أمور التوحيد²، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، كونها ما وراء طوره، والغيوب «لا تدرك بصناعة ألبتة، ولا سبيل إلى تعرفها إلا للخواص من البشر المفطورين على الرجوع من عالم الحس إلى عالم الروح»³.

حاول ابن خلدون إبطال اعتقاد أهل النظر، في أن لديهم القدرة الكامنة في العقل على الإحاطة بأسباب الوجود، والوقوف على تفاصيله، وجعلها من سفه الأمور، فمن تجاوز حدود الله في ذلك فلقد تاه وهام في واد لا يظفر فيه بحقيقة، لذا كان من رحمة الله بعباده

1- سورة الجن، الآية 26.

2- التوحيد هو توحيده لنفسه بنفسه عن نفسه، وهذا التوحيد لا سبيل إليه إلا بالفناء:/ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفا عن كلام خاتم الأولياء ، ص 50.

3- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، تحقيق عبد الله محمد الدرويشي، دار يعرب، ط1، 2004، ص 230.

أمرهم بالتوحيد المطلق، القائم على الإيمان الصادق، لا البرهان العقلي، لأن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي، فإن ذلك من حديث النفس¹، وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس².

إن الحديث في هذا المجال يدفع إلى إدراج مسألة انفصال الأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري (ت 935م) عن المعتزلة عندما تبرأ زعيمها من المذهب الاعتزالي الذي كان ينتمي إليه، حيث يقول: «كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار... وأنا تأنب مقلع، معنقد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائحهم، ومعائبهم»³، حتى قيل: «كانت المعتزلة قد رتعوا رؤوسهم، حتى أظهر الله الأشعري فجرحهم في أقماع السمسم»⁴، فتطرفهم في مذهبهم العقلاني في تصور الله، وخلص الإنسان جرح ولا بد عاطفة الأشعري، وعز عليه أن يرى الألوهية وقد صارت موضوعاً للنظر العقلي⁵، فحاول بذلك الرجوع إلى مذهب السلف، ويعلن إنتهاجه منهج التفويض، ويظهر هذا من خلال المناظرة الشهيرة بينه، وبين

1 - النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحب والحركة الإرادية وهي على ثلاثة مراتب: النفس الناطقة: وهي المشار إليها في القرآن الكريم بالشجرة الزيتونية المباركة لا شرقية ولا غربية، يرتقي بها الإنسان في رتبته ويركته لأنها ليست من شرق عالم الأرواح المجردة، ولا من غرب عالم الأجساد الكثيفة. النفس الأمارة بالسوء: هي الميالة إلى الطبيعة البدنية الأمرة باللذات والشهوات، تجذب القلب إلى الجهة السفلية والشر ومنبع الأفعال السيئة: / الكشاني عبد الرزاق، معجم إصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شهين، دار المنار، ط 1، 1992، ص 115.

النفس اللوامة: هي التي تتورت بنور القلب عندما بدأت بإصلاح حالها فكلما صدرت منها سيئة بحكم فطرتها وسجيئتها الظلمانية تداركها نور التنبيه الإلهي، لهذا نوحا الله بذكرها فقال: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ / سورة القيامة، الآية 2.

النفس المطمئنة: هي التي تم تنويرها بنور القلب حتى إنخلعت عن صفاتها الذميمة: / الكشاني عبد الرزاق، معجم الإصطلاحات الصوفية، ص 116. خاطبها الله -تعالى- بقوله ﴿يَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً

﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ / سورة الفجر، الآية 27-30.

2 - الكشاني عبد الرزاق، معجم الإصطلاحات الصوفية، ص 460.

3 - ابن خلكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د ط، د ت، ص 284.

4 - المرجع نفسه، مج 3، ص 286.

5 - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط 1، بيروت، 1987، ص 60.

أستاذه المعتزلي "الجبائي أبو علي" (ت 915م)، والتي تبرز ملامح الجدل الفلسفي حول مسألة العدل الإلهي، ومراعاة الأصلح، وقضاء الله وقدره، وهي ملامح تحمل في ثناياها تحكيما واضحا للعقل، من حيث مقابلة الصورة البرهانية، بصورة برهانية أخرى تناقضها، ومن حيث توظيف الإستدلال المنطقي، بما ينطوي من نقد واعتراض، وتحليل، وتركيب. ما يجعل علم الكلام لا يعد علما عقائديا خالصا، إنما هو صورة من صور الفكر الإسلامي، ظهر بحكم العوامل الدخيلة في الأساس، سواء تعلق ذلك بتفسير المحكم، والمتشابه من الآيات القرآنية، أو محاولة لتبرير، وفهم الحكم السياسي بعد مقتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-، فالنشاط الكلامي لا يجدر به أن يكون في مسائل حساسة مثل: وجود الله، والنعيم، والجحيم، الطاعة، والمعصية لأنها قضايا لا تصلح لتكون موضع جدل، ولا معطى لعلم عقلي ينطلق من معطيات حسية ليجيد البرهنة، فخير الناس من استقرت نفسه إلى تصديق ما جاء به القرآن الكريم، وسكن قلبه إلى الإيمان، ولم تنازعه نفسه إلى طلب الدليل، تفويضا من الله - عز وجل - له، وتيسيرا لما خلق له من الخير والحسنى¹، لقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾².

أكد ابن حزم (994م-1064م) على غرار ما ثبت عند ابن العربي أن التردد في التصديق، والتسليم بالعلم الإلهي يفتح باب الكفر والضياع، ما جعله يقسم الناس إلى فئتين: فئة ضلت لما عندت وجهرت، فكفرت وطالبت بإقامة الدليل العقلي للإيمان بالغيبات، أما الثانية فهي من وقَّها الله للتصديق بما جاء به الإسلام دون طلب الدليل فسمَّاهم ابن حزم

1- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، ط

2، بيروت، 1996م، ص 70.

2- سورة الأنعام، الآية 125.

بالمعتقون للإسلام بلا معرفة بإستدلال¹، لذا نجد حقيقة إستحالة الإمام بالعلم الإلهي محور التف من حوله الكثير من مفكري الإسلام، إذ نلاحظ أن "الباقلائي أبو بكر"² (ت 1013م) بدوره انتقد من طلب العلم الإلهي بالعقل، ففي كتابه "التمهيد" صنف العلوم إلى صنفين: العلم القديم: وهو علم الله - تعالى - وليس بعلم ضرورة ولا استدلال، تأكيداً على ما قاله الشيخ عندما نفرّ من إستبدال التسليم في الإعتقاد بالتأويل وطلب البرهان، أما الثاني فهو: العلم المحدث: وهو كل ما يعلم به المخلوقون من الملائكة والجن والإنس وغيرهم من الحيوان³، لذا وقع بعض أهل النظر في الغلط، وفساد تأويلاتهم عند إستعمالهم للألفاظ المشتركة بين -الخالق- والمخلوق، رغم أنها ألفاظ كلها متباينة، وإن اشتركت في النطق⁴، وأن -الخالق- عندما نطق بألفاظ محددة للزمان، والمكان، والجهة، وبعض صفاته، كي يؤمن العقل، ويتدبر فيها النظر، لا أن يتصرف فيها على أنها دالة فعلا عليه -سبحانه-.

2- تعدد معاني اللفظ في اللسان العربي توجب رفض التأويل

يقبل اللفظ في اللسان العربي أكثر من معنى، ما يجعل المؤول عرضة للغلط، لأنه تعدى على الله - تعالى - حيث حمل عليه -سبحانه- ما لا يليق به، ودليل ذلك أن العرب تقول: ما أحسن إصبع فلان على ماله أي أثره فيه، ونريد به نمو ماله لحسن تصرفه فيه⁵، وللتأكيد على صحة رؤياه استعان ابن العربي بقول: النبي - الكريم - «إن قلوب بني آدم كلها

1- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، ص 77.

2- هو أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلائي، لكن جرت العادة من زمان بعيد بتسميته الباقلائي بإسقاط "ابن:"/الباقلائي أبو بكر، التمهيد، صححه رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة المشرقية، د ط، بيروت، 1957م، ص 19.

3- المرجع نفسه، ص 7.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 70.

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 105.

بين إصبعين من أصابع الرحمان، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»¹، فلا يجوز هنا حسب "الشيخ الأكبر" إخراج معنى الإصبع من المجاز إلى الحقيقة، لأن الإخراج يعد جارحة على الله - تعالى - علما أن لفظ إصبع يحتمل أكثر من معنى، إذ يتضح أنه دال على معنى النعمة في البيت الموالي²:

ضعيف العصى بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعها

قصد ابن العربي من اعتماد هذا الدليل، إثبات صحة دعواه في أن تعدد المعنى للفظ الواحد في اللسان العربي يرافقه وجوب الإمتناع عن التأويل، والسكوت عن الخوض فيه، وتوكيل أمر هذا العلم إلى الله - تعالى -، أو إلى رسول مرسل، أو إلى ولي ملهم³، مؤكداً أن هذا الامتناع هو صد لفضول كل مجسم، مثبته، كما استعان ابن العربي بكلمة "النسيان" الواردة في سورة التوبة أين قال - تعالى - ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾⁴، حتى يظهر أثر تعدد معاني الكلام في العربية في فشل التأويل، وأن كل من تجاهل هذه الميزة وقع في التجسيم، جراء غلط تأويل هذا اللفظ، لأن الله - تعالى - منزه عن هذا الفعل إنما نساها فكل مجسم يقع في غلط تأويل هذه الكلمة، مادام الله لا يجوز عليه فعل النسيان.

تفسر كلمة النسيان المذكورة في الآية الكريمة سألقة الذكر إستنادا لتفسير ابن كثير على أنها تُعبر عن معاملة الله - سبحانه وتعالى - للذين نسوا ذكره معاملة الخارجين عن

1- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (46) كتاب القدر، (03) باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، وشركة ابن باديس للكتاب، ط 1، الجزائر، 2010، برقم: 2654، ص 758.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 104.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 106.

4- سورة التوبة، الآية 67

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

طريق الحق، الداخلين في طريق الضلالة¹ فعذبهم عذاب الأبد، ولم تتلهم رحمته - تعالى - فصاروا كأنهم منسيون، فالنسيان هنا حسب ابن العربي هو عذاب من الله لأولئك الذين نسوه في الحياة الدنيا، فجزاهم بما كانوا يفعلون²، موضحاً أنه قد يكون معنى النسيان الواردة في الآية هي آخرهم، ومعنى نسوا الله أي أخروا أمر الله، ولم يعملوا به³، فالتعامل مع ظاهر الآيات حماية من الوقوع في الغلط، وحفظ للدين عممه ابن العربي على أمثلة عديدة منها قوله - تعالى -: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾⁴، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾⁵، فكل الأفعال الواردة في الآيات لا تجوز على الخالق، إنما استخدمت للتأكيد على مجازات الخالق - تعالى - لأفعال المخالفين له - عز وجل -، لأنه منزه عما نسبه إليه الظالمون⁶.

نبه ابن العربي على أن التماثل الوارد في القرآن لغوي، أي مجازي غير حقيقي، لا عقلي، لأن التماثل العقلي تستحيل على الله - تعالى -⁷، وأن كل الأغاليط التي وقع فيها المؤولون سببها الجهل بالعربية، والبلاغة، ومعاني البيان والبديع، وعدم الإمام بقواعد اللسان العربي، الذي جرت عليه نصوص القرآن، والسنة، وتخريج ما ورد فيها على لسان آخر، يخرج صاحبه، مادام القرآن نزل بلسان عربي، ولم تأت السنة إلا على مصطلح العرب، ومذاهبهم في المحاور، والتخاطب، والمحاجة، والاستدلال لقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁸.

- 1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص ص 172-173
- 2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 112.
- 3- المصدر نفسه، ج 2، ص 112.
- 4- سورة التوبة، الآية 79.
- 5- سورة البقرة، الآية 15.
- 6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 114.
- 7- المصدر نفسه، ج 2، ص ص 114-115.
- 8- سورة إبراهيم، الآية 4.

إن محاولة فهم النص الديني، وإخراج ما ورد فيه من نصوص دون الإلتزام بحدود الشرع جهل، وضلال لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: « لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم من المال فيتحاسدوا، فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذهم المؤمن بيتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله...¹»، لذا ذم ابن العربي تصور كل من توهم القدرة على فهم العلم الإلهي بإعتماد العقل، ما يجعل مهمة الربط بين علم الأنبياء، وعلم الفلاسفة أمر غالط لاختلاف هؤلاء عن هؤلاء، ما يشجع كل صاحب عقل مؤمن، ومصداق بوحدانية خالقه، أن يمتنع عن الغوص في هذا العلم، إنما يجتهد في التسليم به، والمشى وراء ما جاءت به الرسل.

يعرف فضل القرآن الكريم كل من صح نظره، واتسع علمه، وفهم قوانين اللغة العربية، وأساليبها، خاصة إذا عرف أنه لم تحظ أي أمة من الأمم بلغة كلغة القرآن، بما فيها من تعارض، وبيان، واتساع المجال، تأكيدا على قوة الكتاب -الكريم-، فالمولى عز وجل - جعل لكل نبي معجزة تقوم عليها نبوته، كعيسى بن مريم - عليه السلام - الذي يحيى الموتى، ويخلق الطير من الطين، وكان لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لن يأتوا ولو كانوا من أعلام البيان، فالخطيب في اللسان العربي إذا ما أراد أن يقول كلاما في الصلح أو المدح، لا يعتمد على نوع واحد من الخطاب، إنما يختصر تارة، وأخرى يطيل، يكرر من أجل التوكيد، يخفي بعض المعاني حتى تصعب على بعض السامعين، ويكشفها حتى يفهما البعض الآخر، علما أن العناية بالكلام تكون حسب الحال، فكل حسب القدرة، والحال، والمقام²، لذا يقوم اللسان العربي على

1- الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، ج3، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط 2، القاهرة، د ت، برقم: 3442، ص 332.

2 - المقام: ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع التصرف ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاسات التكلف، لذا يؤكد الغزالي أنه لا بد لكل مقام من علم وعمل وحال، فالمقام يثمر علما، والعمل يثمر حالا، لأن حركات الأجسام تابعة لحركات القلوب، جارية بحركات الأجسام:/القشيري، الرسالة القشيرية، ج 1، ص 153.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

ثمانية وعشرون حرفاً، على خلاف باقي الأمم، ما يجعل الاختلاف الوارد يُوجِبُ ضرورة احترام طبيعته، ومجازاته الكثيرة في الكلام من الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والإخفاء، والإظهار، والإفصاح، والكناية...

تأكيداً على أن صعوبة الإلمام بجميع معاني اللفظ تُوقِعُ في الغلط، وتُوهِمُ المؤول بأنه على صواب في ما أول، أشار ابن العربي كيف شق على الصحابة - رضوان الله عليهم - قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾¹، فرغم كونهم من العربي الذين نزل القرآن بلسانهم، ما عرفوا مقصود الحق من الآية²، فقالوا يا رسول الله: فأينا لم يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح³ ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁴، فالله - تعالى - إنما أراد بالظلم هنا الشرك⁵، بهذا تكون الطائفة الأحق بأمن الله من عذابه يوم القيامة هي الطائفة التي أخلصت العبادة لله وحده لا شريك له، ولم تشرك به شيئاً⁶.

إن قوة الكلمة في اللسان العربي تجعلها عامة، تضم مقاصد عديدة تختلف باختلاف المقامات التي تذكر فيها، لذا حذر ابن العربي من خطورة اشتراك - الخالق - والمخلوق في لفظ واحد، والواجب إحداث المفارقة بين الخالق - تعالى -، وعبده، ليس في المكانة فحسب، بل حتى في طبيعة الألفاظ المشاركة، والمستعملة، ومثال ذلك لا يجوز أن نطلق كلمة ملك على إنسان لأن الملك من أسماء الله واجتناب استعمالها أدباً، وحرمة، وورعاً مع الله - تعالى -⁷. فمن الواجب أن

1 - سورة الأنعام، الآية 82.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 296

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 294

4 - سورة لقمان، الآية 13

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 296.

6 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 294.

7 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 75.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

نطلق على الإنسان كلمة **سلطان** بدل الملك، ويطلق على الرسل الذين ليس برسول من عند الله لفظة **"الورثة والترجمان"**¹، لأن لفظ **"الرسول"** يصدق على رسل الله الحاملين لرسائله السماوية الإلهية، والمبشرين بها، ما يفرض لزوم الأدب مع من عرفنا الله أنهم أعظم منا منزلة عنده²، لذا دعا ابن العربي كل مُوحّد إلى التسليم بهذه الآيات، بدل تفسيرها بوسائل يشوبها القصور، علماً أن هذا الامتناع خير كبير، ما دام هو حافظاً من التوغل في ما ليس له به قطع، فرد علم ذلك إلى الله - تعالى -، فوفى الربوبية حقّها³.

تشارك ابن العربي في موقفه الراض لمناهج أهل النظر في معرفة الله -تعالى- مع الكثير من رواد الفكر الإسلامي أمثال **جلال الدين السيوطي (ت 911م)** الذي أثبت بدوره عدم امتلاك أئمة النظار من أهل الكلام، والفلسفة لدلائل عقلية على المطالب الإلهية، لأن القرآن جاء بما فيها من حق، وما هو أبلغ، وأكمل منها على أحسن وجه، مع التنزيه للأغاليط الكثيرة الموجودة عند هؤلاء، فإن أخطأهم فيها كثيرة جداً، ولعل ضلالهم أكثر من هدياتهم، وجهلهم أكثر من علمهم⁴، وهذا ما يلخصه في كتابه **"صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام"** إذ يقول: «العجب من قوم أرادوا بزعمهم نصر الشرع بعقولهم الناقصة، وأقيستهم الفاسدة، فكان ما فعلوه مما جرأ الملحدين، أعداء الدين عليه، فلا الإسلام نصروا ولا الأعداء كسروا»⁵.

أشار **ابن القيم الجوزية**⁶ (691هـ-751هـ) بدوره إلى هذا الموقف الراض لأعمال أهل النظر في الإلهيات في مواطن عدة من أعماله، منها كتابه **"الكافية الشافية في**

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 74.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 75.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 298.

4- السيوطي جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، ج 2، تحقيق سامي النشار، دار نصر للطباعة، ط 2، د ت، ص 143.

5- المرجع نفسه، ج 2، ص 167.

6- هو شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد المشهور بابن القيم الجوزية.

الانتصار للفرقة الناجية"، و"الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة"، حين أكد في الأول أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما نثبت ذاتا لا تشبه الذات، فكذا نقول في صفاته، إنها لا تشبه الصفات، لأن ليس كمثل شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لذا فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين، فحسب ابن القيم لا يجوز أن نزيل عنه -سبحانه- صفة من صفاته، لأجل شناعة المشنعين، ولا تلقيب المفترقين، كما لا يجب أن نبغض أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لتسمية الروافض، ولا نكذب بقدر الله - تعالى - ونجدد كمال مشيئته، وقدرته لتسمية القدرية¹، مبرزاً في مؤلفه الثاني المذكور سابقاً أن الغلو في استعمال العقل في هذا العلم، جعل أهل النظر يسيرون في مركب فاسد، يقوده عقل جاهل بلا سمع، ولا بصر لأنهم قد أسسوا نفيهم، وتعطيلهم على شبهات فاسدة، ظنوها معقولات صحيحة، « فحرفوا لها النصوص السمعية عن موضعها، فكانت نتيجة ذلك كاذبة... فكيف يتوهم من كان له أدنى مسكة من عقل، وإيمان أنه على صواب²، لذا فمن كان لنفسه قدر، وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن يثبت قدمه في صفوف أهل العلم، والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاءت به السنة، والقرآن³ حفاظاً على سلامة المعتقد حتى لا يعرض مخزياً أمام الله ورسوله - الكريم -.

3- عجز أهل النظر عن تنزيه ذات الله وصفاته

عمل ابن العربي على نسج مسلمات حاول من خلالها إبطال التقدير العقلي، في فهم العلم الإلهي من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر عمله هذا صورة من صور التنزيه لهذا العلم،

1- ابن القيم الجوزية شمس الدين، الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية، مج 1، تحقيق محمد بن عبد الرحمان العريفي وآخرون، دار علم الفوائد، د ط، د ت، ص ص 24-25

2- ابن القيم الجوزية شمس الدين، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، تحقيق علي بن محمد الرخيل الله، ج 1، دار العاصمة الرياض، د ط، د ت، ص 165.

3- ابن القيم الجوزية شمس الدين، الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية، ج 1، ص 19.

من نقائص التجسيم، والتشبيه، الناجمة عن التفسير النظري لذات الإلهية وصفاتها، ويظهر هذا في المسائل التالية:

3-أ- مسألة أصل العالم

استنكر ابن العربي طرح أهل النظر لأسئلة متعلقة بالذات الإلهية، منها ما أصل الخالق؟ وهل هو قديم أم حديث؟ ومتى كان خلق العالم؟ هل بوجود الخالق أم بعده؟ وهل العالم مخترع وغيرها من الأسئلة لا تعبر إلا عن فساد طريق أهل النظر في معرفة الذات الإلهية، مبرزا أن قضايا صعبة كهذه من رحمة الله بعباده أنه تمّ الفصل فيها في مجمل تنزيله، منها سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾¹، التي أنزلت على النبي -الكريم- ردا على من أراد أن يعبد ابن الله من المسيح، والشمس والقمر من المجوس، والأوثان من المشركين، لتثبت أن الله هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا ندّ له، ولا شبيهه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا الله².

وصف ابن العربي المقدمات التي انطلق منها أهل النظر في معرفة الذات الإلهية، بالواحية لأن أصحابها توهموا أنها صادقة صدق وسيلة العقل التي إعتدوها، وهي في أغلب أوقاتها تعاني القصور، والعجز كلما دنت من الغيب. لذا تحطمت مساعيهم في معرفة الذات الإلهية، مستغريا كيف يتوهم أهل الفكر بأنهم يدافعون عن العقيدة، وهم في الأصل يفتقرون إلى أصلها الأول، التوحيد المطلق، والتنزيه، والترفع عن كل ما يؤدي إلى التعطيل، والتمثيل، فكل صاحب فطرة سليمة موحدة، تسعى كل السعي للرد على المبتدعة، الذين أدخلوا الأفكار الغريبة على الفهم الصحيح للقرآن، والسنة، ومن أمثالهم أهل التجسيم، الذين

1- سورة الإخلاص.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 518.

ينظرون إلى الله - تعالى - على أنه جسم، وأهل الاعتزال الذين نفوا صفات الله، ونظروا للإنسان على أنه خالق لأفعاله.

دعا ابن العربي إلى ضرورة التمييز، بين سبب الأسباب، وخالقها جميعا، فكل صاحب عقل سليم، ومؤمن يستطيع أن يكتشف التوحيد على أقرب الطرق، لأن أي حادث في الوجود له محدث يحدثه، أو كما نقول بلغة العلم، لكل رد فعل فعل أحدثه، هكذا يتدرج صاحب الفكر السليم، المغذى بأخلاق التوحيد، ويرتقي حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب كلها، وموجدها، خالقها - سبحانه -، ولا يزيده هذا إلا إيمانا، وإعتقادا بأن الوجود نابع عن الكرم الإلهي¹، فيمتنع عن طلب الدليل في إدراك الغيب لأنه محال، لذا صرح ابن العربي بأن الحق - تعالى - موجود بذاته ولذاته، مطلق غير مقيد بغيره، لا هو أثر لعلة ولا نتيجة لمعلول، فالباري - سبحانه - خالق لجميع الموجودات، ومالكها، إذ يقول: « إن العلم موجود بالله - تعالى - لا بنفسه ولا لنفسه، مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته، فلا يصح وجود العالم البتة إلا بوجود الحق»².

3-ب- مسألة قدم العالم

أبطل ابن العربي القول بقدم العالم، لأن القبل والبعد من صيغ الزمان الإنساني، وأن الخالق لا يحتاج إلى وقت لكي يخلق هذا العالم لقوله - تعالى -: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾³، زيادة على ذلك لا يجوز أن نقول أن العالم موجود بعد وجود الحق، ولا يجوز القول أن العالم

1 - LAILA Khalifa, Ibn Arabi l'initiation à la futuwa, Edition dar Albouraq, Beyrouth, Liban, 2001, P 190.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 76،

3 - سورة البقرة، الآية 117.

موجود مع الحق لأن الحق هو الذي أوجده¹، إن رفض القبلية، والبعدية في الخلق عند ابن العربي مردّها أن الحق - تعالى - موجود بذاته، ولذاته.

3-ج- مسألة زمن خلق العالم

بين ابن العربي أن الوهم، والتخيل، وقصور العقل سبب في طرح مثل هذه الأسئلة "كأن يقول صاحب النظر متى كان خلق العالم؟ وهل هو مخترع؟"، لأن قول متى كان وجود العالم من وجود الحق؟ تجعل صاحب السؤال يقع في غلط قلة التنزيه مادامت "متى" هي سؤال زمني، والزمان من عالم النسب، وهو مخلوق من الله - تعالى - مادام عالم النسب له خلق التقدير، لا خلق الإيجاد، ما يبطل شرعية هذا السؤال²، لذا حذر ابن العربي من ألفاظ التشبيه في القرآن الكريم، أو كما سماه « أدوات التوصيل »³، من أن نفهمها بالعقل وحده، لأن في ذلك هدم للإيمان وتشجيع للتعطيل، والتشبيه، والتجسيم، داعياً كل مؤحد ومنزه أن يحترم حضرة مبدعه ومخترعه، وأن لا يطلق عليه هذه الألفاظ، لأنه لا يعلم الحق بهذه المطالب أبداً⁴.

فصل ابن العربي في مسألة الصفات، وتنزيهها بتأكيده على أن المدركات المخلوقة لا تخرج عن قسمين: الأول هو المحسوس الكثيف، والذي يدركه بذاته، والثاني هو الذي يدرك بفعله، وهو المعقول واللطيف، لذا « تقديس الخالق على أن يدرك بذاته كالمحسوس، أو بفعله كاللطيف، أو المعقول، لأنه سبحانه ليس بينه وبين مخلوقه مناسبة أصلاً »⁵، لأنه ذات مدركة إدراكاً يخرج عن حدود المحسوس، واللطيف، ففعله - تعالى - « إبداع الشيء لا

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 77.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 77.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 72.

4- المصدر نفسه، ج 2، ص 95.

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 96.

من شيء، واللطيف الروحاني فعل الشيء من الأشياء، فأى مناسبة بينهما؟ فإذا امتنعت المناسبة في الفعل، فالأحرى أن تمتنع المشابهة في الذات»¹، ولا تأخذ الحيطة، والحذر خشية الانزلاق في التعامل مع الذات الإلهية، إنما هناك مسألة أخرى تصعب على العقل، والمتمثلة في علم - الباري - بالأشياء، ذلك أن علمه بها ليس زائداً على ذاته بل ذاته هي المتعلقة من كونه عالماً بالمعلومات، على ما هي المعلومات عليه²، وعلم الله بالموجودات هي من القضايا المبهمة، والمستعصية على العقل، والمحيرة له لذا فهو لا يهتدي إليها على الحقيقة من حيث فكره، بل يكون ذلك بالكشف الإلهي³، لإستحالة الجمع بين الخلق والخالق - تعالى - من كل الوجوه.

3- د - مسألة اختراع العالم

رفض ابن العربي أن نصف الخالق - تعالى - بالمخترع، لأن هذا ينقص من جناب العالي - سبحانه -، فالإختراع لا يحق إلا في حق العبد⁴، فهي كلمة تصدق على الخلق أكثر من الخالق - جل وعلا-، على أساس أن المخترع هو الذي يفكر في اختراع أمر من أجزاء مفقودة، أو متفرقة من الموجودات، ثم يقوم بتأليفها ليخرجها من الصورة إلى الشيء، أي من القوة إلى الفعل، مثل ما يقوم به أصحاب الإختراعات: من شعراء، وكتاب، وعلماء، وكل من كان على شاكلتهم، ومن ساعدتهم قوة فطرتهم، وشدة ذكائهم، إذ يقول ابن العربي: « وأكثر العلماء بالاختراع هم البلغاء، والمهندسون، ومن أصحاب الصنائع...فهؤلاء أكثر الناس اختراعاً...وأشدهم تصرفاً لعقولهم»⁵، لذا تعجب ابن العربي من وصف أهل النظر الخالق - تعالى - بصفة المخترع، رغم كونها وظيفة إنسانية، مادامت تمر بمراحل عقلية، ثم

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 96.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 149.

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 149.

4- المصدر نفسه، ج 2، ص 79.

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 80.

تخرج إلى حيز التطبيق، لذا فهي صفة تنسب لكل من توصل بالفكر إلى ما لم يكن يدركه قبل ذلك¹، والباري - عز وجل - عالم بمخلوقاته منذ الأزل، أي أنه سبحانه لم «يخترع في نفسه شيئاً لم يكن يعلمه»²، وهذا ما دل عليه ابن العربي في الأبيات التالية³:

العلم والمعلوم والعالم ثلاثة حكمهم واحد
إن أنشأ أحكامهم مثلهم ثلاثة أثبتها الشاهد
وصاحب الغيب يرى واحداً ليس عليه في العلا زائد

إن ما يجب أن يكون عليه الخالق من أسماء، وأفعال، وصفات، ونعوت هي مجهولة العين، والكيف، لأن الذات الإلهية لا تعلم⁴. إنما تلك الصفات وجدت لتتنزيه الذات لا لمعرفة، وهو الأمر الذي رفض تصديقه بعض أهل النظر من المتكلمين، الذين أوهمهم العقل، وجعلهم يتخيلون أن لهم القدرة في إدراك ذات الخالق - تعالى -، رغم فشل وسائلهم في ذلك، فالخالق - تعالى - هو العالم، والسامع، والمتكلم، لكن على الوجه الذي قاله ونبيه - الكريم -، وعلى ما أراده من ذلك⁵، وهو ما جعل ابن العربي يمتنع عن طرق هذا الباب قائلاً: «فتركنا الخوض في ذلك إذ الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا، ولا بما نورده فيه»⁶.

حرص ابن العربي على عدم الحاجة للغوص في تأويل الصفات، إنما الواجب الأخذ بظواهرها من خلال تأكيده على أن الحجة القائلة بأن المفعول يدل على الفعل "كالقميمص"

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 80.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 80.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 81.

4- المصدر نفسه، ج 2، ص 398.

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 399.

6- المصدر نفسه، ج 2، ص 399.

وإن لم نجد فاعله بإمكاننا إدراك هويته، نعني بذلك أن "الخياط" هي حجة غير صالحة إذا ما تعلق الأمر بالعوالم اللامتناهية في الصغر، والكبر، كعالم الذرات، والأفلاك، والأجرام، وكل مخلوق آخر نعجز عن إدراك حقيقة صانعه، ما يوجب الإمتناع عن البحث في ماهية خالق هذه العوالم لصعوبة مجال البحث فيها، زيادة على قصور الوسيلة العقلية على إدراك ذلك، ما يجعل ابن العربي يدعو إلى البحث في كل ما يتوافق والقدرة العقلية البشرية خشية الضلال، بتوجيه قوة العقل، وبراهينه في الاعتبار، والتأمل في خلق الله كي يزيد في الإيمان به - سبحانه-، بدل إقحام العقل في البحث عن ذات الله - تعالى- لانعدام المناسبة بين -الحق- ومخلوقاته، ومن إعتد ذلك، وحاول فهم هذه الرابطة فقد أخفق حيث يقول ابن العربي: « لا مناسبة بين المبدع الأول، والحق تعالى... فأفهم هذا وتحققه فإنه نافع جدا في باب التوحيد»¹.

ثانيا- أخلاق التوحيد معيار تفاضل المؤولين عند ابن العربي

1-المؤولون على أساس العقل المجرد (أهل النظر)

بين ابن العربي أن المؤول لآيات الله المتشابهة، بتوظيف وسيلة العقل وحدها، تجعله يعتقد أن تلك الألفاظ وما فيها من تشابه أطلقت على -الخالق-، علما أنها مصروفة إلى غير الوجه الذي يعطي التشبيه، والتمثيل²، فما وصف الرب - تعالى- نفسه بصفات المخلوقين، إلا لكي تفهم أصحاب العقول البسيطة، أن ما هذه الألفاظ المتشابهة إلا «أدوات إلى إفهام المخاطبين»³. أخطأ علماء النظر عندما حاولوا تفسير الصفات الإلهية، وإثبات

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 98.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 71.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 75.

الوجود عقليا « لقصور أفهامهم، فما ثبت لهم الوجود إلا بهذا التخيل، أعني تخيل التشبيه، والتمثيل»¹.

أكد ابن العربي أن سبب الحيرة في العلم الإلهي، يعود إلى الوسائل المعتمدة في الغوص، في مثل هذه المسائل الوعرة، أبرزها وسيلة العقل التي تحول دون إدراك حقيقة الذات الإلهية، لأنه كما سبق وأن أشير إليه أن العقل لا يدرك إلا الصفات الثابتة المحددة، والخالق - تعالى - أعلى من أن تحده حدود، فما ندرکه بالعقل هي الصفات لا الذات²، إن الخالق قد نسب إلى نفسه أموراً وصف نفسه بها، فاعتقد أهل النظر أنهم تمكنوا من تحليلها، ومعرفتها باعتماد التأويل، الذي قد يصيب أحيانا، وقد يخيب، ما جعل المؤولين في حيرة، فبدل الترجيح وجب الإيمان، والتصديق بما أخبر الله - تعالى - به عن نفسه أو عن ما نقله عن رسله مادام العجز عن درك الإدراك إدراك، وهذا ما لخصه ابن العربي في الأبيات التالية³:

لا يعلم الله إلا الله فانتبهوا فليس حاضرکم مثل الذي غفلا
العجز عن درك الإدراك معرفة كذا هو الحكم فيه عند من عقلا
هو الإله فلا تحصي محامده هو النزيه فلا تضرب له مثلا

2- المؤولون على أساس العقل والإيمان (أهل الظاهر)⁴

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 76.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 216.

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 215.

4- داود بن علي بن خلف الأصبهاني ظاهري هو أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنتسب إليه الطائفة الظاهرية، التي سميت بذلك لأخذها بظاهر القرآن والسنة، وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس حيث كان داود أول من جهر بهذا القول ولد بالكوفة 201 هـ وتوفي بها 270 هـ وكانت الظاهرية مذهب دولة الموحدين في عهد يعقوب بن منصور 580 هـ - 595 هـ: / الشهرزوري ابن صلاح ، فتاوى ومسائل ابن صلاح في التفسير والحديث في الأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي ، مج 1، تحقيق عبد المعطي أمين قلنجي، دار المعرفة، ط 1، بيروت، 1986م، ص 205.

بين ابن العربي أن هذه الطائفة لم تقم نفسها في التأويل، لأنها قبلت كلام الله، ورسله، وآمنت به فجنبت نفسها كل مداخل التشبيه، والتجسيم، « وقنعت بمجرد الإيمان بما يعلمه الله في الألفاظ، والحروف من غير تأويل»¹، فلا حاجة إلى تأويل المتشابه، مادام لا وجود لوجه الشبه بين الخالق والمخلوق، لأنه ليس كمثله شيء، لأجل هذا سماهم "الشيخ الأكبر" « أهل الظاهر السالمة عقائدهم، من التشبيه والتعطيل»²، وحتى وإن أرغموا على التأويل فإنهم يستعملون الألفاظ التي لا يراد منها إلا التنزيه وإن يستعصى عليهم الأمر يردونه إلى الله، خشية انزلاق يهدد عقيدتهم.

إن إدراك صعوبة التأويل جعل أهل الظاهر يجتنبونه مخافة الضياع، والضلال، فكان الواجب عندهم الأخذ بظاهر النص دون الغوص فيه، هكذا يؤكد ابن العربي أن إطلاق أسماء الله على غيره محرمة تحريماً مطلقاً، لا يحل مع حلال أبداً، موضحاً أن غرض التحريم هو منع وقوع الالتباس بين الخالق، والمخلوق، لذا وجب أن نفهم آيات القرآن كما بدت في الظاهر، مادامت لا توجد أية شرعية تُحلُّ « الاتصاف بأوصاف الحق تعالى، التي يكون بها إليها»³.

إن إمتناع أهل الظاهر عن التأويل، و الممارسة الإستدلالية في النص الشرعي، هي صورة من صور الالتزام العقدي عندهم، مادام من « الواجب شرعاً وعقلاً إجتناّب هذه الأسماء الإلهية بمعنى، وإن أطلقت لفظاً»⁴، فلا يجوز أن تطلق الألفاظ التي تقال على الخالق - تعالى - من الوجه الصحيح يتوافق على المقام العالي الإلهي على أحد من خلق

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 71.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 72.

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 70.

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 70.

الله، إلا إن كان تعالى قد أطلقها مثل قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾¹.

إعتبر ابن العربي التأويل هلاكاً أكثر منه فائدة إذ قال: «ما ضلَّ من ضلَّ من المشبهة إلا بالتأويل...»²، فلا سبيل لرفع المماثلة، والتشبيه، إلا بالتنزيه، وإجتناّب تأويل الآيات، والأخبار، على ما لم يسبق منها إلى الإفهام³، فالخروج عما رسمه الشرع، من كتاب وسنة، في شرح محتواه، طريق نحو الجهل⁴ المحض، والكفر الصريح، لذا من الصائب ترك الآيات كما جاءت من غير تعديل، وتوكيل ما تعرّس منها إلى الخالق - تعالى -، ورسوله - الكريم - خير وأسلم.

3- المؤولون على أساس الكشف (المتصوفة وأهل العرفان)

أخلت هذه الطائفة العالية كما سماها ابن العربي قلبها من الفكر والنظر⁵، لعجزه عن درك مثل هذا العلم، فأصحاب هذه الفرقة أو كما نعتهم ابن العربي بـ"أهل الله"، امتنعوا عن إستعمال العقل لإيمانهم بأن معرفة الحق لا تحصل «...بدقيق فكر ونظر...»⁶، لذا شبههم ابن العربي بأهل الظاهر الناجية عقائدهم، والذين «لم ينظروا، ولا تأولوا، ولا صرفوا...»⁷،

1- سورة التوبة، الآية 128.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 103.

3- المصدر نفسه، ج 3، ص 103.

4- الجهل هو عين الكفر يكون عندما يجهل الإنسان مرتبة الألوهية، وما تستحقه من الكمالات، واللوازم، والمقتضيات، وما تنزه عنه من وجوه المستحيلات: /أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفا عن كلام خاتم الأولياء، ص 51.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 73.

6- المصدر نفسه، ج 2، ص 73.

7- المصدر نفسه، ج 2، ص 74.

مبرزا أن أهل الله، أو أهل الذوق¹ حتى يتسنى لهم فهم الآيات المتشابهة وجب أن يتجاوزوا النظر الفكري، ويفرغوا القلب من الرؤى العقلية، ويملأوه بالذكر، ومجالسة الخالق - تعالى - «على بساط الأدب، والمراقبة، والحضور، والتهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالى...»²، إيماننا منه بأن - الباري - هو من يتولى مهمة التعليم، والكشف مصداقا لقوله: ﴿وَعَلَّمَنَّهُ مِن لَّدُنَّا

عِلْمًا ۝٦٥﴾³.

تعتبر تقوى⁴ الله، وخشيته عند ابن العربي ضمانا يحقق معرفة الخالق لقوله: -تعالى- -

﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ۝٥﴾، وهذا ما دعمه بقوله: « فعندما توجهت قلوبهم، وهمهم

إلى الله تعالى، ولجأت إليه، وألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث والنظر، ونتائج العقول كانت عقولهم سليمة وقلوبهم مطهرة... تجلى⁶ الحق لهم معلما...»¹، إن تقوى

1 - وردت كلمة ذوق في القرآن الكريم ككلمة دالة على تطعم الشيء منها قوله: -تعالى- ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا ۝٢٢﴾ /: سورة الأعراف، الآية 22، كما ورد الذوق مجازا ويظهر في قوله: -تعالى- ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۝٥٦﴾ /: سورة النساء، الآية 56، وعند الصوفية هو ما يعبرون به عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وهو حاصل نتيجة لصفاء معاملاتهم ووفائهم لله فمن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب، ومن صار الشراب له غذائه لم يصبر عنه، ولم يبقى بدونه: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، ص 178. لذا أقام ابن العربي علاقة جدلية بين الذوق، والتجلي، وصفاء النفس، المحكوم بالرياضة والمجاهدة: / سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ندرة للطباعة والنشر، ط 1، 1981، ص 493. بمعنى أن ترويض النفس يعطي التجلي، والتجلي يعطي الذوق وما نتج عن ارتباطهما هي العلوم الذوقية.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 73.

3 - سورة الكهف، الآية 65.

4 - التقوى مجانية ما يبعدك عن الله لذا من لزم التقوى أشفاق إلى مفارقة الدنيا: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، ص 228.

5 - سورة الأنفال، الآية 29.

6 - التجلي: وردت كلمة التجلي في القرآن الكريم مرتين في قوله: تعالى في سورة الأعراف الآية 143 ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لُدُنًا

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ ، وفي سورة

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

-الخالق-، والترفع عن علوم النظر يستلزم عنها الطلاع على معاني تلك الكلمات، والأخبار، ما سماه ابن العربي بالمكاشفة، إذ يقول: «...فأطلعتم تلك المشاهدة على معاني...الكلمات دفعة واحدة»².

حاول ابن العربي من خلال هذا الترتيب التفاضلي للمؤولين أن يجعل من أهل العرفان الفئة الأحق، والأجدر بفهم الآيات المتشابهة، لاعتمادهم على القلب الصافي، والمتيقن بوحداية الله - تعالى-، المغذى بأخلاق التوحيد الخالصة، الضامنة لهم حق تلقي المعاني، وتجلي الأخبار، تاركين بذلك كل أداة مقيدة، ومحددة، ومشبهة ناجحة هي في إدراك المحدثات، قاصرة عن الغيبات، التي يدخلون عليها بكل معاني التنزيه، والتوحيد³، تأكيدا على أن نعمة كشف معاني المتشابهات يحرم منها كل من اتخذ من العقل آليته الوحيدة في بلوغ ذلك.

إن الاعتماد على العقل، والغلو في استخدامه، وتوظيفه في مسائل غيبية، ومحاولة استقصاؤها غاية الاستقصاء، جعل أهل النظر يقعون في العجز، والحيرة، التي إعتبرها ابن العربي دليل ضياع، وضعف هذه الفئة من المفكرين لضعف وسيلة العقل عندهم، في حين هي إمتياز عند أرباب المعرفة الحقّة، أهل الذوق، والعرفان الذين منحتهم أخلاق التوحيد، والتنزيه راحة التسليم بعجزهم عن معرفة ذات الله، ولا يزدحم هذا العجز إلا تصديقا، وإيمانا خالصا، فكان العجز عن درك الإدراك عندهم إدراك، وهذا ما يوجزه ابن العربي

الليل الآية 2 ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ، والتجلي عندهم هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب: /الكشاني عبد الرزاق، معجم إصطلاحات الصوفية، ص 173. فهو فتح الله على عبده بعد الستر فيكشف له بعض المغيبات: /الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1987، ص 84.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 74.

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 74.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 75

بقوله: « إذا علمت أن ثم من لا يُعَلِّمُ ذلك هو العلم بالله تعالى، فكان الدليل على العلم به عدم العلم به»¹.

دعا الخالق - تعالى - في مجمل تنزيله إلى التوحيد وأمرنا بالعلم به، لا العلم بذاته²، لقوله: - تعالى - ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾³، ما جعل المعرفة به لا تكون إلا من كونه إلهًا، ولا ينبغي للإله أن يكون إلا بصفات يمتاز بها، عن من ليس بإله، وما عدا ذلك فهي معرفة غريبة، عن ما أمر به الشرع، لذا لا يعرف الله إلا الله⁴، ما يبطل مهمة التأويل عند ابن العربي، فالمؤمن العاقل الناصح لنفسه، إذ ما سمع قولاً لله - تعالى - أو لنبيه - الكريم - أنصت وأصغى، وتأدب وتفهم لما قيل⁵، حبا وتقوى، وحفاظاً على النفس البشرية المستخلفة في الأرض، والمعروف عنها التميز عن باقي الخلق.

ثالثاً: أسباب رفض ابن العربي للفلسفة من معرفة ذات الله

1- عجز الفلسفة عن الغوص في العلم الألهي

يعتبر التصوف الأكبري صورة من صور التصوف الإسلامي، المُعبر عن الحياة المعنوية، الروحية، الجامعة لمعاني سامية في النفس، والوجدان، ثمار هي للوحي القرآني، والسنة الشريفة، فابن العربي من الرجال الذين لم يفتنوا بشواغل الدنيا، واتخذ لنفسه مذهباً تقوم أساسياته على القيم الإسلامية النفيسة، وفكر رُوحِي عميق، وفلسفة إنسانية كبيرة تجاوز بها ذلك الصدع الذي ولد الخلاف حول آليات استنباط المعرفة الدينية، وإستنتاجه، ففي

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 217.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 217.

3- سورة آل عمران، الآية 28.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 218.

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 376.

الوقت الذي جعل الفلاسفة العقل قاعدة ذلك، وضعه الفقهاء في درجة أدنى¹، حاول ابن العربي أن يجعل من تجربته الروحية الصوفية نقطة إنطلاق لدراسة العلاقة بين الفكر، والنص الديني²، بدلا من الانشغال بتأويل النصوص الشرعية التي شوهت اختلافات الفرق دلالتها.

أكد ابن العربي على أن نصوص الشرعية هي تغيرات لغوية تتسم بالغموض، والإجمال في حالات كثيرة، موضحا على أن إزاحة هذا الإبهام، والغموض لا يكون إلا بالسعي إلى معانقة مصدرها بدل الانشغال بتأويلها³، وهو تصريح نفهم من خلاله كيفية إبطال ابن العربي لمهام أهل النظر في العلم الإلهي من جهة الفلسفة خشية ما تؤول إليها عملية التأويل من إختلافات، وصراعات مذبذبة على المؤمن العادي وضح المعنى الديني، هذا التشويش الذي يرجعه ابن العربي إلى الوسائل التي تعتمد عليه الفلسفة في استنباط عملها منها العقل، والاستقراء الذي قال فيه التالي: «فإنه لو استقرأنا كل ما ظهرت منه صنعة وجدناه جسما ونقول إن العالم صنعه الحق، وفعله، وقد تتبعنا الصانع، فما وجدنا صانع إلا ذا جسم، فالحق جسم، تعالى الله على ذلك علوا كبيرا»⁴.

توازي موقف ابن العربي والسيوطي على ضرورة عزل نشاط الفلسفة عن ميدان الإلهيات لفشل وسيلة العقل عندها، أين بين السيوطي أن من أعظم صفات العقل المعرفة بالتمائل فإذا رأى الشئيين متمائلين أدرك أن هذا مثل هذا، فجعل حكمهما واحدا، مثل إذا ما رأى الماء والماء، والتراب بالتراب، ثم يعمم الحكم على الكل بما حكم به على الجزء لاشتراكهما في قدر معين من الصفات، وهذا ما لا يجوز على الخالق - تعالى -، ما أبطل

1- نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 2002، ص 23.

2- نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن العربي، المركز الثقافي العربي، ط 5، 2003، ص 5.

3- نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، ص 23.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 294.

طريقة أهل النظر في معرفة العلم الإلهي من جهة الفلسفة، زيادة على ذلك أن العقل تابع للحس، فإذا أدرك الحس الجزئيات أدرك منها قدرا مشتركا كليا فهذه خاصة العقل، معرفة الكليات بتوسط معرفة الجزئيات، ومن أنكرها أنكر خاصة عقل الإنسان¹، لذا نصح ابن العربي من أراد الدخول إلى العالم الرباني أن يخلع نعليه - الحس والعقل -، لأنه يقتحم ميدان فوق طورهما، فالحضرة الإلهية ألغت بوجودها كل وجود، ومحت بصفات كل الصفات²، كونها ذات ليست محدودة، ولا يجمعها مع الخلق شيء .

يعود سبب رفض ابن العربي للفلسفة، وأصحابها في معرفة الحق - تعالى - إلى آلية العقل التي تتغذى على ما هو تجريبي، وعيني بالدرجة الأولى، ما يبرر خطأها في العلم الإلهي، وهذا ما أشار إليه "ابن تيمية" (1263-1328م) في الكثير من أعماله منها "درء تعارض العقل والنقل"، و"الرد على المنطقيين" أين كشف عن المخاطر التي تسببها الفلسفة في تشويه عقيدة الإنسان، وتفكيره أيضا، لما تحتوي عليه مفسد، وضلالات خلفها تقديسهم للعقل، واتباع أحكامه في كل المسائل حتى التي تتعلق بالعلم الإلهي، وهذا ما أفضى بالكثير إلى الشكوك، وأخرج العديد إلى الإلحاد، وأصل ذلك كله « أن أهل النظر لم يقنعوا بما قنعت به الشرائع، وطلبوا الحقائق، وليس في قوة العقل درك لما عند الله من حكمة التي انفرد بها³، ما جعلهم عرضة للفساد، والإهمال، والغلط لما أخطوا علومهم بالعلوم النبوية التي جاءت بها الرسل، فما كان تعظيمهم لما قالوا به من حدود، وتعريفات مُعبّرة عن الماهية، ولا الحقيقة إلا تضييع للوقت » وإتاعب الأذهان... ودعوى التحقيق بالكذب،... وشغل النفوس،

1- السيوطي جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، ص 155.

2 - فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، د ط، 1983، ص 9.

3- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 8، تحقيق محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 2، السعودية، 1991، ص 49.

بما لا ينفعها، بل قد يضلها عما لا بد لها منه، وإثبات الجهل الذي هو أصل النفاق في القلوب...»¹.

لم يمنع موقف ابن العربي الرافض للفلسفة من تأكيده على أن أهمية العقل في فهم الشرع، وتطبيقه لأحكامه حيث يقول: «وأما قولك أن الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له، على أن كل من عنده باطل»²، وهو ما لا يتناقض فيه عقلان، متوافقا بذلك مع الإمام الغزالي (1058م-1111م) الذي قال: بدوره «وظن من ظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية، وأن الجمع بينهما غير ممكن، ظن صادر عن عمى في عين البصيرة، نعوذ بالله منه»³، لذا فسّر ابن العربي الانتقادات الموجهة للفلسفة، وما تحمله من أوصاف جارحة للفلاسفة، وتجعل منهم فرق ضالة، لجهل من ينتقدها بفنون هذا المجال العقلي، وهذا ما عبر عنه الإمام "الجويني"⁴ (419هـ-478هـ) بقوله «حق على كل من يحاول الخوض في فن من فنون العلوم أن يحيط بالمقصود منه وبالمواد التي يستمد منها ذلك الفن وبحقيقته وفنه وحده»⁵، فكل من يطلع عليه بدقة يجد أن الفلسفة وسيلة جامعة للعلوم الحسية، ومصالحة للنفوس إذا ما وجهت وجهة صحيحة، مزيلة لكل توهم بأن الفلسفة

1 - ابن تيمية، الرد على المنطقيين المسمى أيضا نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، تحقيق شرف الدين الكيتي، مؤسسة الريان، ط 1، 2005، ص 73.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 146.

3 - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، تقديم بدوي طبانة، مكتبة كرياضة فوتر، د ط، أندونيسيا، د ت، ص 17.

4 - بعد وفاة والده خلفه في التدريس ولما تمكن من علم الأصول على يد أستاذه أبا القاسم الإسكافي الإسفرايني بمدرسة البيهقي سافر إلى بغداد ثم خرج إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنوات وبالمدينة المنورة يدرس ويجمع طرق المذهب حتى قيل فيه إمام الحرمين: / ابن خلكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 3، ص 168

5 - الجويني عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، ج 1، تعليق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997، ص 7.

القدرة على الغوص في الإلهيات، حيث بين ابن العربي على أنها، وعلومها هي ما يجب على الصوفي نيله لأجل بلوغ اليقين وتحقيق السعادة¹.

يتضح للبعض أن الحدود التي وضعها ابن العربي للفلسفة أنها دليل رفضه لها، إلا أنها في الحقيقة شهادة دفاع عن سمعة الفلاسفة، والنهي عن ذمهم لمجرد كونهم فلاسفة، لأن ما يعاب عليهم هو خطوهم في العلم الإلهي أين كانت استدلالاتهم، وأحكامهم فيه معارضة لما جاء في القرآن، والسنة حيث يقول: «غير أن أهل الفكر خطوهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم سواء كان فيلسوفاً، أو معتزلياً... أو من كان من أصناف أهل النظر فما دُمت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم، وإنما لما أخطوا فيه من العلم الإلهي... بما أعطاهم الفكر الفاسد...»²، ليتشارك في ذلك مع "ابن صلاح الشهرزوري"³ (577-643م) الذي حكم بدوره على أن الفلسفة رأس السفه، والانحلال، ومادة للحيرة، والضلال، إذا ما حاولت الدخول في الإلهيات، ونسج نتائج في ذلك، وإخراجها للعوام، وهي في أصلها واهية، نابعة من ظنون البشر، فمن «تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤدية إلى الحجج الظاهرة، والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعليماً، وتعلماً، قارنه الخذلان، والحرمان»⁴.

أطلعنا ابن العربي، وكل من حذا حذوه على نموذج مغاير للجمع، والتوفيق بين معطيات الدين، والفلسفة خارج مفهومها الإصطلاحي اليوناني الضيق، ليجعله ربطاً بين وحي، وعقل موجه إلى تنظيم الحياة الواقعية، لإيجاد مخارج صائبة، لا تخرج عن حدود

1 - عرابية سهام، منزلة العقل عند محي الدين بن العربي، ص 153

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، دار صادر، د ط، د ت، ص 219

3 - هو تقي الدين أبا عمرو عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى بن أبي نصر البصري الكردي الشهرزوري المعروف بابن صلاح الملقب بتقي الدين، فقيه شافعي وأحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، ولد سنة 577 ببشرخان وتوفي 643 م بدمشق: / ابن خلكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 3، ص 244.

4- الشهرزوري ابن صلاح، فتاوى ومسائل ابن صلاح في التفسير والحديث في الأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي، مج 1، ص 210.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

أوامر، ونواهي الشرع الحكيم، لإن غاية الفلسفة الحقيقية عند ابن العربي ومن وافقه الرأي هي إصلاح شؤون العباد الدنيوية، هذا الإصلاح لا يؤمن به أهل النظر إلا إذا اقتنعوا بأن وسائلهم لا تفلح إلا في هذا المجال من العلوم أين تتحول الفلسفة من وظيفة عقلية، لمقوم ضروري لحياة الأفراد، وسدادها، لذا كان كل عاقل بلا شك محب للحكمة¹، لتكون الفلسفة عند ابن العربي من هذا المنطلق عنوان الرشد، والتمييز إذا ما اجتمعت بعقيدة التوحيد الحامية لها من الهلاك.

إن الشرع الكريم هو دين الحق دون سائر الأديان²، لذا فطر الله خلقه على الإسلام ونهى عن تبديله³ لقوله: - تعالى - ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ^ع ذَلِكَ الدِّينِ الْقَيِّمِ^٤﴾، ومن رفض هذه الحقيقة سلب نعمة الهداية فيكون صما وبكما عن الحق، وقول الصواب، والإقرار بما أمره الله أن يقر أعى عن الهدى فلا يبصره⁵، لقوله: - تعالى -: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَعْقِلُونَ^{١٧١}﴾⁶، فالاتحاد بين أفعال، وأقوال الإنسان، والعقيدة الصحيحة، المسلمة تجعل من كلامه، وعلمه نورا، ومدخله، ومخرجه نورا، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة⁷، فسمى العقل دينا ويكون الدين والعقل متحدين لقوله - تعالى -: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ^ع﴾⁸.

1- ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند ابن العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2001، ص 42.

2- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، تحقيق باشا عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1994، 104.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 314.

4- سورة الروم، الآية 30.

5- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 1، ص ص 462-463.

6- سورة البقرة، الآية 171.

7- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 61.

8- سورة النور، الآية 35.

حارب ابن العربي الفلسفة على مستواها الضيق لا الواسع، وانتقد أساسها الميتافيزيقي اليوناني بالوقوف على نمطها الفكري، وانتقاد آلياتها حتى يؤكد على أن دور الفلسفة الحقيقي والواجب على أهل النظر اعتماده، هو البحث في غايات الإنسان الحسية، والعقلية، والتدبر في مبدع الكائنات، ومبدأ وجودها، لا البحث في الذات الإلهية، وصفاتها، ما يخرج الفلسفة عن حدودها الأصلية ويقحمها في الغيبيات فلا تنال من ذلك إلا هلاك أبصارها لفشلها عن فك رموز هذا العالم، لأن العقل في أصله لا يعتقد شيئاً على ما هو عليه، ولا يتقن منه برفع الشكوك عنه، إلا باشتراك شهادة الحواس¹، ما يجعل الفلاسفة بحاجة ماسة إلى الأخذ بالمطالب الشرعية، والمواظبة على احترامها حتى لا يتمكن منه إبليس، فيزين لهم آراءهم التي إنفردوا بها، وتكلموا بمقتضياتها من غير التفاتة للأنبياء كما أقر ذلك "ابن الجوزي أبو الفرج"² (ت 597هـ)، فتوصلوا إلى أعمال لا تدل كلها على «نهاية الذكاء وكمال الفطنة»³.

إن هدف الفلسفة عند ابن العربي يستمد شرعيته من غاية وجود العقل عند الإنسان، والمتمحور أساساً في إعتبار خلق الرحمان، والتأمل في ذاته كواحد من هذا الخلق، ناظراً في «مدينة جسمه المزخرف...ليعلن ما أودع الحق فيه من الحكم والترتيب الأحسن...»⁴، والذي لا يصدر إلا عن الباري - تعالى - العالم بكل العوالم، والقادر على جميع المقدورات كما وضح الإمام "الجويني" مؤكداً على أن من أوهمته نفسه الضالة بغير ذلك، فلقد كان

1- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 1، ص 21

2- أبو الفرج ابن الجوزي فقيه حمبلي وواعظ ملقب بجمال الدين الحافظ عاش وتوفي في بغداد (ت 597 هـ)، صنف في فنون عديدة منها "زاد المسير في علم التفسير":/ ابن خلكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 3، ص ص 142-140.

3- أبو الفرج ابن الجوزي، تلبس إبليس، دار القلم للطباعة والنشر، د ط، بيروت، د ت، ص 48.

4- ابن العربي، كتاب التراجم، جمعية دار المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 26

عن « المعقول خارجا وفي تيه الجهل والجا»¹، لأن صانع هذا العالم أزلّي الوجود، لا منفتح لوجوده، ولا مبتدأ لثبوته، لأنه لو كان غير ذلك لشارك الحوادث في الافتقار إلى محدث²، بهذا يكون رد ابن العربي للفلسفة إلى جادة الصواب تعريفا لها على أنها وسيلة لتهديب النفس، وهذا ما أكد عليه ابن حزم الظاهري عندما أقر بأن المعنى الحقيقي للفلسفة « ليس هو شيء غير إصلاح النفس، وهذا نفسه لا غيره، هو الغرض في الشريعة»³، مشيرا إلى أن هذا الأمر لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة، ولا بين أحد من العلماء بالشريعة إلا عند الذي ينتمي إلى الفلسفة بزعمه، وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعاني الفلسفة، وبعده على الوقوف على غرضها، ومعناها⁴.

ثبت عند ابن العربي أن للفلاسفة صدى قويا إذا ما تكلموا في العلوم الحسية، والطبيعية لمقدرتهم على استنباط أمور قيمة في ذلك، مساعدة على تسخير ما في الدنيا لخدمة الإنسان الذي أوكلت إليه مهمة التعمير في هذه الأرض، دون أن ينسى أنه ملاقي ربه، فالخشية من ضياع الوقت تدفع بالفرد المؤمن إلى الحرص على مهمة إستخلافه في الأرض ليتزود منها مدركا أن الآخرة هي الأبقى، جاعلا من تقواه⁵ خير زاد لها، مسارعا إلى فعل الخيرات، ومتنافسا في بلوغ الدرجات، قبل فناء الأعمار، وتقارب الآجال حبا في لقاء

1- الجويني عبد الملك، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق فوقية حسن محمود، عالم الكتب، ط 1، 1965، ص 94.

2- المرجع نفسه، ص 93.

3- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 1، ص 94.

4- المرجع نفسه، ج 1، ص 94.

5- التقوى جماع الخيرات، وحقيقة الإتياء التحرز بطاعة الله من عقوبته، وأصلها إتياء الشرك، ثم بعد ذلك إتياء المعاصي والسيئات، ثم بعد ذلك إتياء الشبهات، ثم بعد ذلك ترك الفضلات الدالة على عدم التدخل المرید فيما لا يعنيه:/ القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، إعداد وتحقيق معروف مصطفى رزق، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 2001، ص 105، وفيها قال: ذو النون المصري « التقى من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلامات، ويكون واقفا مع الله موقف الإتياء»:/ المرجع نفسه، ص 105.

الله¹، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه»²، حرصا على حسن توجيه العقول إلى ما فيه خير، حفاظا على الذات البشرية، وإستقامتها، والتي لا تكون إلا بطاعة الله، والعبادة المخلصة، متخذة من الجسد المركب من مواد، وأخلاق، وهيئات عجيبة، إضافة إلى ما هو مجبول عليه من أخلاق متباينة، من حسن، وقبح، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقوى بقوته، وحذره أن يتجاوزها، ولا يتعدها، دليل على حكمة الصانع - تبارك وتعالى-³، لقوله- سبحانه- ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁴، وفي السياق نفسه ينشد ابن العربي البيت التالي⁵:

يا طالب لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

تشجيعا منه على طاعة الخالق من جهة، وإلتزام الأدب معه من جهة أخرى تأكيدا لحقيقة أن البرهنة بالخلق على الخالق لا يمكن حدوثها على نعت المماثلة، إنما هي حاصلة على نعت المخالفة، فما وجدت هذه البراهين إلا لإثبات وحدانية الله - تعالى-، ونزاهته عملا بقوله- صلى الله عليه وسلم-: « تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق»⁶، ليكون بهذا العلم الصحيح عند ابن العربي هو نور إلهي يقذفه الله في قلب عباده الصالحين من

1- ابن العربي، الموعدة الحسنة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1987، ص 6-7

2 - البخاري أبو عبد الله، صحيح الإمام البخاري، ج 04، (81) كتاب الرقاق، (41) باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، قام على نشره علي حسن، دار الزهراء للإعلام العربي، 2006، برقم: 6507، ص 290

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 187

4 - سورة فصلت، الآية 53

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 281

6 - هناد بن السري الكوفي، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمان بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط 1، 1985، برقم: 945، ص 469.

رسول، ونبي، وولي، ومؤمن صادق، لاغيا بذلك أن يكون للعقل مجال في كل شيء، لأنه ثبت عجزه، وتعطله في أشياء كثيرة.

2- قصور آليات الفلسفة في معرفة الله

2-أ- قصور العقل

توصف العجلة على أنها من الأخلاق الرديئة المصاحبة للنفوس الفاسدة، والتي لا تُهذَّب إلا بالتوحيد على وجه الخصوص، لأن أصل الإيمان هو الشهادة بوحداية الله - عز وجل¹، ما جعل ابن العربي يتخذ من هذه العقيدة الموحدة قاعدة، للإطاحة بكل تصور يماثل بين العبد وربّه، ونسج موقفا واضحا، وصريحا، ينادي بإستحالة إدراك العلم الإلهي من جهة العقل، قناعة منه بشلل هذا الأخير في العلوم الإلهية، ما يفرض خصوصية العلم الإلهي، والسير وفق شروطه مادام أن الشرع « يرشد إلى ما لا يدرك بمحض العقول... »².

أسس ابن العربي رأيه العازل لنشاط أهل النظر في ميدان الإلهيات، على حجج، وقرائن منطقية واضحة عند العامة، والخاصة بحيث لا يمكن نكرانها، منها إستحالة أن يتحرك الإنسان في جميع مراحل حركاته المنطقية، والاستدلالية في غياب العقل الذي بدوره يرجع إلى كل ما تقدمه التجربة، التي توفرها إحدى القوى الخمسة الحسية لدى الإنسان من شم، وطعم، ولمس، وسمع، وبصر، المعروف عنها التفاوت، والنسبية بين الأفراد، لعدم التساوي بينهم فيها، فالذي يدرك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين، وكلما زادت المسافة لا يدري هل المدرك إنسان أم شجرة، وهكذا سائر الحواس في مدركاتها من القرب والبعد³، فهذا الظن يثبت ضعف العقل البشري المرهون بواسطة الحواس عن إدراك الكثير من الحقائق الثابتة، ما ينفي أن يكون له مجال في إدراك ذات الباري، وصفاته،

1- الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 1، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، د ت، ص 283.

2- الجويني عبد الملك، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، ص 123.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 99.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

وأسمائه، وحكم أفعاله، وهذا ما برر به "ابن الجوزي" الخطأ، والإختلاف الذي وقع فيه الفلاسفة عندما تكلموا في الإلهيات، وما عرفوه في الحسيات كالهندسات¹...

تمثل الحواس الخمسة قاعدة أساسية للمدراكات الإنسانية من خصائصها أنها جزئية لا كلية، متباينة بين أبناء البشر، يختلف استخدامها بإختلاف الأوضاع، والأحوال المادية، والحسية، والزمنية، ما جعل بقية الوظائف العقلية التي تنهل منها عرضة للزلل، منها العقل الذي كلما إعتد عليه المُدرك في معرفة ذات الله أخطأ، لأن العقل لا يقبل إلا ما علمه بالبداهة، أو ما أعطاه الفكر، لذا كان من طلب الله بعقله « تائه وإنما حسبه التهيؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك...»²، وحتى وإن أراد العقل أن يستعين بوسائطه الأخرى كالذاكرة مثلا، فلا جدوى من ذلك، ما دام التذكر يحصل بالعقل الذي إذا ما تذكر قد يصيب أو يخطئ في علمه الذي تعلمه، ثم غفل عنه أو نساها ما جعل الذاكرة لا سبيل لها مع الله - تعالى -³، فالإنسان لا يعرف في الحقيقة إلا ما يشبهه، ويشاكله، والباري - تعالى - محجوب عن العقول، والأبصار⁴، ما يلزم نفي المماثلة، وقبول التنزيه حماية للأفهام، والأبصار من الغرق في بحر الجهل، والكفر⁵.

ابتلى الله الإنسان حسب ابن العربي من خلال أنه خلق فيه قوة تسمى الفكر، وجعل هذه الأخيرة خادمة لأخرى تسمى العقل، تظهر عجزه كونه يأخذ معارفه منه، رغم سيادته عليه، علما أن هذا الفكر لا يكون له مجال ينشط فيه إلا بحضور الخيال، الذي هو بمثابة الخزان الذي تجتمع فيه كل ما تعطيه، وتقدمه القوى الحاسة⁶، والخيال نفسه لا يكون إلا

1- أبو الفرج ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 48.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 101

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 101

4- المصدر نفسه، ج 2، ص 102

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 103

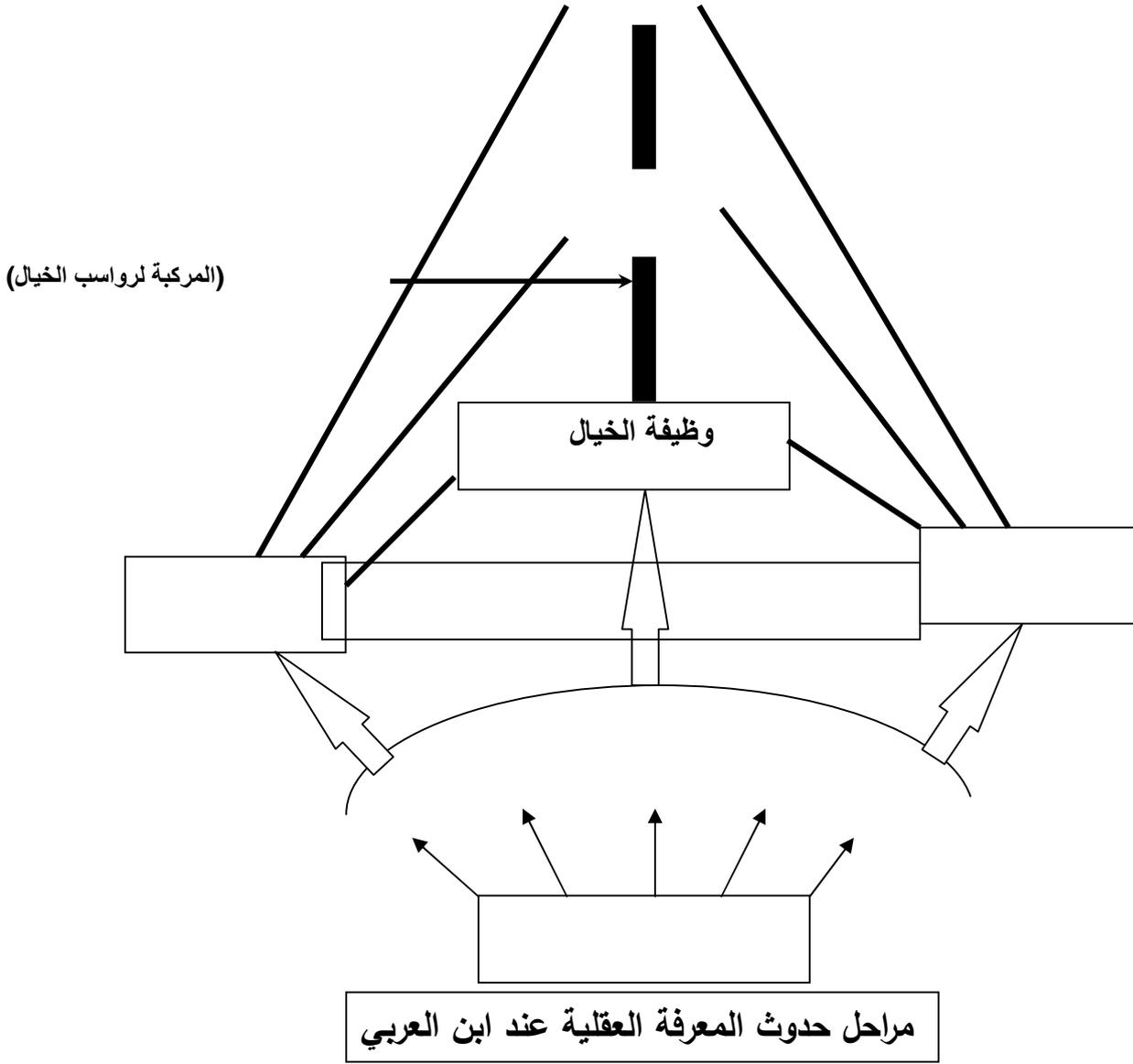
6- المصدر نفسه، ج 2، ص 253

بالقوة المصورة التي تكون مادتها الأولى المشكلة لها من المحسوسات، لذا حكم ابن العربي بفشل، وانتهاء طريقة أهل النظر في معرفة الحق عن طريق القوة الخيالية¹، ليبين بذلك أن كل ما يركبه العقل من صور يعتقد أنها خاصة، ولا يوجد ما يشبهها خطأ، لأن جميع أجزاء هذا التركيب كلها موجودة في الحس، ما يُحرّم على الإنسان أن يعرف إلا في حدود هذا الحس، عاجزا عن إدراك الباري - تعالى - لأنه ليس بمدرك بالحس²، والرسم الموالي³ يوجز مراحل حدوث المعرفة العقلية عند ابن العربي، والموضحة لحاجة العقل لقوى أخرى حتى يقوم بوظائفه دلالة على عجزه عن معرفة ذات الله - تعالى -.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 99

2 - المصدر نفسه، ج 2، ص 99

3 - عرابية سهام، منزلة العقل عند محي الدين بن العربي، ص 97



تتفاوت العقول البشرية فيما بينها حيث يعلو بعضها على بعض، والأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى، إلا على وجه عام، ومرد ذلك ليس الاختلاف في مراتب التعليم فقط، بل التباين في الغرائز البشرية، والتي لا دخل فيها لإرادة الإنسان، ومكتسباته، وهذا ما يؤكد ابن العربي حين قال: «...العقل خلق سانجا ليس عنده من العلوم النظرية شيء»¹، ما

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 253.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمنقلسفة في الإلهيات

جعلته عرضة للشك، والظن المانع عن بلوغ العلم الإلهي، لذا لا يدرك العقل معارفه الروحية ما لم تتضم إليه قرينة شرعية¹ تكون له كالدواء تنوره بنور وحيها لقوله - تعالى - ﴿أَوَمَن

كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾²، حماية له من شبهة التمثيل لأنه ما ظل من ظل من المشبهة إلا بتأويل، وتفسير الآيات الكريمة بمعزل عن أصلها الشرعي، ومن غير قدرة³، والباري - تعالى - منزه من أن تعرفه عقول ضعيفة، سخيفة⁴، لوهن إيمانها، وإتباعها هوى نفسها الضالة، فسبحانه «لا يشبهه شيئاً، ولا في شيء مثله فلا يُعرفُ أبداً»⁵.

حث ابن العربي كل إنسان سوي أن يوجه عقله إلى ما يفيد، ويخدمه عاجلاً، وأجلاً، فيشغل نعمة العقل في التدبر في كتاب الله - الحكيم - المؤكد لأمره - عز وجل - على التأمل في معاني هذا الكتاب، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه، وعواقبه لقوله - تعالى - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾⁶، لأن الاعتبار فيه مفتاح للعلوم، وتحصيل للمعارف⁷ التي تنزكي بها النفوس، وترقى حيث يقول ابن العربي⁸:

1 - الأصبهاني أبو القاسم، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ج 2، تحقيق ودراسة محمد بن محمود أبو رحيم، دار الولاية، ط 1، الرياض، 1990، ص 504.

2 - سورة الأنعام، الآية 122

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 103

4 - الأزهرى أبو منصور، تهذيب اللغة، ج 7، تحقيق عبد السلام سرحان، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ط، دت، ص 185.

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 102.

6 - سورة محمد، الآية 24

7 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2002، ص 190.

8 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 102

فيا أيها الإنسان ما غرّ ذاتكم برب يرى الأشياء تعلق وتسفل
فإذا كنت ذا عقل وفهم وفطنة علمت الذي كنت بالأمس تجهل
وذلك أن تدري بأنك قابل لقرب ويعد بالذي أنت تعمل

فالإنسان إذا ما تيقن بوحدانية خالقه - تعالى-، وأنه هو المخلوق، والآدمي الناقص من كل الوجوه، تدارك عن سخفه في محاولة أن يعقل الله بعلاقة المعقولات، فينظر في ذاته بنظر مشوب بآفة الوهم، والخيال، المزلة لقدمه عن الدين الكريم¹، فلا يتعجل بالحكم على نفسه بالقدرة على معرفة ذات الله، لإيمانه بأن ضعف عقله من قلة رأيه، وقلة رأيه من سوء أدبه المورث للمهانة²، وفي هذا ينشد يحيى بن منده³ التالي⁴:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ولمشتري دنياه بالدين أعجب

دعا ابن العربي كل إنسان صالح سليم الاعتقاد، أن يعوض قصور عقله عن إدراك الذات الإلهية، بتتقية قلبه حتى يؤمن الإنسان بالله ويشعر به⁵، فيهبه الله من معرفته علما روحانيا دون إقامة دليل عليه، ولا برهان لأنه وراء طور مدارك العقل⁶، هذا التعويض الذي يجعل من العبد يفنى في حب خالقه، فناء المحب في المحبوب، والخلق في الحق، فيصبح في حال روحه يشعر أنه ذاته من حيث هو محب قد غلبت عليه ذات محبوه وهو الله

1- الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 7، ص 56

2- ابن خلّكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 6، ص 170

3- أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، ولد يوم الثلاثاء 19 شوال سنة 434 هـ بأصبهان، وتوفي فيها سنة 512 هـ. من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث

البارزين، أشتهر بمكانته في الحديث، والعلم:/المرجع نفسه، مج 6، ص ص 178-180

4- المرجع نفسه، مج 6، ص 170.

5- A.Guthlin, les Pensées de Pascal, Reproduites d'après le texte autographe disposées selon le plan primitif et suivies des OPUSCULES, P.LETHIELLEUX, Libraire-Editeur 10 Rue cassette, 10, Paris, P 218.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 100

- تعالى¹، لتعم هذه النقاوة كامل جسد العارف الذي يكون إدراكه الجمالي مقرونا باللذة القصوى، التي يحسها لأنه يقف أمام حقيقة الحقائق، إذا ما تعامل مع العالم على أساس أنه انعكاس لخالقه، لذا يكون جماله من جماله².

2-ب- قصور الحس

دلّ الشيخ الأكبر بدلالة صوفية على أن الله لا يدرك من حيث ذاته، وكما هو في ذاته، بل من حيث وجوده، وكما هو في وجوده وبكلام أوضح أن « الله لا ينكشف أمام الفكر الإنساني، إلا في مظهر خارجي أجنبي عن ذاته»³، لذا شكك في أن تكون الحواس أساسا لمعرفة الذات الإلهية، لكونها عرضة لزلزلات الشيطان، يصيبها بـ« شبهاة التعطيل، أو وجود الشريك لله - تعالى - في ألوهيته»⁴، ناصحا من حاول الاعتماد عليها في البرهنة على وجوده، بأن يقوي إيمانه « بدلائل التوحيد»⁵ حيث يقول ابن العربي: « فإن الخلف للمعطلة ودفعهم بضرورة العلم الذي يعلم به وجود الباري فالخلفة للتعطيل، والشمال للشرك، واليمين للضعف، ومن بين أيديهم التشكيك في الحواس»⁶.

أعاب ابن العربي اعتماد السفسطائية على الحواس بمفردها، وجعلها قاعدة أولية في تحصيل المعارف، حيث قال: « ومن هنا دخل التلبيس على السفسطائية حيث أدخل الشيطان لهم الغلط في الحواس»⁷، مبرزاً أن استناد أهل النظر على الحواس جعلهم يقعون

1 - صهيب سمران، مقدمة في التصوف، دار المعرفة، ط 1، 1989، ص 10.

2 - الخطاب محمد، ميتافيزيقا الخيال عند ابن العربي، مجلة جماليات، تصدر عن مخبر الجماليات البصرية في

الممارسات الفنية الجزائرية، بجامعة مستغانم، العدد 2، 2015، ص 2

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 27.

4 - المصدر نفسه، ج 4، ص 394.

5 - المصدر نفسه، ج 2، ص 394.

6 - المصدر نفسه، ج 2، ص 394.

7 - المصدر نفسه، ج 2، ص 394.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

في التشويش، لعدم بلوغ اليقين فيما ذهبوا إليه باعتمادهم الحواس فقط، ما جعلهم يبطلون حقيقة وجود العلم المطلق لعجزهم عن الوصول إلى أدلة قاطعة¹، ما جعل براهين أهل النظر فاشلة، وكذا بديهياتهم في العلم الإلهي، وغيره إذ ما استندوا على الحواس، علما أن نفي هذا العلم يحتاج إلى علم قائم بذاته، حيث يقول ابن العربي: «فإن قيل لهم فهذا علم لأنه ما ثم علم فما سندكم، وأنتم غير قائلين به؟ قالوا وكذلك نقول إن قولنا هذا ليس بعلم وهو من جملة الأغاليط، فقد علمتم أن قولكم هذا ليس بعلم، وقولكم إن هذا من جملة الأغاليط ما نفيتموه»².

وضح ابن العربي بأنه حتى تقوم الحواس بعملها بشكل سليم، أن تكون موصلة بالعقل، على أساس أن هذا الأخير هو بمثابة الشاهد الحاكم، الذي يقوم بتصفية وتنقية ما تقدمه الحواس من معطيات، إذا كان محاطا بالأخلاق لأنه في غيابها يتسبب فساد العقل الحاكم على موت³ الإحساس الشاهد، لذا فإن خطأها مردّه ضعف العقل، لكونه مسؤولاً عن الحواس، لا العكس حيث يقول ابن العربي: «...الحس موصول ما هو حاكم بل شاهد وإنما العقل هو الحاكم»⁴، لأن الإدراك الحسي لا يكون حكماً للتجربة، إلا إذا دخل تحت التصور الذهني، وفي هذا السياق ثبت عند "ابن سينا" (980م-1037م) قوله: «لا سبيل لشيء من هذه القوى أن يتصور ماهية شيء مجردة عن علائق المادة... إلا النفس الإنسانية فإنها

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 394.

2 - المصدر نفسه، ج 2، ص 394.

3 - الموت: هو قمع هوى النفس لأن حياتها به ولا تميل لذاتها ومقتضياتها البدنية إلا به، بهذا يكون الموت مخالفة للنفس: /الكشاني عبد الرزاق، معجم الإصطلاحات الصوفية، ص 110. لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- لما رجع من جهاد الكفار قال: «قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه» / البيهقي أبو بكر، كتاب الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1987، برقم: 337، ص 165، لذا الموت هو التوبة لقوله: -تعالى- ﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَأَنْتُمْ لَكُمْ ۖ / سورة البقرة، الآية 54.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 395.

التي تتصور كل شيء بحده كما هو منقوصة عن العلائق المادية»¹، لذا فإن من أكثر الأخطاء شيوعاً هو الحكم على الحواس بالخطأ، في حين أن الغلط مصاحب للعقل لا الحس، علماً أن هذا العقل يقع في هذا الزلل إذ ما فارقتة الأخلاق الحميدة، وصاحبته الذميمة منها فيكون فاسداً، ويحرم من سلامة النظر لذا فإن « النظر ينقسم إلى صحيح وفساد»²، علماً أن المعيار الذي نقيس به مصداقية العقل حسب ابن العربي هو مدى إرتقائه في سلم الأخلاق ونبلها.

إستعان ابن العربي في تأكيده على صحة ما ذهب إليه بتقسيم جسم الإنسان إلى أعلى، وأسفل أو كما سماه "الشيخ الأكبر" ترتيب مدينة بدن الإنسان³ التي صورها الخالق - تعالى - فجعلها قسمين القسم الأعلى الذي هو الرأس، تتم فيه جميع الوظائف الحسية، والروحية، أما النصف الثاني السفلي، فيه تقوم الأعضاء الحسية بممارسة الوظيفة الأصل التي من أجلها خلقت، كحاسة « اللمس فتدرك الخشن، واللين، والحر، والبارد، والرطب، واليابس...»⁴، محاولاً إبراز أن الدور الحقيقي للحواس هو استقبال المعطيات المادية، من الوسط الخارجي، بما يوافق ويوازى سلامة العضو، واستمرارية البدن، أو كما قال: «... بها تجذب النفس الحيوانية ما به صلاح العضو... حتى يأخذ منه ما فيه منفعه»⁵، مؤكداً على أن هذه القوة الجاذبة الموجودة في أعضاء الحس، تفتقر إلى معيار يعدل، ويحدد ما تطلبه من المحيط الخارجي، فالإحساسات المعطاة تتحول إلى صور محلها النفس الفكرية كما أكد أرسطو طاليس (384-322 ق م)، ومن ثمّ تحكم على الحس، والقيح إما بالهروب منه

1- ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق موفق فوزي الجبر، دار الينابيع، د ط، 1996، ص 81.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 395.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 395.

4- المصدر نفسه، ج 2، ص 395.

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 395.

أو بطلبه،¹ وهذا ما يبرر حسب ابن العربي مختلف الأمراض، والعوارض التي تصيب الجسد إذ يقول: «اعلم أن المرض من الزيادة على ما يستحقه ذلك العضو، من الغذاء، أو النقص مما يستحقه... فهذه القوة الجاذبة ما عندها ميزان الاستحقاق»².

بين ابن العربي أن النقص الموجود في الحواس ليس عيباً، لأنها ما خلقت لإحلال التوازن، والاعتدال، وإنما كانت من أجل غاية إستقبال المثيرات الخارجية، لذا «...فحقيقتها الجذب، ما حقيقتها الميزان»³، لذا فمن الواجب أن يكون العقل سليماً، محاط بالأخلاق، والآداب فيما يطلبه من الحواس أن تقدمه للجسم، أو مدينة البدن كما اصطلح عليها ابن العربي وعليه فإن الحواس إذا ما أصابها الخطأ في الحكم، فمرد ذلك هو العقل السقيم، العاجز عن توجيهها، لذا أكد ابن العربي على أن الأعضاء الحسية يحكم عليها بالموت إذا ما قادها قائد هالك فاقد للأخلاق، ومحاسنها، المولدة للمعرفة، أي أن صفاء الأخلاق مسؤول عن وضوح الرؤية، وسلامة التفكير، وصلاح الإدراك، لأنه في غياب العقل الفعال لا ندرك⁴، لذا قال ابن العربي: «الحس هو الشاهد، مصيب على كل حال، وأن القاضي يخطئ، ويصيب»⁵.

سلط ابن العربي الضوء على أهمية الحواس، لأن بها يجد الإنسان مذاق كل شيء، ويتسنى له معرفته⁶، وللحرص أكثر على سلامة الحواس حاول ابن العربي أن يوازئها مع أركان الإسلام الخمسة، التي وصفها بأنها قاعدة إدراك العرفان، ومعرفة الرحمان، وعلم

1- أرسطو طاليس، كتاب النفس، نقله إلى العربية أحمد فؤاد الأهواني، دار الإحياء للكتب العربية، ط 1، 1949، ص 117.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 396.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص 396.

4- أرسطو طاليس، كتاب النفس، ص 113.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 397.

6- ابن العربي، شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ط 2، 1985، ص 73.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

الأيقان¹، من حيث الغاية، والقصد التي خلقت من أجله مؤكداً على أن الأولى هي بمثابة الثانية قائلاً: « فالخمس التي بني عليها الإسلام هي بمنزلة الحواس الخمسة فيك²، لذا كانت حاسة البصر لتدعونا إلى إقامة ركن الصلاة إستناداً لقوله - صلى الله عليه وسلم-: «...جعلت قرة عيني في الصلاة»³، وحاسة اللمس تذكرنا بأداء الزكاة لقوله-تعالى-: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾⁴، أما حاسة الذوق فهي تدعونا إلى الصيام لقوله- صلى الله عليه وسلم-: « كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به»⁵، وحاسة السمع كانت لغاية سماع الآذان لقوله-تعالى-: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾⁶، ولتكون حاسة الشم لاستنشاق أنفاس⁷ التوحيد⁸، ولما ثبت أن خطأ الحواس مرهون بخطأ العقل في تحصيل المعارف، وبلوغ اليقين، توجه ابن العربي إلى غلق الباب أمام أهل الحس في محاولة إدراك العلم الإلهي، الذي لم يثبت عندهم، لذا نادوا بالنسبية في كل ما حاولوا معرفته فقال: « فلما أظهر لهم الغلط في ذلك قالوا ما ثمَّ علم أصلاً يوثق به»⁹.

1- ابن العربي، شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ص 73

2- المصدر نفسه، ص 73.

3- أحمد أبو عبد الرحمن (الشهير بالنسائي)، سنن النسائي، (36) كتاب عشرة النساء، (01) باب حب النساء، تعليق ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، د ت، برقم: 3940، ص 609.

4- سورة التوبة، الآية 103

5- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (13) كتاب الصيام، (30) باب فضل الصيام، برقم: 1151، ص 309.

6- سورة الحج، الآية 27

7- ابن العربي، شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ص 74

8- التوحيد: هو الحكم بأن الله واحد ومعنى واحد هو نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله، وموضوعاته: /الفشيرى عبد الكريم، الرسالة الفشرية، ج 2، ص 462، وهذا ما أقتصره ابن العربي في مؤلفه عقيدة أهل الإسلام. بقوله أن ذات الله « لا تقبل الزيادة ولا النقصان»: /ابن العربي، عقيدة أهل الإسلام، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993، ص 52.

9- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 394.

لم يعب ابن العربي الحس من كل الجوانب إنطلاقاً من أنه شاهد على ما ينقل من مدراكات حسية، وأي زلل وارد مردّه حكم العقل عن تلك المحسوسات الواردة إليه، لأن «...الغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم»¹، لذا فأى تشويه في المعرفة سببه فساد الأخلاق، وعدم تزود العقل بخصال تحول دون وقوعه في الخطأ، لذا فإن وظيفة العقل الأولى المتمثلة في النظر، والتميز تبطل في غياب الأخلاق، فيقع في الضلال، والنتية مبينا أن الحواس بدورها بحاجة ملحة لمصاحبة الأخلاق، وإلا بطل دورها، وفسد، وإختلّ إتزانها على غرار فساد العقل. لذا كانت أفعال الإنسان، وحركاته لا تقبع لنواميس ثابتة، وإرادته دائمة التأثر بالأمور الطبيعية، والإجتماعية المتباينة².

أكد ابن العربي أن الأعضاء الحاسة إن لم توظف كما يجب بطل أدائها، على أساس أن الإكثار من طلب الملاذ، والمنافع يفقد فاعليتها، ونشاطها، لإختلال توازنها، لذا فكل من خانها عقله الفاسد، وحسه الميت نستطيع أن نصفه كما وصفه الفارابي (874-950م) بأنه واحد من أهالي المدينة الجاهلة، التي حرم أهلها من معرفة السعادة الحقيقية، وتدوقها لما «إعتقدوا أن غاية الحياة في سلامة البدن...والتمتع بالذات، والإنقياد إلى الشهوات»³ وهكذا فكل ما في البدن من أعضاء حسية، وقوى نفسية حيوانية، وشهوانية، وميزاجية كل ما يسري في سائر البدن فهو خاضع للنصف الأعلى منه، أو كما عبر عنه ابن العربي النصف الأشرف، محل وجود الحياتين حياة الدم، وحياة النفس لذا فكل عضو جسماني إذا ما فارقه العقل الصحيح فارقه الحياة، لأن العماء حليفه، والفساد محيطه، فلا يعطي علماً صحيحاً أبداً، ودليل ذلك أن الأعضاء الحسية تبقى موجودة، لكنها تحجب عنها المدركات الحقيقية التي وجب أن يقوم بها ذلك العضو فيقول ابن العربي: «أما التقوى فهي

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 394.

2- الفارابي، تحصيل السعادة، تقديم علي بوملحم، دار الهلال، ط 1، 1995، ص 51.

3- الفارابي، أهل المدينة الفاضلة، تقديم ألبير نصري نادر، دار الشروق، ط 2، بيروت، د ت، ص 28.

في محالها مازالت، ولا برحت ولكن الحجب طرأت فمنعت، فالأعمى يشاهد الحجاب ويراه وهو الظلمة التي يجدها، فهي ظلمة الحجاب فمشهده الحجاب»¹.

لا يعطينا العالم الخارجي سوى أحاسيس منفصلة، ومثيرات متفرقة قابلة للتغيير في تعاقبها، لذا فإن العقل هو عنصر فعال، ومحرك نشيط يُحوّل، وينظم تلك الإحساسات المادية المشتتة إلى أفكار محكمة، فالآثار الحسية هي المادة الخام التي نبدأ منها، وعامل مهم في تفعيل العقل، وهما آليات خادمة لنا تنتظر دعوتنا ولا تأتي إلى أذهاننا إلا إذا إحتجنا إليها²، لذا من الأجدر الحرص على تطويقهما بالأخلاق كي نضمن لهما السير الحسن في تأسيس التماسك الفكري، وإحترازه من الوقوع في التنازع مع ذاته، بإجتنابه التحرك حسب الأهواء والمصادفات لأن لهما نظاما دقيقا يحكمهما، محركه الأول هو العقل الحاكم، الفائز بنفس عاقلة، متوازنة، صالحة بأن تكون مؤثرا صحيحا، ومبدأ قوي للجسم الحي، ما دامت أن « النفس علة من حيث أنها أصل الحركة، وأنها غاية...وجوهر الأجسام المتنفسة»³، لذا عندما تبتعد النفس عن الأخلاق تكون بمنزلة النار، ومحل للظلمة، وتتحول إلى منبع شر، ووسواس⁴.

استطاع ابن العربي التمهيد لمبدأ انطلق منه أشهر المذاهب الفلسفية، في الفترة الحديثة وهو المذهب النقدي بقيادة الألماني كانط الذي وفق بين النزعة العقلية، والحسية ليبلغ « نقطة أبعد بكثير من مجرد التقابل بين الفكر، والحس فبالإحساسات نستطيع الوصول إلى علم صحيح، لأنها تخضع كما يخضع الفكر نفسه لصورة عقلية أولية»⁵. إن

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 397.

2- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، ط6، بيروت، 1988، ص 338.

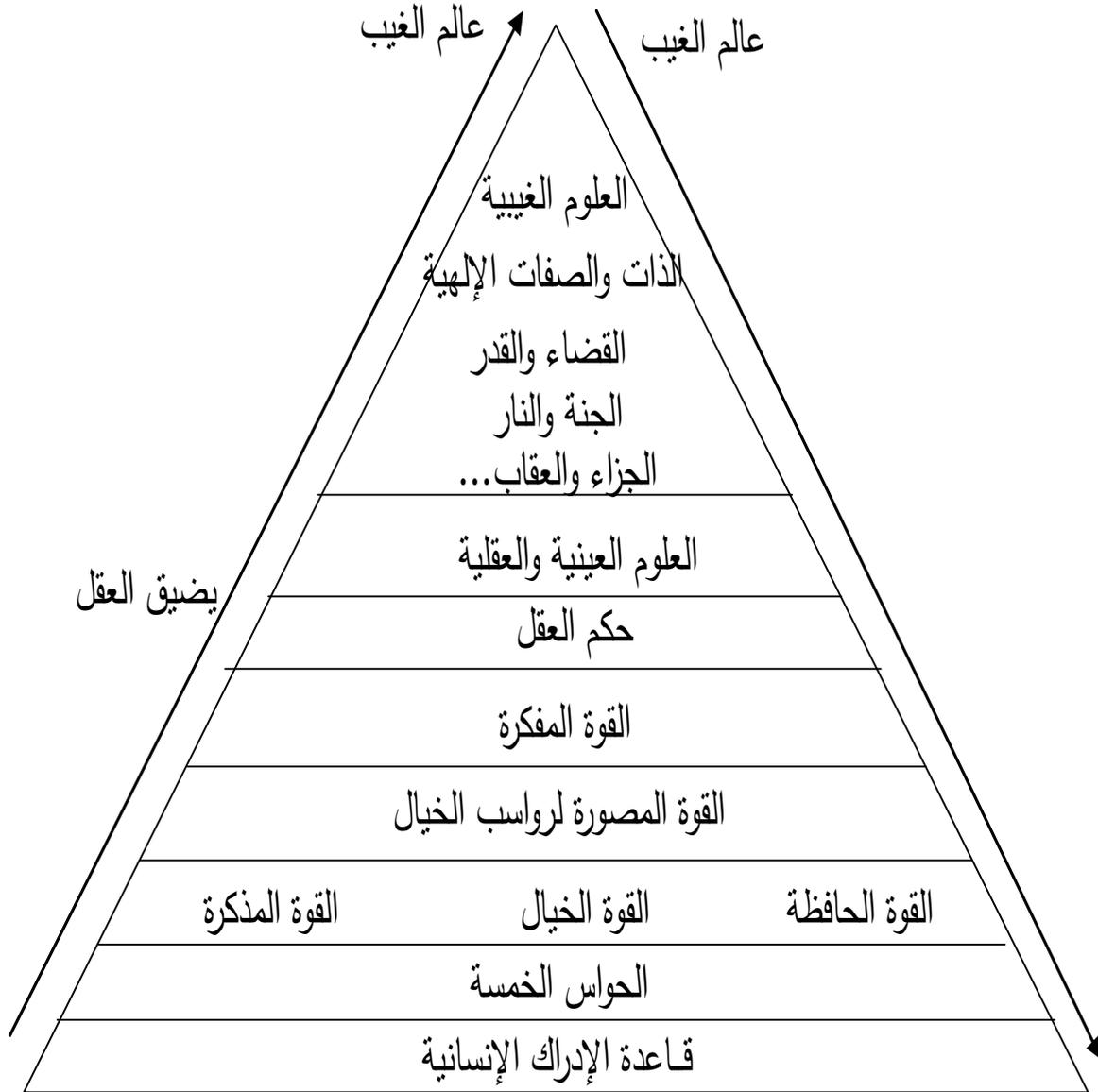
3- أرسطو طاليس، كتاب النفس، ص 54.

4- ابن العربي، شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ص 69.

5- أرفلد كولبي، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلاء عفيفي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 5، 1965، ص

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

موقف ابن العربي من نشاط أهل النظر شبيه بالهرم يتسع من القاعدة ليشمل كل العلوم الإنسانية، النابعة من الحس، والعقل، ويضيق كلما إتجه هذا النشاط نحو الأعلى، أين يلاقي العلوم الغيبية، ويقبلها بتسليما خالص لا بإستدلال واهي، ما يلخصه الرسم الموالي:



ومما سبق تقديمه يتسنى لنا حصر مجموعة من النتائج أفرزها موقف ابن العربي المطيح بأعمال أهل النظر من متكلمة، وفلاسفة في الميدان الإلهي، وهي كالتالي:

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

- استحالة أن يكون أهل النظر الأعم بالله وصفاته، وأسمائه، وآياته من السابقين الأولين، من إتبعوا الله، ورسوله، بإحسان، وهم ورثة الأنبياء، والرسل، أو كما عبّر عنهم ابن القيم الجوزية بـ "مصاييح الدجي وأعلام الهدى".
- إن الفلسفة ميدان عقلي عاجز عن بلوغ العلم المطلق لأن العقل ليس هو الصورة الوحيدة للجزم في ذلك.
- إن الأدلة العقلية لا تفيد اليقين لقصور آلياتها.
- إن علم الكلام لا يقوم إلا إستنادا على العقل والخوض في المسائل الإلهية، جعلته يخلط الفلسفة بعقائد المسلمين.
- توافق ابن العربي، و"الرازي الفقيه" (544هـ-604هـ) في عدم جدوى الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية في معرفة الله - تعالى - مقارنة بالقرآن الكريم المعظم للخالق - تعالى -، المانع من التعمق في الغيبات، لعلمه بقصور العقول البشرية، وتلاشيها في مثل هذه المضايق العميقة¹
- إن علم الكلام عند ابن العربي وسيلة لغاية هي إعادة صاحب النظر المبتدع إلى طريق الحق، بإتباع أسلوب الإقناع لا الترهيب.
- إن تحريم الكلام في ذات الله سببه خشية إثارة الشبهة، وإحلال البدع.
- إن تقليل الكلام يحفظ الخلاف، ويقابل بالعمل، والاجتهاد الجالب للخير، والراحة النفسية.

1- الرازي فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، د ط، د ت، ص 8

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

- توافق كل من ابن العربي، والغزالي... في أن نعمة العقل جعلت للتفكير في المصنوعات، ووسيلة لرسوخ اليقين في قلوب العباد المستبصرين، فاستدلوا عليه بصفاته فعلموه، ووحده، وشاهدوا عظمته فنزهوه¹.
- إن الإسلام دين عقيدة، وعمل حقائقه تتصف بالحرارة الإيمانية النابعة، عن السلوك السوي، والصحيح تبني عليها الحياة الإيمانية السامية.
- إن المقررات الصحيحة نتلقاها من النصوص القرآنية، البعيدة عن رواسب الجاهلية، والنتائج الفلسفية الظنية في العلم الإلهي.
- إن التعارض بين الوحي، والعقل مرده إما الجهل بالوحي، أو سقم بالعقل، لأنه لا يجوز التعارض بينهما.
- إن الأخذ بالكتاب، والسنة كمنهجين أصليين فيه فوائد عدة منها تسهيل الإتحاد بين المسلمين، والتقليل من تعدد الفرق، والأحزاب الداعي إلى الإسلام بدل التنفير منه.
- إن صعوبة التحكم في اللسان العربي صعب مهمة إخراج اللفظ من المجاز، إلى الحقيقة ما أسقط وظيفة التأويل الأولى.
- إن نتائج أهل النظر في المجال الإلهي واهية، لأنها خلاصة العقل الذي قد يخطئ وقد يصيب، لذا كان النظر الفلسفي منهج غير آمن للتوغل به.
- إن الدخول على العلم الإلهي بالبرهان العقلي طريق نحو الشبهة، والبدع، لذا من الضروري التسليم بالغيبيات، لأنه أضمن من الوقوع في الكفر، والضلال.
- عدم تضييع الوقت في التوهم ببلوغ المنطق، والتوجه إلى الاهتمام بتقويم الحياة، وبناءها على أساس الإيمان الصادق، والتوحيد المطلق.

1- الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، ط1978، 1، ص 13.

الفصل الأول: أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات

- إن الإيمان المطلق بالقرآن وإعتباره كلام الله القاطع، والجازم قاعدة للعقائد الإيمانية السليمة، وسببا في تجاوز التأويل، وعدم الميل إليه، وجعل طريقة أهل النظر في معرفة الحق عرضية كلما قورنت بالكتاب، والسنة.

- إن ربط ابن العربي لاتزان الإحساس بنشاط العقل السليم إيمانا منه بنسبية العقل الذي من شأنه الزيادة، والنقصان، ممهدا بذلك لفكرة المؤسسة للمذهب النقدي، الذي لطالما عرف به الألماني كانط عندما إنتقد المذهب الحسي، والعقلي على التقصير في التحصيل المعرفي، والذي يرفع عنده بتقريبهما، وتكاملهما.

- إن ابن العربي بهذا الربط يكون قد تجاوز فكرة التقابل بين الحس، والعقل من خلال المزج بينهما فوجود الإحساسات هناك إمكانية تقديم علم صحيح إذا ما تم سكبه في إناء العقل الصحيح المتخلق.

- إن العلاقة التي أحدثها ابن العربي بين الحس، والعقل تقرأ من وجهتين: الأولى أثبت من خلالها أن فشل الحس مرده العقل الفاسد، المفارق للأخلاق، والثانية أن العقل إذا ما وثق عمله بالأخلاق كان عقلا ساميا، وديناميكيا يتلقى، ويرتب، وينظم، ويصوغ المدركات الحسية.

الفصل الثاني

أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي

أولاً: مظاهر فساد العقل المفارق لأخلاق التوحيد

1- وهم العقل المتطلع للغيبات

2- تشويه العقل للمعاني الروحية

3- انحراف العقل عن العبادة والتأمل

ثانياً- أخلاق التوحيد معيار تفاضل العقول.

1-العقل الفطري

2-العقل المكتسب

3-العقل الوهبي

ثالثاً: طبيعة أخلاق التوحيد عند أهل الله.

1- ظلمة الليل نور عند أهل الله

2-الفتنة مقام قوة عند أهل الله

3- الورع واجتناب الشبهة من أداب أهل الله

أولاً: مظاهر فساد العقل المفارق لأخلاق التوحيد.

أكد ابن العربي في غير موضع على أن العقل السليم المغذى بالأخلاق الصافية، وسيلة أولية وفعالة في السيطرة على الغرائز، وانتعاش النفوس، وإحيائها بعلاجها من أسقامها كلما فارقت هواها، لذا كان العقل عند ابن العربي وغيره ميزة الله في خلقه، به فارق الإنسان الحيوان ليقوى على تأدية فرائض الخالق - تعالى - في الدنيا، وحجة عليهم في الآخرة، فحرص على ضرورة تغذية العقل تغذية سليمة، لا توفرها إلا القيم القائمة على كتاب الله، وسنة نبيه، فما هي ملامح فساد العقل؟ وما أسباب إبتعاده، وعجزه عن تأدية وظيفته الأولى "التمييز"؟ وما الذي دفع بابن العربي إلى إحداث فرق بين العقول؟ فكان عنده عقل فاسد، وآخر سليم؟ ما هي حقيقة كل منهما؟ كيف جعلنا هذا التفريق نؤكد على إلزامية ربط العقل بالأخلاق عنده؟. هل سفه العقل وخفته، وقلة حلمه، مردّها بالدرجة الأولى غياب الأخلاق؟ إلى أي مدى نستطيع إثبات أن الأخلاق شرط إلزامي لحدوث النشاط العقلي السليم عند ابن العربي؟.

1- وهم العقل المتطلع للغيبات

تظهر عوارض سقم العقل عند ابن العربي لما فارقت الأخلاق في توهمه القدرة، والاستطاعة على معرفة الغيبات منها العلم بالله، حيث وجد ابن العربي من حاول فهم هذا العالم قد أثبت ضياع ذاته، لأن الذات الله منزّهة، والعلم بها محال¹، لذا وجب أن تحصن النفوس بالإيمان المطلق، المبني على الخشية، والتورع مع الله، كي تحمي نفسها من الولوج إلى مثل هذه القضايا حيث يقول ابن العربي: «...أن العقول بأسرها قد علمت قصورها وجعلها بحقيقة ذات باربها»²، ومن الصائب ترويض النفس، وتنقيتها لأن الحكمة التي يدور من حولها العطاء الإلهي هي تأييد البشر أصحاب النفوس الزكية، بقوة روحية لا يعرفها إلا من آمن بقلب صافي، بحقيقة

1 - ابن العربي، كتاب الوصايا، جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1، 1948، ص 3.

2 - المصدر نفسه، ص 2.

الفصل الثاني:.....أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي

العوالم الروحانية، فَيَثْبُت في سَيْرِهِ بِسَلام في عالمه الجسماني، مدركاً كل الإدراك أن الإنسان ما خلق إلا للطاعة، والعمل بما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه، حيث يقول: ابن العربي « أعلم أن متعلق القلب تفصيلاً مجملاً له وبروز مستأجنته بخروج ما في القوة إلى الفعل»¹، فيسيطر بذلك على الذات، ويمنعها من أن تتعب خاطرها في التفكير في العلم بالله².

أكد ابن العربي على أن الطبيعة البشرية شهوانية بطبعها، لذا يصعب تركها بمجرد التفكير فيها، إنما هي بحاجة إلى وسائل روحية تُعينها على الارتقاء، ما جعل الأخلاق عنده معدّل لهذه القوى الطبيعية الداعية للمعاصي، إذ كلما تحكّم فيها الإنسان المسلم بتغليب كفة العلم، والحكمة ابتعد عن الحضيض الأسفل، ليصعد إلى العالم الروحاني فيتشبه بصفات الملكية، مزيلاً بذلك غبار المطامع الحيوانية، ودليل ذلك قوله - تعالى - ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾³، المشيرة إلى أن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، فيجعله إماماً للناس بحسب حاله، يستضاء بنوره⁴، علماً أن الخالق - تعالى - لا يضع هذا العلم، وهذه الحكمة إلا في المحل المناسب لها كونه الأعمى بذلك، تأكيداً على أن لا رفعة، و لا سعادة إلا في الروحانيات⁵، ما يجعلنا نسلم بأن غياب الأخلاق عن العقل تجعله عرضة لتقلبات المزاج، والعواطف، ما يحول بينه وبين إدراك هذه الحقائق، حيث يقول ابن العربي: « العقل بمنزلة القمر، يستنير في فلك السماء ،تارة يزيد، وتارة ينقص»⁶، لذا

1- ابن العربي، العجالة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، القاهرة، د ط، د ت، ص 18

2- ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 3.

3- سورة الأنعام، الآية 83

4- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 263.

5- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 13، دار الفكر للطباعة والنشر،

ط 1، 1981، ص 66

6- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، ط 1، القاهرة،

1987، ص 24.

فالأرواح البشرية، والنفوس الناطقة كلما فارقت أبدانها إشتدت، وقويت بما في العالم الروحاني من انكشاف للأسرار الروحانية¹.

حرص ابن العربي على الانكباب على العلوم التي تفيد في التعامل مع هذا الميدان لأن العلم بما سوى الله لا حاجة لنا به²، مناديا بكل قوة كل مثلهف لنيل رضى الله - تعالى- أن يوجه نشاطه ليصبه على العلوم الشرعية، الضامنة للسير الحسن، والتوجه السليم، حيث يقول ابن العربي: «اعلم أن علم الدين أفضل ما يجوزه العبد من المراتب، وأشرف ما يكتسبه من المكاسب»³، ولا يحصل هذا إلا بقطع الشهوة لأنها «مفتاح الخطيئة والخطيئة مقام من النار»⁴، مؤكدا عل أن هذه التزكية، والرفعة هي هبة من الله - تعالى- لعباده الصالحين، لذا قال "أبو طالب المكي"⁵ (ت 386 هـ): « شتان بين عبد منقطع الشوق إلى المولى وبين عبد منقطع بالهوى معانق الدنيا»⁶، الأمر الذي يدفع حسب ابن العربي إلى ضرورة التسليم بأن العلوم الإلهية ليست من المجالات التي نستطيع الدخول عليها بوسيلة العقل، لأن المعرفة المستفادة منه «منحصرة، مقيدة بالدلائل، والآثار بخلاف معرفة الإيمان

1- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 30، ص 149

2- ابن العربي، الوصايا، ص 2

3- كتاب شرعة الإسلام إلى دار السلام، رسالة رقم 13، من الورقة 191 ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

4- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، تقديم محمود إبراهيم ومحمد الرضواني، مكتبة دار التراث، ط 1، 2001، ص 248.

5- وهو أبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي الحارثي العجمي، إمام من أئمة الصوفية، وكتابه قوت القلوب أصل من أصوله، لم يحدد المؤرخين تاريخيا مولده إنما ذكروا أنه هاجر إلى مكة دون ذكر سبب هذه الهجرة، فنشأ بها ونسب إليها، والغريب في أمر هذا المفكر إغفال المصادر الصوفية له رغم رسوخ قدمه في مجال التصوف، إذ لا توجد له ترجمة في طبقات الصوفية للسلمى رغم أنه تم تأليف هذا العمل بعد وفات أبي طالب المكي، ولم يذكره القشيري بين شيوخ رسالته:/ المرجع نفسه، ج 1، ص ص 6-12.

6- المرجع نفسه، ج 1، ص 318.

فإنها مطلقة»¹، وهو ما لا يصدق على العلم بالله، لذا كان العقل للتدبر، فبدل إجهاده في الخوض في مجال الغيبيات، لذا نصح ابن العربي بأن ينشط في تأدية الوظيفة الأساسية التي من أجلها كان وهي التعبد، والاعتبار في مدركات هذا الورى، لما فيها من زيادة في درجات الإيمان، والتسليم بقوة الواحد الأحد، لأن هذا ما يضمن نشاط العقل، واطمئنان القلب الذي به يطلع الإنسان على « محاسن جمال الله... فيذوق لذة أسمائه، وصفاته... فلا شيء من المخلوقات يذوق مالي الله تعالى إلا القلب»².

حذر ابن العربي من الثقة الزائدة، والاعترار بقدرة العقل في مجال الغيبيات، وصدق براهينه فيها لما في ذلك من مزلّة للأقدام³، ومن أنكر ذلك من أنصار هذه الطائفة ضائعاً، متوهماً بكمال أدلته⁴ كما عبر ابن العربي عن ذلك لإستحالة الجمع بين الحق، والعالم، ومن فعل ذلك فقد أجاز على الحق ما جاز على العالم وهو محال⁵، وما دامت الذات الإلهية بحر هلاك للعقول بالذات⁶، فنصح بتزكية النفوس وتنقيتها بحب الذات الإلهية، والخوف منها، بدل المغامرة بمحاولة معرفتها، لأن الاستغراق في حب الله بكل صدق، ووفاء يولد نور يشرق لينفذ إلى كل جوانب النفس، فيزيد من إيمانها ما دام أن « العقل لا يعرف الله إلا بنور الإيمان»⁷، فينبغي « للعاقل أن يتعرض لنفحات الوجود و لا يبقى مأسوراً في قيد نظره وكسبه فإنه على شبهة من ذلك»⁸، فالإنسان لا يقترب من العالم الروحاني إلا بتجريد نفسه

1- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997، ص 165.

2- المرجع نفسه، ص 162.

3- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 12.

4- ابن العربي، كتاب الفناء في المشاهدة، جمعية دار المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1942، ص 7.

5- ابن العربي، كتاب المسائل، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 3-4.

6- المصدر نفسه، ص 3.

7- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 165.

8- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 3.

عن علائق الأجسام، وصرف القلب كله عن هذه الدنيا، والتلبس بالذكر، والصلاة، وجميع الأعمال الصالحة¹، لذا نصح ابن العربي بتعويض هذا الفساد بطاعة الله ما دام أن « ليس لعقل المعاش إلا معيار واحد وهو الفكر، وليست له إلا كفة واحدة وهي العادة، وليس له إلا طرف واحد وهو المعلوم...»² كما عبر عن ذلك "الجيلي عبد الكريم" (ت 826هـ)، لذا فهو موجه لعالم الوجود، والمعاش، ومن ظن غير ذلك فلقد ضل، وهلك، حيث يقول ابن العربي: « فمالك يا أخي تبقى في هذه الورطة فلا تدخل طريق الرياضات، والمجاهدات التي شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم فنتال ما ينال»³، تصريحاً واضحاً منه على ضرورة ربط العقل بالآداب الأخلاقية⁴، كي يبلغ طالب الحقيقة المعرفة الأحق.

نصح ابن العربي بمجاهدة النفس، لإيمانه بأن كل صاحب عقل سليم، صحيح الاعتقاد له القدرة على تجنب اللذات الحسية الفانية، المنقطعة ليستقبل المعرفة الروحية الدائمة، الضابطة للذات، القائمة للهوى، المطهرة للخطايا، والطبائع السلبية المزكية للفرد، فيتلقى المعارف من الله، وهو ما لا يمكن حصوله إلا بهذه المقدرة، فتوهم العقل بقدرته المطلقة على معرفة كل المدركات، مع إهماله للأخلاق جعله محروم من معرفة الذات الإلهية، وكذا الوقوع في فساد آخر هو اعتقاده الباطل بمعرفة معنى الجلالة -الله-، لأنها « مقدسة عن التقبيد»⁵، بعيدة عن التحديد، في حين أن العقل « هو النور الموزون بالقانون الفكري، فهو لا يدرك إلا بآلة الفكر»⁶، فهو صالح لكل ما هو مرئي، عيني، وجزئي، قابل

1- البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 21، دار الكتاب الإسلامي، ط القاهرة، 1984، ص 29.

2- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 164.

3- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 4.

4- **Ibn Arabi**, l'interprète des désirs, Présentation et traduction de Maurice Gloton, Avant-Propos de Pierre Lory, Albin Michel, Paris, 1996, P 320.

5- ابن العربي، كتاب الجلالة وهو كلمة الله، جمعية دار المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1942، ص 3.

6- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 164.

للتركيب، والتحليل، وهو ما لا يجوز على معنى الجلالة لأنها «غيب مطلق لا غير»¹، علما أن العقل إذا فارقت الأخلق الشرعية زلّ، لأن من «أمر السنة على نفسه قولاً، وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً، وفعلاً نطق بالبدعة»²، فاسم الجلالة متميز عن كل الأسماء، والأوصاف.

حتى يثبت صحة ما ذهب إليه، بين ابن العربي أن الشرع لما صرح بالربوبية قال: «من عرف نفسه عرف ربه ولم يقل من عرف ربه عرف نفسه فإنه لا يصح»³، فكانت الربوبية أقرب باب لنا ولم يتسن للعقل الإنساني معرفتها فمن أين له أن يدرك الألوهية لذا فكلمة الجلالة -الله-، تاهت فيه العقول، والأبصار ما يؤكد حقيقة أن الخالق - تعالى - منزه على أن تراه عين أو يدركه العقل⁴، لأنه هو «...الجامع المحيط»⁵، وما نعرفه عنه إلا أسماء التي ندعوه بها، لأن الله «أعرف من كل معروف، وأبين من كل دليل، فالأشياء عرفت به في الحقيقة وإن كان عرف بها في النظر، والإستدلال بأفعاله وأحكامه عليه»⁶، وفي هذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «...أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري...»⁷، فالمعرفة الروحية لا تنتهي لذتها لأن ما ناله المرء منها مبني على قاعدة شرعية واضحة الحدود، مفرقة بين الروح الخبيثة الجاهلة، والعاصية، والروح المطيعة الراغبة في معرفة الله - تعالى - في حدود ما يسمح به دينه

1- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 3.

2- المرجع نفسه، ص 3.

3- ابن العربي، كتاب الجلالة وهو كلمة الله، ص 7.

4- عرابية سهام، منزلة العقل عند محي الدين بن العربي، ص 75

5- ابن العربي، كتاب الجلالة وهو كلمة الله، ص 9.

6- ابن القيم الجوزية شمس الدين، كتاب الفوائد، دار نور الكتاب للنشر والتوزيع، ط 1، 2010، ص 35.

7- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 06، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، د 1، د 2،

برقم: 3712، ص 246

الكريم، والعمل على طاعته الدائمة حفاظا على نقاوة القلب الذي شبهه "الجيلي عبد الكريم" بأنه « كالثوب الأبيض ينطبع فيه أول ما يقع عليه»¹.

ينقص صفاء القلب، وتقواه بإنصرافه عن مكارم الأخلاق، فيحرم من الرؤية، لكن كلما حافظ على «...فطرته التي خلقه الله عليها تقلبت له الأمور حسب ما يحب، ويتصرف في الوجود كيف ما يشاء»²، لأنه - سبحانه - أوجده متناسبا للأعضاء، منتصب القامة لم يفتقد مما يحتاج إليه ظاهرا أو باطنا شيئا وهو ما لا يجب تضييعه باللهو كما فعل من رضي لنفسه بأسفل الأمور، فردّه الله في أسفل النار موضع العصاة³، وهو ما يترجمه قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁴، عكس من عظم نعمة خالقه عليه، فأخلص في إيمانه له بأن عمل صالحا يرضاه، بالمحافظة على أخلاقه، والحرص على توحيده، فيسهل القبول الجازم لحقيقة الخالق الغيبية المتعالية على كل الخلق، لقوله - تعالى-: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾⁵، وهذا ما أكدّه ابن العربي بقوله: «لولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث النظر العقلي»⁶. فهذا القبول، واليقين بوجود الربّ - سبحانه - واحد لا شريك له، يجنب النفس فقدان طمأنينتها، ووقارها عند الله، وعباده، كما يبعدها عن الانحراف، والضلالة، المفردة من مختلف صور التشبيه، والتمثيل لأن «الله رب

1- الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 161.

2- المرجع نفسه، ص 160.

3- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 929

4- سورة النّين، الآية 4.

5 - سورة إبراهيم، الآية 10.

6 - ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط، د ت، ص 15.

الأرباب...»¹، فهذا الاستعداد، والخشوع مع المجاهدة² تمكن العبد من تعلق روحه من العالم السفلي، وعروجها إلى العالم الروحاني العلوي، لتستقبل نفحات الخير، وألطف الحق لأن هذا العبد يجازى حتما بالثناء من مولاه، والقرب منه لعبادته، ولا يكون ذلك إلا لأوليائه المتقين، وعباده الصالحين³، لأن من بالغ في المجاهدات نال المشاهدات.

2- تشويه العقل للمعاني الروحية.

يُحرم العقل من تذوق المعاني الروحية، ومعايشتها لعدم مقدرته على تحصيل حقائق هذا العالم، لأن العقل مطبوع على التمييز، مجبول على التحسين، والتقيح⁴ لا أكثر، مرهون باستدلالات تقدمها التجربة الحسية، في حين أن هذا النوع من المعارف لا يكون إلا بمجاهدة النفس، ومن جاهدتها فقد جاهد الدنيا⁵، ومن تمكن من ذلك عرف معاني هذا الوجود ما دامت أن النفس «مجبولة على الشهوة مطبوعة على الأمر بالهوى»⁶، فما خلق الله هذا العالم باطلا إنما لغايات، ومقاصد لا يقف عليها إلا المتورع، ولا يتعامى عنها إلا الجاهل

1- ابن العربي، التنبهات على علو الحقيقة المحمدية العليا، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط، القاهرة، 1988، ص 44.

2- المجاهدة: يقول فيها: - تعالى - ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ /سورة العنكبوت، الآية 69، ولما سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم- عن أفضل جهاد قال: «...كلمة عدل عند سلطان جائر»: / أبو داود سليمان، سنن أبي داود، (31) أول كتاب الملاحم، (17) باب في الأمر والنهي، برقم: 4344، ص 778. وفيها يقول: «ذو النون المصري» «إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء، الأول ضعيف النية بعمل الآخرة، والثاني صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم، والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل، والرابع أثاروا رضى المخلوق على رضى الخالق، والخامس إتبعوا أهوائهم وتركوا سنة نبيهم وراء ظهورهم، والسادس جعلوا زلات اللسان حجة لأنفسهم»: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 101، ويجوزها ابن العربي على أنها «تحمّل الأذى البدني»: / ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948 ص 9.

3- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 318.

4- المرجع نفسه، ج 1، ص 325.

5- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 3، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1993، ص 346

6- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 325

المتوهم، لذا نجد سفن الأفكار تجري في بحار التوحيد، لتري من عجائب الأنوار، وغرائب الأسرار، من أنوار الملكوت، وأسرار الجبروت لا يقوى عليها إلا كل مجاهد للنفس، شاعر للنعمة، ظافر بحضرة القدوس¹، ما جعل ابن العربي يقول: « فإذا صفت النفس وصقلت مرآتها قابل بها الحضرة الذاتية ليهبها الحق من المعرفة ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة »²، وما يؤكد هذا أن الإنسان إذا ذاق شهوة من شهوات النفس، بعين الهوى أخرجته عن حدوده، فتخطفه الشياطين، وتهوى به الرياح إلى مكان سحيق³.

لذا كان الإسلام ثم الإيمان من أول ما يجب أن يتوفر في المرید، مع شرط المداومة على الطاعة، تأكيدا على صدق قوله، وفعله، وحاله، وحقيقة صبره على مجاهدة نفسه، رغبة منه في تنوير قلبه بالعلوم الصادقة، المغذية لروحه، والموجهة لنفسه، فيتزكى ليقترب من ربه سبحانه، حيث يقول: ابن العربي « أسألك إتمام ما توجهت إليه... أن تكشف لي فيه عن وجه الحكمة القناع، وأن تصحبنى في التسيير والإبداع... إنك كاشف الأسرار ومفهومها »⁴، وهو ما لم يذقه من اعتمد على نظر أعزل يرفض التصديق إلا إذا برهن، وركب، وجزأ بمعزل عن ما يحوطه، ويحميه من الوحشة، والوقوع في المخاوف، والمتاهات⁵، لذا فكل من اقتصر على ما احتوت عليه ذاته مما أودع الحق فيه، وحفظ قلبه، وسره الكلي من التشتت، والتشعب بالتعلقات بالمطالب الجزئية كان غناه، وقوام الطبيعة الروحانية، ثم الإلهية وثمرتها أوفر، وأتم⁶.

1- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 4، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1999، ص 381

2- ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 3.

3- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 261.

4- ابن العربي، توجهات الحروف، مكتبة القاهرة، د ط، د ت، ص 4.

5- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمرید منه، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1987، ص 3.

6- ابن العربي، العجالة، ص 18.

إن حرص ابن العربي على محاربة الهوى كونه علامة على تقوى الله، ومعرفة لحدوده، ما يولد الثقة في النفس المسلمة المطمئنة، والإقبال على الله - تعالى - بعيدا عن كل فكر، وفهم¹، ووهم يلهيه عن رؤية الكمال الإلهي في مخلوقاته، هذه الرؤية المتكاملة تجعل منه لا محالة عبدا متواضعا، مؤدبا، رحيفا، خيرا، قريبا من الله في كل ما يفعل لنقاوة قلبه، الذي هو أشرف ما فيه لأنه محل نظر الحق، ومنصة تجليه، ومهبط أمره²، ما دام أن الدعوات تستجاب انطلاقا من القلب الطاهر الذي يصدق في تعليق رهن رجائه بخالفه سبحانه سامع الدعاء، ومستجيب النداء حين يشاء، وهذا ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم- «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»³، لذا دعا ابن العربي إلى ضرورة الرجوع عن تلك العقائد الزائغة، والأقوال الفاسدة الناجمة عن المفهوم المشوه للمعاني الروحية، مثل الاتحاد والحلول، إذا ما أدخلنا عليه أداة العقل وتفسيره البرهاني الاستدلالي، وحتى يوضح ابن العربي المعنى الحقيقي للاتحاد والحلول ساق الحجة التالية قائلا: « أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس وأن الشمس انتقلت إليها بذاتها وإنما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه»⁴، فالقمر عاكس لنور الشمس كما يعكس الخلق قدرة الخالق على بديع صنعه.

تدرك كل نفس موحدة، وتائبة دون شك، ولا نقاش أن الاتحاد والحلول لا يليق بالربوبية لأن الله هو الخالق، والعالم هو المخلوق كما أن الله ليس حالا في العالم إنما هو خالقه، ومدبره، بيده خزائن الخير، والشر، يجازي الناس ويعاقبهم بما كانوا يعملون، وهذا ما يلغي فهم العقل الفاسد لمعنى الاتحاد، الذي أدركه العقل على أنه امتزاج بين الله والعالم،

1- ابن العربي، العجالة، ص 16.

2- المصدر نفسه، ص 2.

3- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (45) كتاب البر والصلة والآداب، (10) باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم: (34)(2564)، ص736

4- ابن العربي، كتاب الميم والواو والنون، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص7

وبهذا التفسير العقلي يترادف الخالق - جل وعلا- مع عبده، وهي حجة فاسدة فساد العقل الرديء، الخالي من الأخلاق الموحدة، والمحروم من تذوق المعنى الروحي للاتحاد، الذي عبّر عنه ابن العربي بقوله: «العارف بالله إذ استغرق في بحر العرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته»¹، وهذا الإضمحلال ليس المراد منه التشبيه، إنما هو يحدث عندما يتغلب الإنسان على غرائزه، وهواه، فيذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكره، ويستغرق في ذلك بحيث لا يبقى له مذكور مشهود لقلبه إلا الله - تعالى-، فيغيب عن شهود نفسه، وغيره من المخلوقات وهذا ما يسمى الفناء، يحصل عندما تهون الدنيا عن العبد، لما نجح في قطع أوصال تعلق نفسه بها، لأنه إذا لم يقل الحلول إلا بالممارسة، والملاصقة، وكانت المجاورة والاجتماع من صفات الأجسام، وكان الله غير جسم لم يجز الاتحاد والحلول²، فالمطلوب من ظهور الحق في صورة العبد، وظهور العبد في صورة الحق³ كما قال ابن العربي ليس المطابقة بين الربّ والعبد، والمماثلة بل القرية، والطاعة، والخشوع للفوز برضى الخالق، ومحبهه لأن المحبة التي تجعل غايتها محبة الله - عز وجل- تُعبر عن العشق الحقيقي، وما سواها عشق مجازي⁴.

نهى ابن العربي على أن يكون هناك ما في الوجود إلا الله، وحتى إن كنا موجودين فما وجودنا إلا به، فما ظهر من الوجود إلا بالحق - تعالى-، لذا فهو الوجود الحق، وهو الواحد، وليس ثم شيء هو له مثل، حيث يقول ابن العربي⁵:

1- ابن العربي، التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1986، ص 47.

2- الباقلائي أبو بكر، كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1987، ص 112

3- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 29.

4- أمعشيشو فريد، من قضايا المنهج في كتاب روضة التعريف بالحب الشريف، مجلة جنور، ، يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، العدد 45، 2016، ص 19.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 194

فجميع الخلق يطلبه ثم لم يظفر به أحد

أحد ما مثله أحد بكمال النعت منفرد

لذا دعا إلى تطويق العقل بأخلاق التوحيد، ليضمن تعامله بسلام مع هذه المعاني وإلا زل، وغلط، وهذا ما يبرر اهتمام ابن العربي بسلوك المسلم من خلال تنقية القلوب الضالة بالزهد في الدنيا، والابتعاد عن غرور العالم بهدف العودة إلى الأصل حتى يعيش الإنسان إتحاده مع الله¹، خالقه ورازقه، الذي به كان وإليه يعود، لأنه ما من أحد أن يعرف الحلال، والحرام إلا من خلال التعرف عليه²، فالجمع بين العقل، والذوق في غياب الشرع تُظهر مختلف ألوان الشرك، والهواجس ببال الإنسان، فتكثر البدع المفسدة لصفاء العقيدة، والعبادة لما يتعارض معنى الاتحاد والحلول تعارضا كاملا مع التوحيد، والتنزيه، فالوجود واحد وهو للحق الواحد، فلا ينظر الإنسان الصالح سليم الاعتقاد إلى شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الله - تعالى - من أرض، وحيوان، وشجر... فيعتبر، ويصدق، ويوحد، ليتيقن بأن الله واحد أحد، فلا ينظر هذا الإنسان إلى نفسه إلا من حيث أنه عبد لله فيقال عنه أنه فني في التوحيد لفنائته عن نفسه³.

حرص ابن العربي على أن نقاوة النفس تجنب الإنسان الحديث في صفات الله من منظور عقلي، لإيمانها بأنها صفات كاملة بعيدة كل البعد عن النقص، ومنزهة عن التباين بين صفة الخالق، والمخلوق كونه أعظم من التباين الموجود بين صفة المخلوق وآخر، وهذا ما يبرر حث ابن العربي على التشبث بفضائل السنة، وآداب القرآن في هذه الميادين لأن

1 - Alain Ducq, la voie dévotionnelle du soufisme en Irak du VIII^e au IX^e siècle, Edition Références, Paris, 2011, P12.

2- ابن العربي، الوصية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1، 1948، ص 4.

3- السيوطي جلال الدين، الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، ج

2، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000، ص 124

في اجتنابها هلاك كبير، حيث يقول: «...ربي زدني علما فيه تُحي وتموت»¹، لأن من إصطفاه الله، ونوره أخرجته من ظلمات الحجاب إلى نور الشهود²، لذا أكد "الشيخ الأكبر" على أهمية الرياضة³ النفسية، والمجاهدة البدنية في كشف غشاوة الجهل، وتجلي الحقائق لتتطبق، وتظهر فوق مرآة القلب قائلاً: « فإن تمكنت فيها فتح لك باب آخر بينك وبين ربك لا حكم للوسائط فيه»⁴، لأن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر، ولا ما قرّره العقلاء من حيث أفكارهم، إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم وهو نور إلهي يختص الله به من يشاء من عباده⁵.

بين ابن العربي على أن معاينة سرّ التنزل إلى النهايات، والعودة منها إلى البدايات⁶، لا ينجح فيه المرید إلا برضا الخالق - تعالى-، والفوز بحبه، هذا الأخير الذي ميز فيه " الشيخ الأكبر" بين ثلاثة أنواع: **حب طبيعي** وهو حب العوام وغايته الاتحاد في الروح الحيواني، ونهايته من الفعل هو النكاح، و**حب روحي** نفسي، غايته التشبه بالمحبوب، و**حب إلهي** وهو حب الله للعبد، أو حب العبد لربه، وهو أرقى أنواع الحب⁷، ويسمى ابن العربي كل إفراط في محبة الله عشقا فيه يعمى الإنسان عن كل شيء سوى محبوه، ويحصل العشق الإلهي بمشاركة جميع أجزاء البدن، وقواه، وروحه بحيث يصبح يجري فيه مجرى الدم

1- ابن العربي، رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، المطبعة الرسمية التونسية، د ط، 1899، ص 7.

2- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 2، ص 21

3- الرياضة: عبارة عن تهذيب الأخلاق، وترك الرعونة: / ابن العربي، رسالة الأتوار، دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 5، وهي تحمل الأذى النفسي: / ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 9.

4- ابن العربي، العجالة، ص 21.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 100

6- ابن العربي، توجهات الحروف، ص 3.

7- إبراهيم أبو شوار، النقد والإبداع العربي، مجلة الوحدة، مجلة فكرية يصدرها المجلس القومي للثقافة العربية، باريس، فرنسا، العدد 49، أكتوبر 1988، ص 216

في العروق، واللحم¹، وعن هذا الحب الإلهي تقول رابعة العدوية (ت 752م) قولها المشهور²:

إني جعلتك في الفؤاد محدثاً وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجلوس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

هدف ابن العربي من تقسيمه للحب وجعله أنواع متعالية عن بعضها البعض، حتى يبرز أن معيار الفرق فيها يعود إلى الأخلاق الشرعية، والتربية الروحية لنحت مفهوم جديد للحب العميق، والشامل، بعيد عن الإرتباط بالشهوة³، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يبين أن خطاب الحب، والعشق الصوفي نوقي، روعي بعيد عن المادة المشوهة له، لذا ارتبط العشق الإلهي بالجنون عند العامة لزوال العقل فيه، وخروجه عن المألوف، فالعاشق لما تكلم بلسان العشق، والمحبة، لا بلسان التشبيه كما بدى لغيره الذي ينظر إليه بمنظار غير العارف لأصول هذا العشق لأنه حسب ابن العربي⁴

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباة إلا من يعانيتها

ما جعل ابن العربي يحذر كل عائد من سفرته الروحية قائلاً: «إياك أن تقول أنا هو وتغالط...»⁵، ناهياً عن إخراج المعارف الذوقية التي يفوز بها العاشق من أهل الذوق الخاصة إلى العامة، لأنها أسرار اتضحت، وانجلت لأصحابها بكرم منه -سبحانه-، فأودعها فيهم جزاء لهم على ما قدمته نفوسهم المتورعة، وهو ما لا تقوى عليه العوام الذين لا

1- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ص 303

2- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 3، مراجعة شفيق البسط، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص 340

3- إبراهيم أبو شوار، النقد والإبداع العربي، مجلة الوحدة، العدد 49، ص 217

4- ابن العربي، التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، ص 12.

5- المصدر نفسه، ص 53

يدركونها عن تبصر، وروية فيستغلها المفسدون على فسادهم¹، فتحريم ابن العربي لكشف هذه المعاني فيه حماية من عبارات الكفر، والزندقة، وأن من فعل ذلك فقد وضع الحكمة عند غير أهلها، وما يزيد هذا إلا جهالة²، فيقول: « في كتبنا إيماء لأصحابنا حيث وثقنا أنه لا يعرف ما أشرنا إليه سواهم فلا يصل من ليس منهم»³، فدعوة ابن العربي لكتم هذه المعارف بالتزام الصمت مع من يجهل هذا المجال، ومن لا يجيد تقديره، ولا يدرك ما تصبو إليه مؤلفات الصوفية السنية، وما احتوته من استعدادات، وكنايات ليس فيه راحة للعوام فحسب بل حفاظا على صحة أهل الذوق أيضا من القذف بكل عبارات الكفر، والخروج عن الدين⁴، لاعتقاد العامة بأن ما يقوله العاشق لمعشوقه - الله - فيه تشبه بالذات الإلهية، في حين أن العبد ليس فيه من خالقه شيء، ولا حل فيه⁵، ما دام لا توجد شراكة أبدا بين الخلق و-الحق- في الاتحاد كما أكد على ذلك ابن العربي في مؤلف " كتاب الشاهد"، لأن ما كل قلب يصلح للسر، ولا كل صدف ينطبق على الدر، فلكل قوم مقام وما كل ما يعلم يقال⁶، تأكيدا على أن التجربة الصوفية تجربة خاصة، وذاتية، روحية، غير قابلة للتعميم، لذا اتخذت من الرمز وسيلة للتعبير عن ما يختلج في قلبها⁷، حيث يقول ابن العربي في هذا السياق البيت التالي⁸:

إلا أن الرموز دليل صدق على المعنى المخبيء في الفؤاد

- 1- ابن العربي، كتاب الميم والواو والنون، ص 8.
- 2- ابن العربي، رسالة الانتصار، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 6.
- 3- ابن العربي، كتاب الميم والواو والنون، ص 6.
- 4- المصدر نفسه، ص 7.
- 5- المصدر نفسه، ص 52.
- 6- ابن العربي، التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، ص 12.
- 7- الحكيم محمد علي رضا، المعرفة عند الصوفية، مجلة مركز دراسات الكوفة، تصدرها جامعة الكوفة، العراق، العدد 39، 2015، ص 76.
- 8- ابن العربي، رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، ص 6.

ولولا اللغة كان القول كفرا وأدى العاملين إلى الفساد

3- انحراف العقل عن العبادة والتأمل

أكد ابن العربي أن من مظاهر فساد العقل لغياب الأخلاق فيه هو تجاهله لوظيفته الأصلية التي بها كان، لأن العقل ما خلق إلا للتأمل، في دلائل الخلق ليعتبر منها، لذا كان اليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب هذا الفعل¹، فالإنسان لا يكون عاقلا إلا إذا وجه حركة وجوده إلى الأعلى لمعرفة خالقه، بمعرفة حقيقة إبداعه في هذا الكون ابتداء منه، لأن الله - تعالى - لا يزال يجري في الأشياء على ما تعطيه الحقائق²، حتى يرتقي عن كل ما هو سفلي إذا ما عكف على هذا الجانب، أطلقت الحواس العنان لها، فيتسارع العقل في الجري وراء الهواء، ومجاوبة الشهوة من غير توقف، حتى يُخْرِج ذاتها عن حدودها، فلا ينال من ذاك الخروج إلا الشقاوة، والبؤس، بخسارة السعادة في الدارين.

خلقت الآيات الكونية من شمس، وقمر، وليل، ونهار، وسماء، وأرض للفت انتباه العقل إلى وجوب التأمل في تلك المخلوقات، ليستلهم منه الإنسان الدلالة على قدرة خالقها، والاستدلال على حركة الزمان، والمكان، وعن كيفية أحداث الأفلاك المؤكدة على وجود صانع، ومحدث لهذا الكون، لكن بمجرد فساد العقل لاجتماعه بالهوى تضعف عنده القدرة على التأمل، فيتوهم الاستطاعة على إدراك الذات الإلهية، لاغتراره بوسيلة العقل عنده، وفي هذا السياق يقول ابن العربي: « وإن كان يَعْقِلُ الوجود لا يعقل ماهية الموجود فيتخيل أن الوجود ليس عن الموجود بل هو حال من أحوال الماهية ولا تعرف الماهية حتى تعرف من جميع وجوهها»³.

1- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 171

2- ابن العربي، كتاب أيام الشأن، ص 5

3- ابن العربي، كتاب الأزل، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 1.

إن التأمل الصادق عبادة، تحذف كل ظن يوجب نقصاً بالإلهيات، والتعارض الذي عرفه أهل النظر في ادعائتهم، وأقوالهم في الله - تعالى - مرده تضارب وجهات نظرهم، لتضارب العقل الذي من شأنه أن يزيد، وينقص، لذا نهى ابن العربي عن الحديث فيها، لأن الله - سبحانه - لا تستولي عليه العقول¹، لأن مجال العقل محدود لا يتخطى نطاق الظاهر المحسوس، فيقف بالتالي عاجزاً أمام الحقائق الكبرى العالية، فالأسلم له اتباع أنبياء الله، ورسله في ذلك لأنه كما عبر ابن العربي ما نقل عنهم اختلاف ينسبونه إلى الله من النعوت، بل كلهم على لسان واحد في ذلك، والكتب التي جاؤوا بها كلها تنطق في حق الله في لسان واحد².

أوجب الشرع الكريم النهي عن اتباع الهوى، إيقاظاً للعقل، وتنشيطاً لوظائفه حتى تتسنى له رؤية الشقائق، والخل بفضله شدة التبصر، وكثرة التأمل³، فيقتنع أنه ما خلق إلا لعبادة الخالق - تعالى -، وخلافته في الأرض أحسن خلافة، مع الامتناع عن تضييع الوقت في البحث عن ذات الله، الذي هو عاجز عنها لاستحالة كون الرب هو العبد⁴، لذا كان العقل السليم من سعى إلى الالتزام بمعرفة العالم المادي الحسي دون غيره، ما دام أنه قاصر عن ذلك قصوراً ذاتياً، وحتى وإن حاول فسيقع في الخطأ بلا شك لأنه لم يخلق لذلك⁵، وهذا ما لا يقوى عليه العقل المشغول بمطالب الدنيا، وبكل ما يلهيه عن ذكر الله الحافظ له⁶، هذا

1- Ibn Arabi, Le livre DU NOM DE MAJESTE "ALLAH", traduit de l'arabe et présenté par MICHEL Valasan, Edition sagesse et tradition BPE 2441, BamaKo, Mali , 2008, P 13.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 373.

3- بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 2، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1995، ص 467.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 64

5- ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند ابن العربي، ص 38.

6- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 6

الانشغال المبدد لمحبة خالقه، وطاعته، لأن محبة الله تقتضي الطاعة، وفي غيابها تكون دعوة كاذبة، وفي هذا يقال البيت التالي¹:

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

إن التأمل في كتاب الله الحكيم، والعمل به فيه تجسيد للمقاصد الأساسية المصلحة لأحوال الفرد، والجماعة، ولا يكون هذا إلا بهتذيب النفس وتركيتها، بجعل سلامة الاعتقاد، واستقامته مصدرا لهذا التهذيب الشامل للباطن بترك الحسد، والحقد، والتكبر، فبالقرآن الكريم يتذكر الفرد المهمة الأولى من خلقه فيتسارع لضبط ذاته، والتحكم في ردود أفعالها، بإخضاعها لمبدأ الشفقة، والرحمة فيما يربط بينها وبين باقي الناس، وحتى يبرز ابن العربي قيمة هذا إتخذ من سورة عبس برهانا جازما على أهمية التخلق بأخلاق الرفق²، معبرا عن كل إنسان عاقل بأنه هو من يعمل دوما على ما يزيد في همته، وعزيمته³، ولا يحصل هذا إلا بتمام نقاوة الأفهام، وكمال العقول، لتعم المنفعة على الكل، لذا كان الإعراض عن عبادة الله، والتأمل في خلقه، ما هو إلا اعتراف بالانحراف، والتناقض، الذي لا يتجنبه إلا من ذكر الله من أصحاب الألباب النيرة، الذين استحقوا المدح لحسن توظيف عقولهم⁴، فأدركوا أن العبادة الصادقة تلغي الهواجس المحاولة إدراك ذات الله، المنهى عنها⁵، لأنها ذات كاملة فيها يقول ابن العربي البيت الموالي⁶:

1- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج1، ص 345

2- Gril Denis, Adab and Revelation or one of The Foundations of the Hermeneutic of Ibn Arabi In Muhyiddin Ibn Arabi a commemorative volume Edited By Stephen Hirtenstein and Michael Tierman, Element Shaftesbury, Dorset, Rockport, Massachusetts, Brisbane, Queensland of the Muhyiddin Ibn Arabi, Society P245.

3- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 2

4- الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تخريج وتعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط 3، بيروت، 2009، ص 162.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 255.

6- المصدر نفسه، ج 2، ص 222

والله فرد قديم لا يعتريه قصور
والكون خلق جديد في قبضته أسير

يتوب الإنسان العاقل بالعودة إلى خالقه، علماً أن هذا الرجوع لا يقصد به ابن العربي العودة من حال إلى حال كما يراه الغير، أي من حال المعصية إلى حال الطاعة، بل هو رجوع بالوجود، فالعبد يرجع إلى الحق بوجوده في كل حال سواء كان مخالفاً أو موافقاً¹، وتحصل التوبة المقبولة باحترق القلب عند صدور المعصية، ثم الندم على فعلها فيما مضى، ثم يليها العزم على تزكيته في المستقبل مع ضرورة أن يكون الدافع لها هو طلب رضوان الله، وعبادته، لا تحصيل مدح الناس، ودفع مذمتهم².

حذر ابن العربي من تزواج العقل، والهوى لما في ذلك من خطورة كبيرة تظهر في أحكام العقل الفاسدة المضیعة للنفس، والمخيبة لآمالها، لذا حث على الالتفاف بالشرع، لأن الإنسان أكثر من مجرد كائن بل هو عاقل حي، له أبعاد روحية، وأخرى مادية تظهر الأولى في كونه خلق لعبادته - سبحانه - كما أشار في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾³، عبادة متيقن صاحبها بأن حسبه من معرفة ربه أنه يراه⁴، لأن معرفة الخالق - تعالى - تكون من وجوه ثلاثة، من جهة اللسان، بالإقرار، ومن جهة القلب بالتصديق، ومن جهة الروح باليقين⁵، لذا وصف ابن العربي عمل كل من اكتفى بدراسة عالم الشهادة بالفلاح، حيث يقول: « أفلح العقلاء إن هم اقتصروا على الوجود ووقفوا مع

1- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ص 240

2- البغدادي علاء الدين، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 2، ضبط و تصحيح عبد السلام علي شاهين، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، د ت، ص 410.

3- سورة الذاريات، الآية 56

4- النيسابوري أبو عبد الرحمان، المقدمة في التصوف وحقيقته، تحقيق يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهرية، د ط،

د ت، ص 37

5- المرجع نفسه، ص 37

السلب»¹، وتظهر مهمة الإنسان العاقل الثانية في كونه خليفة في الأرض، لقوله-تعالى:-
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾²، مايفرض عليه الاعتناء بالعقل حفاظا على وظائفه
البشرية، كي يجد مكانا ليبدع فيه، شريطة أن يكون هذا الإبداع مستفاد منه، باجتهاده في
تحصيل ما يفيد في الدنيا، والآخرة. لأن الإنسان حسب ابن العربي «إنما خلق للعلم ووجوده
بالعبادة»³.

يتمكن المرء حسب ابن العربي من الارتقاء من إنسان عادي إلى آخر راق، عالي
الهمة، رفيع المرتبة كلما حافظ على ذاته، وصانها من الدنس، والنزوات الشيطانية التي بها
تضييع فرص الحياة الكريمة، لابتعاد الإنسان عن القصد الذي من أجله كان، فيختل ميزان
بشريته لعدم خشوعه⁴، وتورعه، فيسيطر الهوى على العقل فيزول نشاطه، وتتطفئ شعلته
لاضحلال أهدافه، وتفكك وظائفه ليقع في مصيدة التشويه، والغلط، فيسقط محطما بذلك
مسار الكرامة الإنسانية، ليشهد على غياب مسؤوليته في التحكم في ردود أفعاله، مثبتا أن
انحطاطه في منزلته بين الخلق مردها اختياره لمسالك الشر، فحكم على نفسه بالشقاء، مع
العلم أنه كان بإمكانه السير في طريق السعادة الأبدية، لذا كان الواجب أن يحرص على
الخيرات التي من أجلها خلق وأن يعزم على الوصول إلى أسمى الغايات⁵.

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 12

2- سورة البقرة، الآية 30

3- تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان، رسالة رقم 2، من الورقة 5، وجه، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط
رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

4- الخشوع: قال فيه الحسن البصري هو الخوف الدائم اللازم للقلب، وعبر عنه الجنيد بأنه تذلل القلوب لعلام الغيوب،

لقوله: - تعالى- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) سورة
الفرقان، الآية 63: /القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 145.

5- ابن مسكويه أبو علي، تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، د ط، بيروت، 1966، ص 12.

إن المطلع على موقف ابن مسكويه (932م-1030م) يجده مطابقا لما أكده ابن العربي في جعل غياب الأخلاق عاملا مباشرا في تراجع الأعمال الإرادية العاقلة فتوصف بالناقصة مستبعدة عن مرتبة الإنسانية إلى مرتبة البهيمية¹، حيث شبه ابن مسكويه الإنسان كالفرس إذا قصر عن كماله ولم تظهر أفعاله الخاصة به على أفضل أحوالها حظ عن مرتبة الفروسية²، فكان أرقى أنواع العقول عند ابن العربي ما كان متخلقا، وأفضل الناس من كان قادرا على صنع أفعاله الخاصة به بإتقان، مشدود بجوهره الأصلي، الدال على أن الإنسان كائن عاقل، مميز، ومتمرو، جاد في طاعة الله، وراغب في نصرته.

ثانيا: أخلاق التوحيد معيار تفاضل العقول

أكد ابن العربي أن صفاء المعرفة البشرية مرهون بنقاوة الأخلاق التي ينهل منها العقل، لذا وازى بين مكارم الأخلاق، والمطالب المعرفية بل جعل الأخلاق شرطا جوهريا في نشاط العقل من خلال إرجاع نقاط ضعفه، وجهله لمفارقتها له، ما جعل كل متطلع على فكره يجده يصنف العقول، ويرتبها ترتيبا تفضليا قاعدته هي:

1- العقل الفطري

يعرفه ابن العربي بقوله: هو « الإدراك الذي يكون بأول عقل عند كل عاقل»³، فهو القاسم المشترك بين جميع الخلق، فكان ملكة إنسانية بها يخالف باقي الكائنات. عبر عنه الجويني في كتابه: البرهان في أصول الفقه بأنه « علم الإنسان بنفسه وهو الذي يلتحق بذلك علمه بما يجده ضروريا من صفاته كآلمه ولذاته»⁴. يعتبر العقل البديهي عند ابن العربي كالمادة الخام الأولية، التي ينطلق منها الفرد لاحتواء المعارف الجزئية، والعلوم

1- ابن مسكويه أبو علي، تهذيب الأخلاق، ص 14.

2- المرجع نفسه، ص 12.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 117.

4- الجويني عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، ج 1، ص 27،

الضرورية، كاستحالة المستحيلات يعتمد عليه العلم في فهم التناقضات العامة، وتضادها¹، ومنه فمعقولات هذا الصنف من العقول هي بديهية « يهجم العقل عليها من غير إحتياج إلى التدبّر وإلى ما بد فيه من فرط تأمل»².

يوجه العقل الفطري إلى تسيير العمليات الفكرية البسيطة كالعلم بأن الاثنين أكثر من واحد، يتساوى فيه الكل لأنه حاصل في الذوات منذ الطفولة³ كما عبّر عن ذلك الغزالي في مؤلفه: إحياء علوم الدين الغاية من وجوده هي التمييز بين ما يجب أن يفعل ولا يجب، يحدد به الإنسان الوجهة الحسنة، من القبيحة في الأمور الجزئية لذا سماه ابن سينا بالعقل العملي في مؤلفه عيون الحكمة جل الأفعال الصادرة عنه هي التي لها صلة بالبدن فكانت موضوعاته بعيدة عن التركيب منها الصناعات العملية، والتصرف فيها كالملاحة والصبغة⁴... إلخ. ورغم هذا ظهرت قداسة العقل عند السجستاني (ت316هـ) عندما أقر قائلاً: « وقد صح أن أول رسول من الصانع إلى المصنوعين إنما هو العقل»⁵، على أساس أن وظيفة النهي عن المذموم، والأمر بالمحمود التي جاءت بها الرسل هي في الأصل من مهام العقل الأولى، وأن ما نادى به الرسل صادقت عليه العقول لمعرفتها به مسبقاً، لذا جعله الجاحظ (767م-886م) منبع كل سرور، وعز، واتساع، وكثرة صواب الرأي، والنجاح الذي لا يكون إلا بحسن النظر، والتقدم في التدبير⁶، فصفة الرسول وغيرها من الكلمات الدالة على كمال العقل رفضها ابن العربي لاستحالة إلمامه بالحقائق المطلقة حتى

1- الجويني عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، ج 1، ص 27،

2- المرجع نفسه، ج 1، ص 36.

3- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1، ص 85.

4- ابن سينا، عيون الحكمة، ص 80.

5- السجستاني أبو يعقوب، كتاب إثبات النبوات، تقديم وتحقيق عارف تامر، المطبعة الكاثوليكية، ط 1، بيروت، 1996، ص 49.

6- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، رسائل الجاحظ، ج 3، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخناجي، ط 1، 1997، ص 237.

لو اجتمعت كل أنواعه الفطرية والمكتسبة لارتكازه على وسائط مختلفة سواء أكانت بداهة أو حساً أم تجربة... وكلها لا تتوافق والغيبيات.

حتى يستطيع هذا الصنف من العقول أن تصدق عليه صفة النور المقذوفة في القلب¹ التي شبهها به المحاسبي² (857م)، ركز ابن العربي على ضرورة تقويته بالأخلاق، وإحاطته بالأدب حتى ينبض بالحياة، لأن المعروف عنه أنه دفين في الذات البشرية، وكامن كمون النار في الحجر، ولا يسطع حتى يغذيه الأدب³، وتكملة التجارب والعادات⁴، لأن العقل ليس شيء غير التجارب، وكلما كثرت كانت النفس أتم عقلاً⁵.

إن تزكية العقل بكريم الخلق تساعده على نقد معارفه، وإصلاحها لذا تعتبر الدعوة إلى التأمل في خلق الله، والبرهنة على وجوده من خلال أعمال الفكر فيه هي زيادة في درجة الإيمان المغذي للقول والفعل، ما دام أنه يرتكز على فرائض، وشرائع، وحدود، وسنن، فمن استكملها استكمل الإيمان، المطمئن للنفوس، وفي ظله تسير العقول بسلام، فالعبد لا يبلغ حقيقة التقوى حتى يطهر قلبه مما حاكى فيه، فالشرع عندما حث على اعتبار الخالق في الكثير من آياته، منها قوله -تعالى-: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾⁶، فإنه قصد بذلك أصحاب الرشد، والتمييز، وأهل المنطق، والعقول⁷، وقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

1- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1، ص 76.

2- هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الزاهد، أحد رجال الحقيقة، ومن إجتمع له علم الظاهر والباطن له كتب في الزهد والأصول، ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يأخذ ميراثه، ومات وهو فقير محتاج إلى درهم: /ابن خلکان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 2، ص 57.

3- بيدبا، كلیلة ودمنة، ترجمة عبد الله ابن المقفع، دار المعارف، د ط، بيروت، 1994، ص 29.

4- ابن سينا، عيون الحكمة، ص 81.

5- فؤاد معصوم، أخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، ط 1، 1998، ص 202.

6- سورة الحشر، الآية 2.

7- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 15، ص 392.

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾¹، حسب تفسير ابن كثير هذه الآية أمر من الله - تعالى - لعباده بوجوب النظر في مخلوقاته الدالة على قدرته، وعظمته من خلال خلقه هذا الحيوان العجيب، وتركيبه الغريب، فرغم قوته يلين للحمل الثقيل، وينقاد للقائد الضعيف، فهذه دعوة واضحة على ضرورة تركيز العقل، وإجهاده في التفكير في الله خوفاً منه وطاعة له²، وفي هذا السياق يقول³ ابن العربي:

وغص في بحر الذات تبصر عجائب ما تبدت للعيان

إن إحاطة العقل بالأخلاق حسب ابن العربي تضمن له عدم الانحراف، والزيغ فيحافظ بذلك على قدرة التمييز لديه بين الفاسد والصحيح، التي تقوى على فعل الصواب كلما حرص الإنسان على حماية عقله، الذي يولد وهو مزود بقواعد فكرية بسيطة يطبقها عفويا عندما يفكر، ليبلغ معارفه الضرورية، مع إمكانية ممارسة النقد على تلك المعارف التي بلغها وفي هذا يقول: **الفارابي** في مؤلفه **إحصاء العلوم** « وذلك أن في المعقولات أشياء لا يمكن أن يكون العقل قد غلط فيها أصلا، وهي التي يجد الإنسان نفسه كأنها فطرت على معرفتها، واليقين بها»⁴. لذا ذم الله - جل ثناؤه - من خلال الكثير من آياته الطاهرة، كل من فشل في استخدام عقله الذي دنسته الأخلاق المذمومة، وأمانته الشهوات، والملاذ منها قوله:

- تعالى - ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾⁵، وهي حسب تفسير **الطبري** (838م-923م) دالة على أن شر ما دبَّ على وجه الأرض، مما خلق الله

1- سورة الغاشية، الآية 17.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 387.

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 8.

4- الفارابي، إحصاء العلوم، تقديم علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، ط 1، د ت، ص 196.

5 - سورة الأنفال، الآية 22.

- جل ذكره- هم الذين « يصغون¹ عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعضوا به»²، فكانوا بذلك عند الله كالبهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح، ولما لا يصلح، بل هم أضل منها لعجزهم عن استعمال جوارحهم فيما ينفع، لذا هم معرضون عن الحق³، فقال فيهم - جل وعلا- ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁴.

أكد ابن العربي على ضرورة أن يتشبع الإنسان بأخلاق الإسلام، وأن يجعل من القرآن الكريم، والسنة الشريفة منهلاً، لما في ذلك من فائدة عظيمة، تظهر في رسم طريق أهل السعادة، والشقاء من خلال الآيات المذكرة، والواعدة، والمتوعدة، بضرب أمثال من القرآن يستفاد منها في «...تقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس»⁵، فالشرع الكريم تحفيز للنفس على الاقتداء بأهل الخير، وهو لا يكون إلا بالاعتبار، والتبصر في كتاب الله، وما فيه من عبر هادفة إلى ترويض هذه الذوات، والارتقاء بها من حال إلى حال، باتعاضها من هذه الحكم لما تقيس قضايها على ما يشبهها في النص الديني.

إن أفضل ما من الله به على عباده أن بعث فيهم رسولا، كريما يزيكهم، ويعلمهم الكتاب، والحكمة وصفه ابن العربي بقوله: « مصباح ظلمة الكون وروح جسد الوجود»⁶، لقوله- تعالى- : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁷، من خلال أن المتأسى به

1 - يصغون: من الفعل صغا، فنقول صغا إليه، أي مال مثل صغا الرجل على قومه أي إذا كان هواه مع غيرهم:/ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج 28، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت، 2454.

2 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 25.

3- المرجع نفسه، مج 3، ص 526.

4- سورة الأعراف، الآية 179.

5- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 34.

6- ابن العربي، شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ص 60

7- سورة الأحزاب، الآية 21.

سلك الطريق الموصل إلى الصراط المستقيم، ولا يسلكها إلا من كان يرجو الله، ويخاف عقابه، فهذا الخوف الذي يحثه على التآسي¹ فانهداره - صلى الله عليه وسلم - في عالم الظلم، والأغيار كان تصفية، وتخليصا، وتزكية، فهو مصدر التزقي إلى كل مقام عال²، قال فيه ابن العربي: « فالزم الاقتداء به، والاتباع له صلى الله عليه وسلم، ولا تطأ مكانا لا ترى فيه قدم نبيك... فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل درجات العلا، والشهود الكامل³، ومنه فمن القبح أن يجهل المؤمن حال معلمه، ومربيه لما فيه من شيم راقية عددها ابن العربي بقوله: « معتدل النشأة حسن الهيئة مرضي الخصال محمود المناقب والآثار⁴، من هذا المنطلق تكون الشريعة الإسلامية، وألقانون المقدس⁵ كما اصطلح عليها ابن العربي قاعدة صلبة تتطلق منها الذات المطمئنة الراشدة لتسيير حياتها، وفق نمط تعليمي موثوق، تُوفّق فيه هذه الذات حسب قدرتها على التحمل، والصبر في مواجهة عقبات حياتها.

دعا ابن العربي إلى طاعة الأوامر الشرعية، والالتفاف حول محاورها الأخلاقية، لما فيها من تنبيه للعقول النيرة، وما احتوت من مبادئ ضرورية يعتمد عليها الإنسان في إصلاح معاشه، ومعاذه لأنه كلما نهض الإنسان على فطرة «أسلم كان إدراكه أكثر⁶، تأكيدا على أنه لا أفضل من الأخلاق في تقويم الفرد، خاصة إذا سلّم بأن صورته بعد الموت تنتوع بتتوع أحواله في الدنيا، فما كان على أحسن الحالات، كانت صورته على

1- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 661.

2- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 2.

3 - ابن العربي، التنبهات على علو الحقيقة المحمدية العليا، ص 35.

4 - المرجع نفسه، ص 2.

5 - **Ibn Arabi**, Le livre des termes techniques du soufisme kitab ictilah as-sufiyah du sheikh al-akbar seyidi muhy ad-din ibn arabi, introduction et traduction par Slimane Rezki, Tabermacle des lumieres, Juin 2010, P 6.

6- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 4.

أحسن حال¹. وهذا ما عمل على توضيحه أكثر "ابن رشد" (1126-1198م) الذي شبه علاقة الطبيب بسلامة المريض، كعلاقة الشارع بصحة الأنفس، على أساس أن « الطبيب هو الذي يطلب أن يحفظ صحة الأبدان، والشارع يبتغي هذا في صحة الأناس، وهذه الصحة المسماة تقوى»²، لأنها أقوى معين، فهي جماع كل الخبرات، وعلّة كل نجاة، ولقاح كل رشد³ علماً أن هذه الأخيرة لا تكون إلا إذا جسدتها الأعمال، والأفعال المطلوبة شرعا لقوله: -تعالى- ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنْكُمْ﴾⁴. المؤكدة على أن الشارع - تعالى - لم يقصد من الذبح أن ينال من لحمها، أو دمائها كونه الغني الحميد، إنما مراده النية الصالحة، سواء أكان في الذبح، أم سائر العبادات الأخرى، إن لم تكن مقرونة بتقوى الله كانت كالفشور الذي لا لب له، أو كالجسد الذي لا روح له⁵.

2- العقل المكتسب

عبّر عنه ابن العربي بقوله: « كل علم إذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم لأنه تحت إدراكه»⁶، ويعرف عن هذا النوع من العقول أنه لا يقدّم على أداء وظائفه إلا بدعم من الحس، الذي يقدّم له المعطيات المادية التي ينشط فيها، ما دام أنه لا يعلم شيئاً إلا إذا كان واقع تحت مجال إدراكه، ويحثه، فطبيعته البرهانية توجب ذلك، قال عنه ابن العربي: «...وبرهانه الذي يستند إليه هو الحس أو التجربة»⁷، لذا كان

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 35.

2- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من إتصال، تقديم أبو عمران الشيخ وجلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1982، ص 59.

3- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، رسائل الجاحظ، ج 3، ص 99.

4- سورة الحج، الآية 37.

5- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، ص 539.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 146.

7- المصدر نفسه، ج 2، ص 88.

هذا العقل البرهاني وجودي¹، يستدل على الغائب بما هو شاهد، مجال بحثه هو عالم الحس، والشهادة « فلا يوجد معلوم قطعاً للعقل...إلا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره إما من جهة جوهره أو طبعه، أو حاله، أو هيئته، ولا يدرك العقل شيئاً لا توجد فيه هذه الأشياء ألبتة²، ما جعل ابن العربي يستبعد هذا العقل عن إدراك ماهية الخالق، لأن ليس كل ما يتخذه دليلاً هو كذلك ما دام غلظه كثير³.

يدرك الإنسان الراشد أن العلم الذي تقدمه لنا الفطرة، أو البداهة قليل المعونة ما جعل « العلم في أغلبه مكتسب، لا فطري⁴، بالتالي فهو بحاجة إلى نشاط عقلي، برهاني يمكنه من استقبال هذا العالم المادي، والعمل على توجيهه، فالإنسان بإمكانه أن يهتدي بغريزته إلى مستوى حقيقي لتصور صحيح، أو دليل مقنع قابل للتصديق، غير أن « الفطرة لا يؤمن من غلظها، وإن أصابت فما أشبهها برمية من غير رام⁵، ومنه فحاجة الإنسان إلى العقل التجريبي ليتمكن من التعايش، مع محيطه ضرورة لا يمكن إلغائها، لأن من عزم على ذلك كأنه ألغى العلوم كلها، وباقي الصناعات، فلو كانت الفطرة وحدها كافية « لما تنوعت، وتباينت المذاهب، وما تعارض الناس فيما بينهم، وما وقع الإنسان نفسه في التناقض⁶.

جعل ابن العربي من التقوى مسلماً قوياً وناجحاً، به ينتقل الإنسان ويرتقي من العقل الغريزي المشترك بين جميع العقلاء، الذي لا يقبل الزيادة، أو النقصان⁷، إلى العقل التجريبي المكتسب، المعروف عنه التغير الذي يحصل بكثرة التجارب، فتتشكل عنده العلوم الكسبية،

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 88 .

2- المصدر نفسه، ج 2، ص 87.

3- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 6.

4- ابن سينا، الشفاء، مراجعة إبراهيم مذكور، المطبعة الأميرية، د ط، 1952، ص 55.

5- المرجع نفسه، ص 58.

6- المرجع نفسه، ص 58.

7- الأبيشيهي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، د ط،

بيروت، د ت، ص 41

لقوله: - تعالى- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾¹، إقراراً على امتثال العبد لتقوى الله عنوان السعادة، والفلاح، بأن جعل له فرقانا أي العلم، والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الحق، والباطل² لذا نصح ابن العربي كل عاقل أن يعتبر، ويتأهب لما وعد، والتأمل لما به توعد³، مع أخذ الحذر فيما يطلب، لأنه كلما تمكنت نفسه من تطويق غرائزها، تيسر عليه مواجهة شدائد الأعمال⁴. وحسب ابن العربي فإن اجتهاد الإنسان للحفاظ على جوارحه، وتوجيهه إلا فيما يرضاه الخالق، هي حقيقة وجب أن يسلم بها، لأن الغاية من الخلق هي العبادة، فما الحياة إلا ترحال « ومشقة ومحن وبلايا، وركوب الأخطار»⁵.

تعتبر العبادة دعامة في تجسيد، وتثبيت الاستقامة الروحية للإنسانية، بها «يستتير قلبه... وتتجمل أعضائه بجمال خدمة الله»⁶، فالتقوى عند ابن العربي أفضل من العصيان، ما دام « الموت حقيقة، وأن الرجوع إلى الحق أكيد»⁷. فعلى المرء أن يجتهد ما استطاع في أن يحرر نفسه، ويبعدها عن المساوي، فإن تيسر له الخلاص فليعزم على عدم العودة إلى الأسباب، ومفعلات تلك الرذائل حتى تستطيع النفس، أن تبلغ كمالها، فيقوى العقل على الإدراك، والإكتساب لأنه ضمن فضيلة الحكمة التي هي « علة صحة الفكر، والروية

1- سورة الأنفال، الآية 29.

2- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 319.

3- ابن العربي، كتاب الكتب، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 11.

4- ابن العربي، كتاب الأزل، ص 11.

5- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 3.

6- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 1، ص 303.

7- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 2.

الفصل الثاني:.....أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي

،والتمييز، في سائر الأشياء، وقوامها في القوة الفكرية¹، وبالعفة التي هي « علة الورع²، وضبط النفس عن الشهوات، المؤذية الفانية»³، فهي صحة بها تكون السعادة الأخوية، وبانعدامها يكون الشقاء⁴، فكلما سار العقل المكتسب على هدى الحق تمكن من معارفه، وتلقاها بشكل سليم، ما دام أن «...عين الشريعة هي عين الحقيقة»⁵، ما يؤكد أن الفكر الأخلاقي عند ابن العربي نظام تعليمي داخلي يمكن المسلم من أن يصل إلى درجة الفضيلة الروحية⁶.

أكد ابن العربي أن العقل المكتسب، أو البرهاني إن أحيط بالأخلاق الإسلامية لا يمكن أن يكون مرادفاً إلا للخبرة، الرفيعة، والراقية⁷، لأن من ابتعد عن الشرع ضاع، ومن « اعتمد على غير الحق جعل نصرته فيه مكرًا، من حيث لا يشعر»⁸، لذا يستدل على كمال عقل الناس بما يصدر منها من أفعال، لأن العقل «معنى لا يمكن

1- شهاب الدين أحمد بن أبي ربيع، سلوك المالك في تدابير المماليك، تحقيق عارف أحمد عبد الغاني، دار كنان للطباعة والنشر، د ط، 1996، ص 48.

2- الورع: هو ترك كل شبهة، ثوابه خفة الحساب، فيه حدث النبي - الكريم- «...كن ورعا تكن أعبد الناس...»: /القرظوني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (37) كتاب الزهد، (24) باب الورع والتقى، برقم: 4217، ص699، وقال فيه: أبو بكر الصديق « كن ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام»، والمراد بلفظ سبعين في القرآن الكريم هو مجرد مبالغة في العدد، وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات، واحد في ﴿ تَرَى فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ /سورة الحاقة، الآية 32، والثاني في ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ /سورة الأعراف، الآية 155، والثالث في ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ /سورة التوبة، الآية 80: /القشيري عبد الكريم، رسالة في علم التصوف، ص 110

3- المرجع نفسه، ص48.

4- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من إتصال، ص 59.

5- ابن العربي، رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، ص 16.

6- Tayeb Chouiref, Actualité de l'ijtihad spirituel les fatwas soufies du grand-multi d'egypte le cheikh ali juma, Horisons maghrebins-le droit à la memoire, N° 65, 2011, P 163.

7- فؤاد معصوم، إخوان الصفا فلسفتهم وغاياتهم، ص 21.

8- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 6.

مشاهدته...فالمشاهدة من خصائص الأجسام»¹، والمعروف أن الجلبة الإنسانية ميالة إلى الجهل أكثر منها إلى العلم، لذلك من السهل أن تقوم بأعمال كثيرة عن جهل²، فكلما انجذب الإنسان إلى محاسن الأخلاق، وتجنب رذائل الأعمال، ورغب في المعروف بلغ الرشد في عقله، لأن « من قلت فضائله ضعفت وسائله»³، فعلى الإنسان أن يدخل في لذته انضباطا، توفره الحكمة، لأن في غياب هذا الضبط يخلق نوع من الارتباطات، بين اللذات، والمحن إلى حد أن هناك بعض منها يجر في الكثير من الأحيان محنا أكبر منها⁴، خاصة إذا سلم بأن «النفس مأوى الشهوات»⁵.

يوفر الانضباط الأخلاقي للعقل فرصة كبيرة في التمتع بلذة الآدمية، ويكون هو من لا يفارقه ما أوجبه وأكده تميزه⁶، فيضبط حواسه التي هي سر الخالق في الخلق⁷، فيمكنه نوره من الوصول إلى معرفة وجود الخالق، والإيمان بكونه قادرا، سميعا...إلخ، مما يجب للألوهية، ويجوز وما يستحيل⁸، ما دام أن الإيمان بالألوهية هو الهدى⁹، فالنفس لا تزكى إلا بالإيمان، لذا طلب موسى -عليه السلام- من فرعون الإيمان لأن أصل الفلاح،

- 1- الأبيشي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 41.
- 2- عبد الحليم محمود، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي، ط 2، د ت، ص 46.
- 3- الأبيشي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 53.
- 4- بيار بويانسي، أبفوس، ترجمة بشارة سارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1980، ص 57 .
- 5- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 38.
- 6- ابن حزم، كتاب الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض، دار ابن حزم، د ط، د ت، ص 173.
- 7- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 16.
- 8- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 33.
- 9- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 6.

وقاعدته هو الإيمان¹، فأكد الشيخ الأكبر على أن السبب الموصل للمعرفة الحقيقية هو تفرغ الخاطر، والقلب، والجلوس مع الله على الصفا، وتجريد الباطن من التعلق بغيره².

تجاوز ابن العربي فكرة الفصل بين العقل الغريزي، والمكتسب كما إعتقد الكثير إنطلاقاً من أن الأول هو عقل، والثاني هو علم، إنما جعل من المكتسب نتيجة للفطري، ليكون العقل المكتسب هو ما يحصل عند الإنسان من علوم، ومعارف، وأفكار « بتلقيح من العقل الغريزي»³، غير أن العقل الغريزي أحياناً لا يستطيع أن يتجاوز حدود فطرته، ولا يمكنه بلوغ ما هو مكتسب، لسيطرة الهوى عليه، لذا حرم أصحاب هذا النوع من العقول من الفضائل، لما كثرت عندهم الرذائل⁴، فحرص ابن العربي على أن يعكف الإنسان على طلب العلم، الذي به يقيم طهارته، وصلاته، وصيامه، وتقواه⁵، ما دام أنه « ليس العجب من هذا البحر وإنما العجب من الريح التي تموجه...ريح أنفاسك فكل سفينة لا يكون ريحها منها فهي فقيرة»⁶.

تتخصر مهمة العقل المكتسب في حسن التدبير، ومعرفة حقائق الأمور، ويكون هذا بكثرة الممارسة التي تزيد في نموه، ما دام أن الفطرة أو الغريزة « لا تتال ذلك بنفسها بما باشرته حواسها دون نظر، وتفكير، وبحث وتصفح»⁷، ما جعل الجاحظ يؤكد على أن الناس بحاجة ماسة إلى الأخبار، كما هم بحاجة إلى الأبصار، ما دام أساس الاستدلال هو الخبر،

1- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ج1، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي دار إحياء الكتب العربية، د ط، دت ، ص 41.

2- ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 4.

3- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 343.

4- محمد منير آغا النقلي الدمشقي الأزهرى، الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية، ج 1، دار ابن كثير، د ط، دمشق، دت، ص 38

5- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 5.

6- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 60.

7- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، رسائل الجاحظ، ج 3، ص 273.

والعيان، والعقل كأداة معرفية لا يقوى على مهامه دون أخبار وعيان¹، فالعقل المكتسب، أو البرهاني بإمكانه أن يكون رؤية صائبة، وحكمة شافية بكثرة التجارب، إذا لم يصده مانع من الهوى والشهوة، لذا قال ابن العربي « فطهروا قلوبكم من دنس الأعراض وقيدوا جوارحكم عن ارتكاب الجرائم والآثام»²، لذا نصّف الشيوخ بأهل الوقار، رغم أنهم فقدوا ذكاء الطبع إلا أن أسمعهم تصدت آثار الغير³، وهذا يكون حسب ابن العربي بضبط النفس، وتجنّبها الخطأ بعدم تعريضها لمغالطات الدنيا وترهاتها لأن من «عَرَضَ نفسه للأفات فات»⁴.

إن المتطلع على أفكار ابن العربي يجد ما يقابلها في موروثنا العربي الجاهلي، المؤكد على أن ضبط النفس هو مهبط المروءة، والروية مثال ذلك أن زيد بن عمر بن نفيّل وهو ابن عم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وأحد حكماء الجاهلية رغم أنه لم يدرك الإسلام، إلا أنه كره عبادة الأوثان، ووآد البنات، توفي قبل مبعث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- بخمس سنوات⁵، وكذا عامر بن الظرب العدواني وهو من شعراء العرب، وخطبائهم، حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية حيث قال⁶:

إن أشرب الخمر أشربها للذّتها وإن أدعها فإن ماقت قال

والقالي هو الكاره والباغض، لذا كانت فاعلية العقل المكتسب، أو التجريبي تكون حسب ابن العربي باجتتاب مجالس السوء ويظهر هذا من خلال قوله التالي: «إياكم

1- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، تقديم علي أبو ملح، ، مكتبة الهلال، ط الأخيرة، 2002، ص 20.

2- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 40.

3- الماوردي أبو الحسن، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، ط 1، بيروت، 2013، ص 45.

4- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 17.

5- الشهرستاني أبو بكر، الملل والنحل، ج 2، تحقيق أمير مهنا وحسن فاعور، دار المعرفة، ط 3، بيروت، 1993، ص 590.

6- المرجع نفسه، ج 2، ص 591.

ومجالسة أقوام يتكلمون بينهم...القول غرورا...وخداعا...وقلوبهم غشا...وحسدا...دينهم التعصب واعتقادهم النفاق...واختبارهم شهوات الدنيا»¹.

إن المتصفح لأعمال "ابن القيم الجوزية" وخاصة في كتابه الفوائد، يجده مؤيدا لما نادى به الشيخ الأكبر ومن والاه في مسألة إحاطة العقل بالأخلاق حتى ينبض، ويتفاعل، من خلال تأكيده على أن للإنسان قوة علمية نظرية، وأخرى عملية إرادية، فسعادة الإنسان مرهونة إذا ما اجتمع معا، علما أن القوة العلمية لا تقوى إلا بمعارف خمسة وهي: معرفة الخالق، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة النفس، والوقوف على عيوبها²، في حين أن القوة العملية الإرادية تستكمل إذا ما حرص الإنسان على مراعاة حقوق الله -سبحانه-، وتتفانى في أدائها بكل إخلاص، وإحسان ومتابعة جادة، حتى يجنبه -الخالق- الخروج عن صراطه المستقيم الذي يكون إما بفساد في وتة العلمية فيقع في الضلال، والتهيه أو بتشوّه يصيب قوته العملية فيولد عنده الغضب³، لذا كان من أكبر الأشياء مقتا.

3- العقل الوهبي

وضّح ابن العربي بجعله أرقى أنواع العقول لغياب الوساطة فيه عكس النوع الأول، والثاني، ينفرد به أهل العرفان الذين يتخذون من القلب وسيلة له، لذا سمي وهبا، كونه نور متدفق من عالم الجبروت إلى القلوب النقية الصافية محل هذه الأسرار، لذا فهو حاصل عن طريق الوهب، ما دام أنه « هبة من الله عز وجل أنزله في قلوبنا على أسرارنا فوجدناه من غير سبب ظاهر»⁴، تأكيدا منه على أن العقل الوهبي، وما يقدمه من علوم وهبية غير

1- ابن العربي، الموعظة الحسنة، ص 8.

2- ابن القيم الجوزية شمس الدين، كتاب الفوائد، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 33.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 120.

مشروط. فإذا كان العقل الكسبي، أو التجريبي كما اصطلح عليه البعض قائم بوجود الحواس التي تقدم له المعطيات التي تنطلق منها أعماله البرهانية، التركيبية، التحليلية ولا تتفعل إيجاباً إلا بوجود التقوى التي جعلها الله « طريقاً إلى حصول هذا العلم»¹، وإذا كان العقل البديهي لا يكون سبباً في حصول العلم إلا إذا أحيط بالأخلاق، كشرط جوهرى في حيويته، وإلا كان فاسداً، وإذا كان البصر علة مباشرة في حدوث العلم بالمبصرات، فإن العقل الوهبي فيضي إلهامى « لا يحصل عن سبب بل هو من لدنه سبحانه»². حدده ابن سينا في مؤلفه الشفاء بأنه معرفة قائمة على الكشف، والإلهام وهي « مقصورة على فريق قليل من الناس مؤيد بعون من الله»³، عبر عنه محمد المصباحي قائلاً: بأنه عقل « المشاهدات، والمقامات، والأحوال، والإلهامات»⁴، في حين أن العقل العملي هو « عقل المنع، والجزر، والتبرير، وعقل الواجبات، والجوازات»⁵.

واصل ابن العربي في تسليط الضوء على حقيقة العقل الوهبي، من خلال إبراز مجالاته، وأصحابه فهو ما تميز به الأنبياء وجماعة من الأولياء فكانت « النبؤات كلها علوم وهبية»⁶، لذا لا نستطيع أن نصف النبوة بأنها من العلوم الكسبية، لأنها هبة تعطى و لا تؤخذ وفي هذا قال ابن العربي: « أريد بالاكْتساب في العلوم هو ما يكون للعبد فيه تعمُّلٌ كما أن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمُّلٌ»⁷، فالعقل الذي كان بحاجة إلى استعداد حتى يتم فهو كسباً، وأما الذي حصل بمعزل عن جميع الاستعدادات كان وهباً لذا « فالشرائع كلها

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 120.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 120.

3- ابن سينا، الشفاء، ص 55

4- المصباحي محمد، إشكالية العقل عند ابن رشد، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1988، ص 229.

5- المرجع نفسه، ص 229.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 121.

7- المصدر نفسه، ج 4، ص 121.

علوم وهيبية»¹، والشيء نفسه ثبت عند ابن خلدون عندما أقر بأن النبوات ليس مدرك عقل إنما هي مدرك شرعي².

أكد ابن العربي أن الله - عز وجل - خص عباده الصالحين من الأنبياء، وفئة من الأولياء بهذا النوع من العلوم، والتي تتصف بالقلّة لا الكثرة، لكونها علوم معطاءة، وموهوبة، موضحة أن معنى قوله - تعالى - ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾³، أي أعطيتم كونها هبة لأنها لو دلت على الكسب لكانت « أوتيتم الطريق إلى تحصيله»⁴، لأن علم كل أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل⁵ استناداً لقوله - تعالى - في سورة الرحمن: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾⁶، الدالة على أن الله - تعالى - علم عباده ألفاظ القرآن ومعانيه منة منه، ورحمة⁷، فهذا الصنف من البشر تعترتهم حالة إلهية خارجة عن منازع البشر، وأحوالهم إلا في الضرورات، مقبلين على الأحوال الربانية من العبادة والذكر بالله، بما تجب معرفتهم بهم مخبرين عنه - سبحانه وتعالى - بما علمهم من علمه⁸.

وضح ابن العربي أن الوهب وما يقدمه من معارف، وعلوم لا يمكن للعقل الفطري، والكسبي بلوغها إنما يسلمان بها، ما دامت أنها علوم صعبة المنال، وهذه العقول لا تدرك مبتغاها إلا بالحس، والبرهان، لذا حرم العقل البديهي والتجريبي من بلوغها لأنها معرفة « وراء صور مدارك العقل»⁹، فكان العقل الوهبي هو الأرقى والأشرف وفيه قال: ابن العربي

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 121.

2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص 139.

3- سورة الإسراء، الآية 85

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 119.

5- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 5، ص 64.

6- سورة الرحمن، الآية 2

7- السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 828.

8- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، ص 163.

9- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 100.

« فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات»¹، لذا أكد ابن العربي في غير موضع على أن التقوى منطلق ضروري للعمل الكسبي، في حين أن الخلوة² هي سر حصول المتأهب، الطالب لمزيد لنفحات الجود، والوهب الإلهي فقال: «...فإن المتأهب إذا لزم الخلوة، والذكر، وفرغ المحل من الفكر، وقعد فقيرا لا شيء له، عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلم به والأسرار...»³، لقوله: - سبحانه- ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴، أي يعطيكم الله علما، وهدى، ونورا تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات⁵، كما فعل - سبحانه- مع عبده الصالح "السيد الخضر"، الذي أعطاه - تعالى- رحمة خاصة بها زاد علمه، وحسن عمله نتيجة للإلهام الذي رزقه إياه ربه، ما جعل يطلع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت حتى على النبي موسى - عليه السلام-⁶، وهو ما يفسر قوله:-تعالى- ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾⁷.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 140

2- الخلوة هي الانقطاع من الخلق إلى الحق، لأنه سفر من النفس إلى القلب، ومن القلب إلى الروح، ومن الروح إلى السر، ومن السر إلى واهب الكل، ومن إختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأفكار إلا ذكر ربه، وخاليا من جميع الإيرادات إلا رضا ربه، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب، فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه إما في فنتة أو بلية، لذا الإنفراد في الخلوة المشروطة أجمع لدواعي السلوة:/ القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص ص 101- 102

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 138

4- سورة الحديد، الآية 28.

5- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 843.

6- المرجع نفسه، ص 482.

7- سورة الكهف، الآية 65.

اعتمد ابن العربي في تأكيده على أن الخلوة عامل جوهري في تفعيل العقل الوهبي على ما رد به "الجنيد"¹ (ت 909م) عندما سئل عن العلوم التي نالها فرد «بجلوس تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة»²، وما قاله: "أبو يزيد البسطامي" (ت 874م) «أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»³، علما أن كل هبة يمن بها-سبحانه وتعالى- على عباده الصالحين تغيب، وتحجب عن كل صاحب نظر وبرهان، لذا فما يقدمه العقل الوهبي من معرفة بعيدا عن الاكتساب، ولا يقدمه عضو جسدي، لأنها معرفة لها صلة مباشرة بالنفس، فهو يمثل معرفة إنسانية إلهامية عالية⁴، ومن إعتقد أنه بلغ اليقين بواسطة العقل فهو نسبي إذا ما قورن بالوهاب⁵، لذا كان الأنبياء لا ينطقون بشيء من المعارف، والعلوم إلا بعد الوحي وهذا تأكيدا على أن علومهم موهوبة، فقد كان "جبريل"-عليه السلام- معلما لمحمد - صلى الله عليه وسلم-⁶ بدليل قوله-تعالى- في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾⁷، وكذا قوله -تعالى- في حق نبيه يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ

- 1- هو أبا القاسم الجنيد بن محمد نشأ بالعراق، من المتعبدین علی مذهب الشافعية، يلقب بالقواريري نسبة إلى أبيه الذي كان يبيع الزجاج:/ القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، ص 78.
- 2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 139.
- 3- المصدر نفسه، ج 1، ص 139
- 4- فؤاد معصوم، إخوان الصفا، فلسفتهم وغاياتهم، ص 201
- 5- رسالة الإتحاد الكوني، Ibn Arabi, Le livre de l'arbre et des quatre oiseaux d'Ibn Arabi Dans annales islamologiques في حضرة الإشهاد العيني بمحضر الشجرة الإنسانية الطيور الأربعة islamologiques Tomes XVII, Institut Francaise, d'Archéologie Orientale de caire, 17-1981,P58
- 6- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 143
- 7- سورة النجم، الآية 5.

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾¹، منتصرا بنعمة الله عليه على كل من حضره من أولاده، وأهله الذين كانوا يفتدوا رأيه حين كان مترجيا لقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم، والحزن².

أكد ابن خلدون على أن علم الأنبياء علم شهادة، وعيان لا يشوبه الخطأ، والزلل، ولا يقع في الغلط والوهم، لرفع حجاب الغيب عنهم³، ما جعل حركة أفكار الأنبياء تعجز عنها أي قوة بشرية، وكذا حركتهم القولية، والفعلية، وغاياتها، وانتظامها، مفارقة تماما لكل فطرة إنسانية لذا كانوا في المرتبة الأولى، والدرجة العالية، لأن بين أيديهم علما وهبه الله -تعالى- لهم دون سواهم من المخلوقات حتى الملائكة⁴ منهم، لقوله -تعالى-: ﴿يَكَادُمُ أَنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾⁵، أي أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة، فعجزوا عنها فلما أنبأهم بها تبين لهم فضل آدم عليهم، وحكمة الباري، وعلمه في إستخلافه هذا الاستخلاف⁶ فمن عرف الله إعتصم به، نال الهداية، وصفا له العيش، وطابت له الحياة⁷.

أكد ابن العربي على أن الكشف هو أرقى المراتب التي يبلغها الإنسان، ما دام أن القصد من الرياضات، والمجاهدات هو طلب الرؤية، ورفع الحجاب الذي لا يكون إلا عند صاحب الذوق المجاهد لنفسه، بإسقاطه الخصال السيئة، والتخلي بالحسنة التي تجعله يتبدل من عبدا إلى ملك، فيه قال: ابن العربي « بدلت بشريته ملكا، وعبوديته سيادة، وعقله حسا،

1- سورة يوسف، الآية 96.

2- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 405.

3- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، ص 163.

4- الشهرستاني أبو بكر، الملل والنحل، ج 2، ص 352.

5- سورة البقرة، الآية 33.

6- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 49

7- النيسابوري أبو عبد الرحمان، المقدمة في التصوف وحقيقته، ص 39

وغيبته شهادة، وباطنه ظاهراً¹، علماً أن حياة الإنسان تتراوح بين ظلمات رغبات جسمه تارة، وتارة يتحرر منها ليبلغ أنوار عالم القدس، وإذا تمكن من ذلك تسن له التحول، والانتقال من الظلمة إلى النور، من الحجاب إلى الوصول، بهذا يعيش الإنسان لذة الوهب، تعقبها سعادة لم يعرفها غيره الآخر رهين شهواته، وملاذه²، وهذا ما لخصه قول ابن العربي الناصح لكل مؤمن، عاقل، طالب للخلاص، وراغب في الاقتراب من المراتب العليا، والحضرات المقدسة، أن يعزم، ويهتم بتصفية قلبه الذي يقبل به على ربه - سبحانه وتعالى-، لأن أرقى ما في الإنسان قلبه³، محذراً من « الغفلة، والنسيان، والاعتزاز بتساويل النفس الأمانة بالسوء، ووساوس الشيطان»⁴.

توافق كل من "الرازي الفقيه"، وابن العربي في الحرص على تثبيت حقيقة أن الارتقاء في سلم الأخلاق، توازيه الرفعة في المرتبة عند الله - سبحانه -، وما يعقبها من تجليات من خلال تقسيم الرازي للمخلوقات إلى ثلاثة أقسام: الأولى خصها بأصحاب العالم العلوي -الملائكة- المقربون، المطهرون، والثانية هم الفئة الناقصة التي لا تعرف الكمال، وهي الحيوانات، والشياطين، والنباتات، والمعادن، أما القسم الثالث هم الذين يكونون تارة كاملين وأخرى ناقصين، ومتى « بلغوا حد الكمال كانوا...معتكفين في معارج آلاء الله، متوكلين على فيض فضل الله مستغرقين في محبة الله تعالى...»⁵، فتخليص النفس من أمراضها الشهوانية سبيل للتطلع على الحكمة الإلهية، علماً أن الرؤية تكون موازية للمقام الذي يبلغه

1- ابن العربي، كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1، 1948، ص 10.

2- الرازي فخر الدين، كتاب النفس والروح وشرح قوامها، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي، د ط، د ت، ص 9.

3- ابن العربي، العجالة، ص 12.

4- المصدر نفسه، ص 12.

5- الرازي فخر الدين، كتاب النفس والروح وشرح قوامها، ص 11

الفرد، فطريق الحق واحدة إلا أن المسالك التي يقطعها السالكون¹ تختلف باختلاف أحوالهم، ومزاجهم، ومدى إستقامتهم، ما دامت أن مثيرات الجسد تابعة لمؤثرات القلب « فالببوت وإن كثرت فهي بيتان بيت للمعرفة وهو للنفس وبيت للمشاهدة هو السر وكل بيت يعرى عن هذين فهو خراب»².

وضع ابن العربي شروطا واضحة حتى يكون هناك وهب، وفيض رباني وهي التقوى، والورع، والطهارة الظاهرة منها، والباطنة، لأن الطريق إلى الله لا يكتمل إلا بنقاوة النفس، وإستقامتها، لذا أكد أهل الذوق بأن المعرفة تحصل بالترويض الذي كلما تم « صفت النفس وانطبع فيها الله»³، وكلما توفرت هذه الشروط تعاقبت الأحوال، والتنزيلات، ألم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم- أميا لم يتعلم من صحيفة، أو كتاب إنما تعلم بانفتاح قلبه ونور بصيرته⁴. فالسعيد من « تذل إلى الرحمان، وسأل التأيد وافتقر، والشقي ضل في تيه شهواته، وأظلمت عليه أقطار مسالكه فاستفزه الشيطان ولحق به الخسران المبين»⁵.

خلق الله - تعالى- الإنسان فاستخلفه في الأرض، دون غيره من المخلوقات لقوله - جلا وعلا- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾⁶، وبعد هذا الاصطفاء أظهر الخالق- سبحانه- من علمه لعباده الخاصة من

1- السالكين: جمع سالك وهو السائر إلى الله المتوسط بين المرید والمنتهي:/ابن العربي، كتاب حلية الأبدال وما يظهر

عنها من المعارف والأحوال، ص 15.

2- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 29.

3- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 1، ص 296.

4- المرجع نفسه، ج 1، ص 309.

5- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 14

6- سورة البقرة، الآية 30.

الرسول والأنبياء، والأولياء، وكل من يسعى إلى التقرب إليه لبذل كل ما في جهده، لينال محبته، ورضاه، عازما على مجاهدة شهوته، وهواه، لذا يَخْصِمُ الله - تعالى - بعلم لا يعلمونه، كيف لا وهم يسبحون بحمد الله آناء الليل، وأطراف النهار، ويعبدوه مع العزم على الإطاحة بشهوات الدنيا وتحقيرها¹، وهذا ما حاول ابن خلدون الإشارة إليه عندما أكد على أن رياضة النفس ومجاهدتها، إنما القصد منها جمع الهمة، والإقبال على الله بتصفية الخاطر وكثرة الذكر، لأنه إذا ما قامت أنشأت النفس عليه كانت أقرب إلى العرفان بالله².

ثالثا: طبيعة أخلاق التوحيد عند أهل الله

1- ظلمة الليل نور عند أهل الله

شبه ابن العربي الليل عند أهله، كالغيب عند الله على أساس أن لا أحد يشهد على ما يفعله - سبحانه - بخلقه، لأنه يحصل في عالم الغيب المحجوب عن الناس، والشيء نفسه بالنسبة لأهل الليل في عبادتهم هم محجوبون عن الغير بحجاب ظلمة الليل، لذا كانوا خير عصابة في حق الله³، فقال فيهم ابن العربي: « الليل لباس لأهله، يلبسونه فيسترهم عن أعين الأغيار، يتمتعون في خلواتهم الليلية بحبيبهم، فيناجونه من غير رقيب»⁴، يمثل النوم راحة لأهل الليل، ولعامة الناس على حد السواء، من خلال أنه « إذا نام الناس استراح هؤلاء مع ربهم، وخلوا به حسا، ومعنى فيما يسألونه من قبول توبة، وإجابة دعوة...»⁵.

إن قيمة الليل عند ابن العربي مستمدة من الحقيقة الدينية، القائلة بأن الله - تعالى - ينزل بالليل إلى سماء الدنيا، وهذا النزول فيه رحمة كبيرة، لعباد الله الصالحين، فيقول

- 1- ابن القيم الجوزية شمس الدين، مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج 1، تحقيق عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص 8.
- 2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص 223.
- 3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 34.
- 4- المصدر نفسه، ج 4، ص 34.
- 5- المصدر نفسه، ج 4، ص 35.

- تعالى - كما ورد في الخبر كَذَّبَ من ادعى محبتي فإذا جنَّ الليل نام عني، أليس كل محب يطالب الخلوة بحبيه؟ ها أنا ذا قد تجليت لعبادي، هل من داع فاستجيب له وهل من تائب فأتوب عليه وهل من مستغفر فأغفر له حتى ينصدع الفجر¹، لذا كان أهل الليل هم الفائزون بهذه الخطوة، والخلوة لأنهم هم القائمون لينتلون كلام الله، عازمين على طاعته - سبحانه -، وخشيته عملاً بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾²، مخاطبا الناس كافة بتقوى ربهم الذي أنعم عليهم بنعمه الظاهرة، والباطنة، ما يوجب عليهم ترك الفسوق، والعصيان، وأن يمتثلوا لأوامره ما استطاعوا³، وقوله كذلك: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴، فما رزق الله به عباده من ثمار، ونخيل ليرتقوا به، حتى لا يجعلوا له نظراء، وأشباها من المخلوقين، فتعبد كما يعبد الله رغم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماء، ولا في الأرض، فلا ينفعون، ولا يضررون في شيء، وهذا من أسفه السفه⁵، فالخالق - تعالى - ينزل من علو جلالته لينادي الساهرين على طاعته من يريد المعرفة، والرحمة، ناصحا عباده بملازمة الطاعة، ما دام ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾⁶ بالبعث، والجزاء على الأعمال لا شك فيه، وهو ما دلت عليه أدلة سمعية، وبراهين عقلية⁷

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 35.

2- سورة الحج، الآية 1

3- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 532.

4- سورة البقرة، الآية 22

5- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 45.

6- سورة فاطر، الآية 5

7- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 685.

لذا يرد أهل الله حسب ابن العربي قائلين: « يا ربنا أسمعنا فسمعنا، وأعلمتنا فعلمنا...وتعطف علينا، فالمنصور من نصرته، والمؤيد من أيده، والمخدول من خذلته»¹.

استعان ابن العربي بالسند الشرعي كي يصف تعامل أهل الليل مع فضائل خالقهم،

وجزائه منها قوله:- تعالى- ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾²، التي عاتب فيها

- سبحانه- الإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على عدم الإيمان بقضائه³، عكس أهل

الله الذين يقول الإنسان منهم كرمك يا رب⁴، تعبيراً على احترام الحق - تعالى- في مجازاة

عباده بما يشاء، وكيف ما يشاء التزاماً لحدوده، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا

قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁵، الداعية المؤمنين إلى تقوى الله في جميع أحوالهم في السر، والعلانية،

والترغيب في القول السديد الظاهر في لين الكلام، ولطفه في مخاطبة العقول بالنصح،

والإشارة إلى ما هو أصلح⁶، لذا نجد أهل الله يقولون: « وأي قول لنا إلا ما تقولنا؟ وهل

لمخلوق حول أو قوة إلا بك؟ فإجعل نطقنا ذكرك، وقولنا تلاوة كتابك»⁷، فيقول -تعالى-:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾⁸، فيقول أهل الليل

« ربنا أغربتنا بأنفسنا لما جعلتها محلاً لإيمانك»⁹، فيقول -تعالى-: في هذا ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 36

2- سورة الانفطار، الآية 6

3- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 914.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 37

5- سورة الأحزاب، الآية 70

6- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 673.

7- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 37.

8- سورة المائدة، الآية 105

9- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 37

أَفَلَا بُصِرُونَ ﴿٢١﴾¹، الحائثة على التأمل، والتفكر ما في نفس العبد من عبر، وحكم، ورحمة دالة على أن الله وحده الأحد، الفرد الصمد، وأنه لم يخلق خلقه سدى²، وقوله أيضا: ﴿سَرُّهُمْ أَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾³، ردا على كل من شكك بصحة، وحقيقة الله - تعالى - الذي جعل آياته التي في السماء، والأرض، وما إشتملت عليه أبدان عبادہ بيانا لا شك فيه على عظمة خلقه، وبديع صنعه⁴.

سعى ابن العربي من خلال اعتماده على هذه الحجج الدينية، ليثبت بأن الآيات المطهرة ما وجدت إلا لغاية، ولا هي «مطلوبة إلا لما تدل عليه»⁵، مؤكدا أن الله هو مدلولها⁶، فمعنى قوله:- تعالى- ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾⁷ حسب ابن العربي هي الدعوة إلى الالتزام، والمثابرة على ملازمة حدود الله - تعالى-⁸، والحث على الاجتهاد في إصلاح النفوس بالالتزام سلوك الصراط المستقيم كما أشار إلى ذلك "السعدي عبد الرحمان" (1307هـ-1376هـ) في تفسيره⁹، لأن من ضمن سلامة عقله، وصلاحه بملازمة حدود الله حتى يهتدي لا يضره من ضل عن صراطه، ولم يهتد إلى الدين القويم، إنما يضر نفسه لا غير¹⁰، وهو ما يفسر قوله- تعالى-: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾¹¹، لذا فالعارف بالله ما عرف الله إلا بما عرف الله به نفسه في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله، فالخالق

1- سورة الذاريات، الآية 21

2- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 809.

3- سورة فصلت، الآية 53

4- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 752.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 37

6- المصدر نفسه، ج 4، ص 38

7- سورة المائدة، الآية 105

8- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 38

9- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 246.

10- المرجع نفسه، ص 246.

11- سورة المائدة، الآية 105

- تعالى- عرف عند عباده الصالحين، إلا بعد ما وصف نفسه لهم، حيث يقول ابن العربي: « اعلم...أن العالمين بالله ما علموا منه إلا بوجوده وكونه قادرا عالما متكلمًا...حيا قيوما سميعا بصيرا...وأنه سبحانه وتعالى لا يجوز عليه المحدثات»¹، لهذا أكد ابن العربي على أن معرفة الخالق لم تكن إلا بفضلها ولولا هدايته -سبحانه- لضل الكثير، علما أنه كلما اقترب الإنسان من ربه، إقتربا خالصا، صادقا رزق نورا يمضي على صراطه المستقيم²، مؤكدا على أن أهل الليل يبقون على هذا النحو الدؤوب، الراغب في طاعة خالقهم، والفوز برضاه في كل آية يقرؤونها في صلاتهم، وفي كل ذكر يذكرون به باريهم حتى مطلع الفجر³، لذا قال فيهم ابن العربي الأبيات الموالية⁴:

ألا أهل الليل أهل التنزل وأهل معارج وأهل تنقل

فإن قلت فيهم أنهم خير عصابة صدقت فقد أحلوا بأكرم منزل

دعا ابن العربي إلى ضرورة أن يلتزم العبد بالأخلاق الإلهية ما استطاع في معاشه، الذي خصص له -سبحانه وتعالى- النهار ليسعى فيه ما شاء، شريطة المحافظة على حدود الله، وكذا في الليل الذي هو لله - تعالى- ينزل فيه - جلا وعلا- إلى السماء الأولى، فكان الأجدر حسب ابن العربي أن يتهيأ الإنسان في مثل هذا الوقت لكي يناجي ربه بقلب متورع، وإيمانا صادقا لأن الليل جعله الله له لينزل فيه مناجيا، وقاضيا لحوائج عباده المتقين⁵، ومن غير أدب أن يقابل العبد نزول ربه بالنوم لأنه تعبير عن دعواه الباطلة في محبة خالقه، لذا وجب الحرص على القيام، والسهر بين يدي الله حتى يعطيه ما سأله⁶.

1- رسالة إنشاء الدوائر الإحاطية على الدقائق على مظاهاة الإنسان الخالق والخلائق، رسالة رقم 9، من ورقة 111،

ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 38

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 38.

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 38

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 39

6- المصدر نفسه، ج 4، ص 39

اشتراط ابن العربي في أن تكون تلاوة القرآن في الليل بعيدة عن التدقيق في المعنى، لأن هذا التأمل يفرق بين العبد وربّه، لدخول آلة الفكر عليه في ذلك من حيث أنه لا يكون الوقوف على المعنى إلا بها، لذا لا يعرف قيمة الليل، وأفضلية تلاوة القرآن فيه إلا العارف بالله الحقيقي، الذي يقدر أهمية نزول الرحمان إلى سماء الدنيا بالليل، ولماذا نزل، ولمن طلب¹، فالعارف بالله يتلذذ بالقرآن بدل الوقوف على معانيه، لأنه لو فعل ذلك « فقد خرج عن الله بفكره، وتأمله»²، لذا وجب أن لا يصغي إلا لكلام الله بإخلاء سمعه لذلك، ولا يأخذ شرحاً، أو ترجمة لمعاني القرآن إلا بما سمح به الشرع، لا باعتماد فكره، واعتباره³.

أكد ابن العربي بأن العارف بالله لا يبالي بذكر النار، و لا الحساب، ولا العرض، ولا الدنيا، ولا الآخرة لأنه ما أدركها بعقله، ولا بحث عنها بفكره وإنما ألقى السمع لما قاله - تعالى - مصداقاً لقوله - سبحانه - : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾⁴، أي بقلب عظيم حي زكي إذا ما ورد عليه شيء من آيات الله ذكرها، وانتفع منها باستماعها استماعاً مرشداً للقلب، ووعظاً، وهداية له⁵، فيجعل من صاحبه دائم الحضور مع الله - تعالى - الذي يتولى تعليمه فيحصل على علوم يقينية لم تكن عنده، إنما من عند -الرحمان- وهبه إياها، جزاء حسن الأدب معه - سبحانه-⁶، فهذا العبد تصح له صفة أهل الله العارفين، الذين يجمع بينهم وبين خالقهم الليل، وإذا ما بزغ الفجر يستولي - الرحمان - على عرشه، ويعود العبد إلى معاشه، وباقي إخوانه، وقد فتح

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 42

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 42

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 42

4- سورة ق، الآية 37

5- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 807.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 42

باب بينه وبين ربه ينظر إليه منه والخلق لا يشعرون، ويحدثه وهم لا يعرفون، ويفتح له بصيرته وهم لا يعلمون¹، لذا قال: أصحاب هذه الصفة التالي²

يا مؤنسي بالليل إن هجع الوري ومُحدثي من بينهم بالنهار

أهلت الأخلاق العالية أهل الليل من الاستفادة من النهار، والليل معاً، لفوزهم بالكشف، والعمل معاً، فكانوا قدوة يتعلم منها غيرهم في الصباح، كما يتعلم منهم في الليل³، وهو ما لا يوجد عند باقي الناس العوام، الذين حرمتهم سوء أخلاقهم من استغلال حسن النهار كقاعدة لمعاشهم، كما غلبتهم نفوسهم الضعيفة على مقاومة السهر فعجزوا كذلك عن الاستفادة من الليل، لمناجاة خالقهم عكس أهل الليل الذين قال فيهم ابن العربي: «وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة، عن المواد المحسوسة، والخيالية، فهم الواقفون مع الحق بالحق، على الحق من غير حد، ولا نهاية»⁴، مؤكداً على أنه كلما كان العارف عالي الهمة كافأه الخالق - تعالى - بمعاني، ومعارف، وأسرار بحسب المنزلة التي خولتها إياه أخلاقه العالية، فيستفيدون من العلوم التي يهبها الحق إكراماً لتلك الهمم⁵.

2- الفتوة مقام قوة عن أهل الله

استطاع الإنسان أن يكون أقوى كائن مقارنة بغيره مما خلقهم الله جميعاً، بفضل الأخلاق وهذا ما أكده ابن العربي عندما قال: «الخلق أقوى من الهواء إذ كان مؤمناً»⁶، ولتقريب المعنى أكثر ماثل الشيخ الأكبر بين الفتوة كحالة يعيشها الإنسان بين الطفولة، والكهولة والتي من أهم ميزاتها أنها ليس فيها شيء من الضعف لقوله: - تعالى - ﴿اللَّهُ الَّذِي

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 43

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 43

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 51

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 44

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 43

6- المصدر نفسه، ج 4، ص 53

خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً¹، التي يخبر فيها- سبحانه- عن سعة علمه، وعظيم قدرته بخلق الإنسان من ضعف، والظاهر من الأطوار الأولى من خلقه من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى أن صار حيوانا في الأرحام، إلى أن ولد وهو في سن الطفولة، وهو في غاية الضعف، وعدم القدرة ثم مازال يزيد في قوته تدريجيا حتى يبلغ الشباب، فتستوي قوته، وتكتمل قوته الظاهرة، والباطنة²، لذا نسمي من يعيش في هذه الفترة بالفتى الذي لا يشوبه أي ضعف لسلامة جسده، وبين المرتبة التي يبلغها أصحاب الأخلاق الفاضلة التي مكنتهم من بلوغ السيطرة على شهواتهم، والتعالي عن رذائل الأمور، لذا اعتبر ابن العربي أن الفتوة التي تقدمها الأخلاق، لا الزمن مقام من مقام القوة، والهيمنة، ويسمى أصحابها **الفتيان** « وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق جميعها»³، فعلى قدر ما يقدمه العمر اليافع من مرونة، وغلبة، وسيطرة على متاعب الحياة، بفضل سلامة الجسم تقدم كذلك الفتوة الأخلاقية حالة من الاتزان، والرقي النفسي، والتماسك الروحي للفرد، لأن أصحاب هذا المقام وُفِّقوا في الانتقال من الأخلاق كصفة، إلى الأخلاق كممارسة، وتطبيق لأنه « لا يمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق ما لم يعلم المجال الذي يصرفها فيه، ويظهر بها»⁴.

أكد ابن العربي على أن بلوغ مقام الفتوة لا يكون إلا إذا ما تم إخراج الأخلاق من حيزها الصوري إلى مبدأها العملي، ومن لا يقوى على ذلك وصف ابن العربي دعواه المناشدة للأخلاق بالكاذبة، وأعماله عرضة للإنزلاق لذا كان سريع الفضيحة⁵، فلا يصدق اسم - **الفتى** - إلا على من تمكن معرفة مقادير الأكوان، ومقدار الحضرة الإلهية، فيستطيع أن يتصرف ويعامل كل موجود بما يوازي قدره من المعاملة، مع مقدرته على معرفة ما

1- سورة الروم، الآية 54.

2- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 645.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 55

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 55

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 55

ينبغي أن يؤجله، وما ينبغي أن يؤخره¹، وهذا بفضل الأخلاق المنورة لبصيرته، فكان الفتيان هم أهل الله أصحاب الأخلاق الكريمة، والعلوم الصحيحة الوافرة.

نصح ابن العربي من أراد أن يبلغ هذه المرتبة المضادة للهوى، والغرائز الجالبة للعلوم النافعة أن يكون مخلصا في طلب الأخلاق، وممارستها لوجه الله ما دام أن الإنسان كإنسان لا يستطيع بمكارم أخلاقه أن يرضي الجميع، لاختلافهم في المقاصد، والغايات، والإرادات، ولو سعى وراء رضاهم لما كان من الفتيان، لذا من الأجدر أن يجتهد لنيل رضى خالقه - سبحانه-، مادام أنه لم « لم يتمكن عقلا، ولا عادة أن يقوم...في هذه الدنيا أو حيث كان في مقام أن يرضي المتضادين»²، فالواجب إذن لهذا الفتى أن يهجر هواه، ويقمع غرائز نفسه برجوعه إلى خالقه، مولاه، وسيده، عازما على تطبيق تعاليمه، وطاعة أوامره، ونواهيه، بالوقوف « عند حدوده، ومراسيمه، ولا يكون ممن يجعل مع سيده شريكا في عبوديته»³، كان الفتى هو من وقف عند حدود خالقه، وسيده ولم يخالف ما جاء به بقياس، أو رأي، ولا نقصان بتأويل، فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم، فكان هذا الفتى هو المؤمن الطائع⁴.

حث ابن العربي كل فتى كانت له الرغبة في الاتصاف بهذه الأوصاف، أن يحافظ على المكانة التي خصه الله بها، وهي كونه خليفة الله في الأرض، لأن الفتى المؤمن الطائع لا خصم له، « لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه»⁵، وما ساعده ليكون بعيدا عن الخصوم، والأعداء أنه سائر في ملكوت الرحمان بما يرضي خالقه، لا تصدر منه إلا الفضائل الحائز عليها، لذا فهو بعيد عن العبث لأن خالقه كان حكيما بديعا وكل ما خلقه

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 55

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 56.

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 57

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 58

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 59

كان بحسبان لقوله - تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾¹، أي عبثاً، ولعباً من غير فائدة، ولا مصلحة إنما خلقها بالحق وللحق ليعلم العباد كمال علمه، وقدرة ذاته، وحده - تعالى- المعبود دون من لم يخلق مثقال من السماوات، والأرض² لذا وجب أن يوجه كل أفعاله، وحركاته لخدمة خالقه ما دام أن كل ما خلق فيه كان لغاية كلما أدركها، واستوعبها زاده ذلك إيماناً، وخشوعاً فقال: ابن العربي « فيؤدي هذا القدر من العلم إلى الأدب الإلهي»³.

أكد ابن العربي على أن الفتيان أصحاب قوة حكماء، ومسيطرون على نفوسهم، متمسكون بطبائعهم، وعاداتهم، لأن الله « قد ولاهم على نفوسهم، وأيدهم بروح منه عليها، فلهم التصريف التام»⁴، لذا شبههم الشيخ الأكبر بالسلطين في صورة العبيد، وهذه السلطنة مكنتهم منها أخلاقهم الفاضلة القائمة للهوى، فكانت لهم القدرة بمقابلة السيئة بالحسنة، وهي ميزة اكتسبوها من الشرع الكريم، أليس الله يرازق للكافرين به بنعمه رغم طغيانهم، غير أن عباد الله الصالحين رغم مصاحبة الشهوة للطبيعة الإنسانية، إلا أنهم دون غيرهم استطاعوا تطويقها، وتعويضها بالشكر، والثناء، لأن روحهم المحررة من الرغبات ليس لها أي مهمة سوى أن تكرر نفسها لخالقها⁵، فالفتيان لهم «القوة وليس لهم القهر إلا على نفوسهم خاصة، ومن لا قوة له لا فتوة له»⁶، علما أن هذه القوة لا يعني بها ابن العربي إلا قوة السيطرة على

1- سورة ص، الآية 27

2- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 712.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 60

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 61

5 - **Manuela Marin**, Abu said Ibn al-Arabi et le developpement du soufisme en Al-andalus, Revue des mondes musulmans et de la méditerranée, N° 63-64, 1992, P 30.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 68.

الرغبات، وبذل كل ما في وسع الفتى في معاملة خلق الله على الوجه الذي يرضي الحق - سبحانه-¹.

3- الورع واجتناب الشبهة من آداب أهل الله

ثبت عند ابن العربي أن الورع هو «اجتناب المحرمات، وكل ما فيه شبهة...بما جاء النص الصريح بتحريمه من كتاب، أو سنة، أو إجماع»²، مؤكداً أن ميدان الحلال، والحرام يختلف باختلاف الأسماء، والأوضاع مثال ذلك أن شرب الخمر هو مُحرم نصاً، إلا إنه يحل وقت الإضطرار بمعنى ليس هناك شيء محرم لعينه ولهذا قيده الشارع بالأحوال³، عكس الأمور المحرمة لعينها، لذا وجب إجتنبها ظاهراً، وباطناً، ونعني بذلك الاتصاف بأوصاف الله - تعالى- فقال ابن العربي في هذا: « لا يصح أن يجيء آية شرعية تحله»⁴.

أكد ابن العربي أنه من الواجب شرعاً، وعقلاً أن نطلق الأسماء الإلهية لفظاً، لا معنى لكون الخالق منزهاً عن جميع ما خلق، والألفاظ الإلهية التي تطلق على الله - سبحانه وتعالى- لزم أن تتم بصورة سليمة، صحيحة تليق بالحق الإلهي، ولا يجوز أن تطلق على أحد من عباده إلا حين أطلقها الحق لا غير⁵، مثل قوله - تعالى- في سورة التوبة:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁶، لهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق،

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 70

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 72

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 73

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 73

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 74.

6- سورة التوبة، الآية 128

والواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيزه، وتوقيره¹، لذا من الواجب التورع في مثل هذه المسائل الخاصة طاعة في الله، وخوفاً منه لقول: ابن العربي في البيت²:

فخف رب تدبير وتفصيل مجمل فذاك الذي بالعبد أولى وأجمل

يمتد تورع أهل الله حسب ابن العربي ليشمل التأدب مع رسل الله، وأنبيائه من خلال أنهم استبدلوا لفظ "رسول" الذي يطلق على غير رسول من رسل الله بلفظ "الورثة والترجمان" كما سبق وأن أشير إليه في الفصل، خشية منهم من أن يتشبهوا برسول الله فيقولون « وصل من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجمان يقول كذا وكذا»³، لأن لفظ الرسول لا يصدق إلا على رسل الله الحاملين لرسائله الإلهية السماوية، وخشية أن يقع أهل الله في التشبيه استبدلوا كذلك اسم "الملك" "بالسلطان" ما دام أن هذا الاسم لم يرد في أسماء الله - تعالى-، وفي هذا يقول ابن العربي: «فلم يطلقوا على المرسل ولا على المرسل إليه اسم الملك، ورعا، وأدبا مع الله، وأطلقوا... اسم السلطان فإن الملك من أسماء الله»⁴، وغاية ابن العربي من هذا التوضيح هو تأكيد على لزوم الأدب مع الخالق - تعالى-، ورسله لا يقوى عليه إلا أهل الليل الذين عرفوا الله، وعظموا شأنه، ومنزلته، لذا سماهم "الشيخ الأكبر" "الأدباء الورعون"⁵.

إن أخذ الحيطة، والحذر في التعامل مع الذات الإلهية المنزهة، والألفاظ التي تطلق عليها، ورسول الله الطاهرين، يتواصل عند أهل الله المتورعين حسب ابن العربي ليظهر في طبيعة تعاملهم مع الغير، فالتفافهم حول أخلاق التوحيد، وإخلاصهم في التمسك بها غدت

1- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 357.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 102

3- المصدر نفسه، ج 4، ص 74

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 75

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 75

روحهم، وزودت ذواتهم بالآداب الشرعية فولدت كل أنواع الرحمة بالعباد، كيف لا وهم من وصفوا بأهل الورع، والتوكل، والزهد¹، والخلق الحسن، والسخاء، وفي هذا يقول ابن العربي: «ما يكونون عليه من الأخلاق الإلهية... وظهر أحكامها على ظواهرهم من الرحمة... والإحسان... والتوكل... والقيام بحدود الله»²، ساعين كل السعي إلى تيرئة الخالق سبحانه- من كل ردة فعل سيئة، بل يرجعونها إلى ذواتهم مصداقا لقوله-تعالى- ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾³، المثبتة لحقيقة أن ما يتعرض له الإنسان من رخاء، ونعمة فبفضل من الله، وإحسان منه، وما أصابه من أذى، ومشقة فنتيجة ما اقترفت نفسه من ذنوب⁴، لقوله- صلى الله عليه وسلم- «...والخير كله في يديك...»⁵، وحسب ابن العربي نفي السوء، والشر عن الخالق - تعالى- لا يقوم بها إلا المتورعين، لأنها تعبير عن شدة تهذبههم معه- سبحانه - لعلو حقيقته مادام أن خشيته - جل وعلا- تولد القبول وكل ما استجاب الإنسان بأوامره، ونواهيه فتح الله عنه، ورزقه، وفي هذا يقول ابن العربي: «وإنما هي أعمالكم ترد عليكم»⁶.

1- الزهد: وهو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر فيسهل الإعراض عنها، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف، قال عنه "الجنيد": « الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد»: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 116، وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم- « إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق، فاقربوا منه، فإنه يلقي الحكمة»: / القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (37) كتاب الزهد، (01) باب الزهد في الدنيا، برقم: 4101، ص682.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 76

3- سورة النساء، الآية 79

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 510.

5- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (06) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (26) باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (201)(771)، ص206

6- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 41

أكد ابن العربي أنه كلما أخلص المرء في تقواه، وتورعه مع الخالق -تعالى-، جازاه بالقبول، وفي هذا يقول "الشيخ الأكبر": «الورع الذي احترموا به الجناب الإلهي، حقيقة لا مجازاً، فتح الله لهم بأديهم عين الفهم في كتبه»¹، موضحاً أن هذا الفهم، والفتح² تعجز العقول عن بلوغه لأنها معرفة موهوبة من الله -تعالى-، ولم تؤخذ من أفكارهم، وعقولهم التي وجب أن تدرك أن هذا العطاء كله كان بفضل العناية الإلهية، وهذا ما لا يستطيع فهمه أو التسليم به إلا أصحاب هذا المقام العالي دون غيرهم³، لذا أطلق ابن العربي اسم "الورعين" على رجال هذه الطبقة، على أساس أن الورع في اصطلاحهم قائم على القاعدة السننية القائلة: «دع ما يريبك إلى ما يريبك»⁴، وقوله كذلك - صلى الله عليه وسلم: «استفتت نفسك، استفتت قلبك يا وابصة - ثلاثاً-، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»⁵، أي أنهم يقابلون هذه المسائل الغيبية الوعرة بقلب مؤمن، مسلم بها بدل الغوص في هذا البحر المهلك، فالاعتماد على هكذا قلب يكون المرء حسب ابن العربي قد ملك الميزان الدقيق الذي يستند عليه في قبول دين الله الخالص، الذي لا يعلمه إلا الله -تعالى- لقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾⁶، تقريراً لأمر الإخلاص، وبيان أن -تعالى- كما أن له الكمال كله على عباده من جميع الوجوه، فكذا له الدين الخالص الصافي من جميع النقائص، والشوائب، لذا

- 1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 77
- 2- الفتح هو ما بزغ عن العيب عن زوال الحجاب، وهو شامل لجميع الحقائق من العلوم، والأسرار، والمواهب:/ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفا عن كلام خاتم الأولياء، ص 81
- 3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 78
- 4- الترمذي محمد، سنن الترمذي، (35) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 2008، برقم: 2518، ص567.
- 5- الدارمي أبو محمد، مسند الدارمي، ج 3، (18) من كتاب البيوع، (02) باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني، ط 1، 1997، برقم: 2575، ص1649.
- 6- سورة الرُّم، الآية 3

إرتضاه لنفسه، ولصفوة خلقه، وأمرهم بهم لأن به تصلح القلوب، وتطهر¹، وأي دين غير هذا الدين هو دين وضعي، تغذيه التناقضات، وتوجهه النزعات، والرغبات على اختلافها، المحمودة منها، والمذمومة، لذا كان الورع عند ابن العربي في أن نعامل الله بالوفاء، بالإقرار بربوبيته المنزهة، ومعاملة الرسل بالافتداء، وملائكة الله بالطهارة².

اتخذ أهل الله حسب ابن العربي من القلب سندا قويا ليدخلوا به على مثل هذه الحقائق الغيبية مسلمين بعدم تجلي الرحمان، لعامة الناس في الدنيا، فأمنوا به بكل إخلاص بإعتادهم التنزيه، والأدب مع خالقهم، والقلب هنا حسب الشيخ الأكبر ليس المقصود منه تلك "المضغة الصنوبرية"، كما عبر عنها لأنها أحقر من حيث الصورة، من أن تكون محلا لسره - سبحانه وتعالى-³، وإنما المراد به القلب النقي، التقي، بهذا يصبح القلب عند ابن العربي إنسانيا محضا إذا ما خرج من حدود الطبيعة كعضو جسماني، إلى حقيقة جامعة للأوصاف الكاملة إذا ما غدته مكارم الأخلاق، والصفات الفاضلة، التي تفعل فيه القدرة على التحمل، والمجاهدة، والارتياض فتعزز حكمته، وتسدّد تجربته نحو الصواب⁴، فيتزكى لتظهر الحقيقة القلبية ظهور النار بين الحجر والحديد.

ركز ابن العربي اهتمامه على القلب النقي في هذه المسائل الروحية، بدل الفكر على أساس أن القلب عنده « عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف، والشؤون الربانية، والخصائص، والأحوال الكونية الروحانية، والطبيعية»⁵، فكلما حمى الفرد قلبه من الوقوع في الخطايا، تورعت روحه، وبالتالي تسنى له أن يعقل، ويفهم، ويدري، ويستحي، ويحذر، ويتقدم

1- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 718.

2- ابن العربي، الوصية، ص 6

3- ابن العربي، العجالة، ص 13

4- المصدر نفسه، ص 14

5- المصدر نفسه، ص 14

لأن « من الروح علمه، ووقاره، وعفافه، وحيائه، ووفائه»¹، على أساس أن الروح إن لم تُطهرها الأخلاق كانت مصدرا للخفة، والشهوة، والسفاهة، وهذا ما أشار إليه ابن العربي حين أكد أن الفضلاء هم من جاهدوا ليعيشوا في الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الأعلى²، لأن الله لا يرفع الحجاب إلا عن قلوب تعرت عن الخلق، وعن الطبع، والهوى³.

أكد ابن العربي أنه كلما استحي المرء من الله منع قلبه من أن يخطر فيه خاطر يذمه الشرع، أو يعمل بعمل ينهى عنه الخالق - تعالى -، ولا يرضاه⁴، بهذا نجد أن ابن العربي اشترط عامل الأخلاق الصادقة في تغذية القلب، حتى يضمن تورعه لأن في غيابها لا يكون القلب إلا عضو حسي كباقي الأعضاء، لذا نصح ابن العربي بأن لا يضيع الإنسان عمره في الجري وراء المأكّل، والمشرب، واتباع كل ما هو حيواني، متلذذ بمنافع عالم حسه فقط، المميّنة للعقل، واللاغي لتكاليفه، لانعدام رشده، وتميزه، فيغيب تدبره، وتضعف رويته، فينسى أنه ما خلق إلا لعبادة ربه، عكس الفتى المتورع الذي منحته أخلاقه نعمة التفضيل بين الخطأ، والصواب فكان موحدا، منزلها لخالقه، متعاليا على من إتخذ من دون الله ربا، لقوله - تعالى -: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۚ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾⁵، المبيّنة لعدم إستحقاق هذه الأصنام التي تُعبد من دون الله لشيء من العبادة لافتقارها الاستطاعة والقدرة في نصر أنفسهم، ولا نصر من يعبدها⁶، فالفتى المؤمن بالله إيمانا خالصا يدرك أن الله - سبحانه - هو الباطن، الذي لا يدركه البصر، الحافظ للأشياء وموجدتها، فهو

1- ابن العربي، الموعظة الحسنة، ص 12

2- المصدر نفسه، ص 9

3- الجيلالي عبد القادر، الفتح الرباني، د ط، د ت، ص 16

4- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 15

5- سورة الأعراف، الآية 198

6- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 313.

«الظاهر الذي لا يُعَرَّف، والباطن الذي لا يجهل»¹، وهذا ما عبّر عنه ابن العربي في البيت الموالي²:

فلو كان فعلك في أمره كفعل الفتى الحذر الواجل

لميزت بيني وبين الذي يجلي لك الحق كالباطل

يكون تورع الفتى حسب ابن العربي بانكبايه على الأمور التي ندب الحق إليها من الخير على كل أنواعه ما دام أن الخالق - تعالى - ما خلقه عبثاً، وما تركه سدى، بل هو ليوم مشهود، يميز فيه الشقي من السعيد³، فكان الواجب توفير الوسائل، والشروط اللازمة كي يضمن الفتى نقاوة قلبه، ويتم سقله، منها ذكر الله - تعالى -، وتلاوة القرآن الكريم، وتفريغ القلب من الممكنات، حتى يتهيأ ويراقب مع إلزامية حضور شرط الطهارة الظاهرة، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الأكبر «الجلوس على الطهارة دائماً، ومتى أحدثت توظأت، ومتى توظأت صلّ ركعتين»⁴، وحتى يتمكن الإنسان من الوقوف عند حدود خالقه، وجب غض البصر عن الأمور المنهى عنها شرعاً، والتوجه بحواسه، وقلبه ما يزيد في اعتباره وإيمانه ما دام أنه يتضمن نواة طوبى الجنة، بخلاف الكفر الذي يضمّر بذرة زقوم جهنم⁵.

حذر ابن العربي من التفكير في الملاذ لكونها عامل مباشر في تشتيت الهمم، لذا من الصائب أن يبادر الفتى السليم بطاعة خالقه، قدر الإستطاعة، مع وجوب الحذر، بالتدبر، ومراقبة الأوقات، ومخافة الفوات، واتقاء الآفات⁶، لأن كل صاحب قلب خاشع في هياكل

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 20

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 88

3- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 38

4- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 16

5- النورسي بديع الزمان سعيد، موسوعة كليات رسائل النور، ترجمة زاهد الملاز كردي، شركة رسائل النور، ط 1، 2010، ص 7.

6- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 11

الظلام، هو حسب ابن العربي مبشر بالسرور، بهياكل الأنوار¹، مؤكداً أن الروح الطيبة، تسكن الجسد الطيب لأنها موحدة، منزهة لخالقها، متعالية من أن تكون محلاً للأخلاق الدنيئة مثل روح الأنبياء، والأولياء، أما الروح الخبيثة فهي للجسد الخبيث، مشرقة بخالقها، فكانت محل الوسواس، والرذيلة، لذا « فصحة الأرواح، وعافيتها مكارم الأخلاق التي إكتسبتها»²، والعكس، ويرجع ضعف الروح إلى تأثير المزاج البدني السيئ عليها، وحثه في ذلك أن الروح أصلها من الله لقوله -تعالى-: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾³، فالخالق -تعالى- يصور الإنسان، ويعدله ثم ينفخ من روحه فيه، فيصبح بشراً حياً⁴، لذا فإن الروح حسب ابن العربي قوية قوة أصلها لكن بمجرد إرتباطها بالمادة -البدن- تضعف، لطغيان طبائع الجسد وأخلاقه عليها، فغلبت الشهوات، والملاذ تفسد المزاج، وتحط من قيمة النفس، حيث يقول: « فلو تجردت الروح عن المادة، ظهرت قوتها الأصلية، التي لها من النفخ الإلهي»⁵، لذا كان الشقي من تاه في شهواته، وأظلمت عليه أقطار مسالكه.

أكد ابن العربي بأن النفس الإنسانية مجبولة على الجزع في أصل نشأتها، علماً أن هذا الأخير هو أقوى عند الإنسان من الحيوان، موضحاً أن سبب قوته عند بني البشر مردها العقل الذي خصهم الله به دون باقي الحيوانات، ورغم أنه فضل من فضائل الله - تعالى- على خلقه إلا أنه كلما أفرط الإنسان في تقديسه، وجعله قوة مطلقة، أهلك ذاته فقال: الشيخ الأكبر في هذا «...وما يشجع الإنسان إلا القوة الوهمية، كما أنه أيضاً بهذه القوة يزيد جبننا...في مواضع مخصوصة»⁶، فالإنسان ما بلغ الكمال إلا توهما، لأن في أصله هو

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 32

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 243.

3- سورة الحجر، الآية 29

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 478.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 244

6- المصدر نفسه، ج 4، ص 239

ضعيف، ناقصا، وعرضة للزلل، والغلط، فالأجدر أن يتذلل إلى خالقه بأن يحترم حدوده، في إحاطة ذاته بالأخلاق الشرعية لأن الشجاعة والإقدام غير المتروكي سفاهة منه، فتجعل الذلّة، والافتقار ملازمين له، لأن كل ما فيه من قوة هي بتأييد من الله - سبحانه وتعالى - له، ودليل ذلك أن أبسط المواقف التي يتعرض لها المرء تجعله يذهل، ليسارع في البحث عن مخرج، وفي هذا السياق يقول: ابن العربي «...ليعلم أن إقدامه على الأهوال العظام، إنما هو بغيره لا بنفسه، وهو ما يؤده الله به من ذلك»¹، لقوله - تعالى -: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾²، التي شرعها الخالق في كل ركعة، ومعناها تخصيص الله - سبحانه - وحده بالعبادة والاستعانة، فنعبده ولا نعبد غيره، ونستعين به دون سواه، كما تؤكد هذه الآية الكريمة على تقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، إهتماما بتقديم حقه - تعالى - على حق عبده³.

يسلم المؤمن الطائع تسليما صادقا بوجود الله - سبحانه وتعالى - حسب ابن العربي بقلب كله تورع كي لا يتجاوز حدوده - سبحانه -، ما دام أنه لا حول ولا قوة إلا بخالقه، منه العون، وبه التأييد، فضعف الإنسان، ونقصه حقيقة فرضها الخالق - تعالى - كي يسعى الإنسان في طلب السعادة الحاصلة بالإقبال عليه، والتوجه إلى حضرته بكل إخلاص، في غياب كل شرك خفي أو جلي⁴، لذا أخبر الخالق - جل وعلا - على لسان سفرائه، أنه خلقنا لعبادته، وأمرنا بالتوحيد حيث يقول: ابن العربي أنه « لا يصلح...وفي قلبك رابية لغيره»⁵.

ومما سبق تحليله يمكن بلوغ النتائج التالية:

- 1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 241
- 2- سورة الفاتحة، الآية 5
- 3- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 39.
- 4- ابن العربي، العجالة، ص 11
- 5- ابن العربي، الأنوار فيما يمنح الخلوة من أسرار، تقديم عبد الرحمان حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1986، ص 15.

الفصل الثاني:.....أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي

- إن الغاية من ربط المعرفة، ومصادرها بالأخلاق الإسلامية هي حماية الإنسان من الخروج عن حدود الله، وما في ذلك من تأثير واضح على سلوكه، وأفعاله.
- إن قصور العقل عند ابن العربي على معرفة ذات الله، دليل على أنه ما خلق إلا لعبادة الرحمن، لا معرفة كيفته.
- إن من تصدق عليه صفة العاقل حسب ابن العربي هو من كان فاضلا، مترويا، راغيا في الخير، نافرا من الشر.
- إن الاهتمام بالغيبيات، والروحانيات، قبل يقظة العقل، وسلامته إعتبره ابن العربي إهتماما عرضيا، جامع لكل أنواع الخرافة، والأوهام.
- إن الاهتمام بالروحانيات بعقل نير عموده المنطق، والعلم يولد حسب ابن العربي إنسانا راقيا متكاملا، ووجدانيا أيضا، ما دام أن العقل بلا وجدان هو كالجسد بلا روح.
- إن نقاوة النفس، واستقامتها عند ابن العربي تتعكس فيها الرؤية الصحيحة، كما تعكس المرآة المسطحة الصورة الحسنة للشيء.
- إن الأخلاق أساس جوهرية في ترتيب العقول عند ابن العربي، منها ما هو عام للعامة (الفطرية)، وما هو خاص للخاصة (الوهابية)، الحاصل بالأخلاق الزكية للإنسان، والتقوى الخالصة لله.
- إن ما يهبه الله من علوم لعباده الصالحين من لدنه بفتح أغلاق قلوبهم، وتنوير بصائرهم لقدرتهم على التجرد من موانع الجسد، وعوائق الهوى.
- إن عدم تحصين النفوس بالإيمان المطلق، المبني على خشية الخالق، يوقع في محاولات فاشلة، توهم بالقدرة على إدراك الذات الإلهية وهو محال.
- إن غياب الأخلاق عن العقل تجعله عرضة لتقلبات المزاج، والعواطف.

الفصل الثاني:.....أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي

- تعويض ابن العربي لعجز العقل عن إدراك الذات الله بخشيته، والتضرع له -سبحانه-.
- توافق كل من ابن العربي، وابن القيم الجوزية في جعل القلب قاعدة لمعرفة الخالق، ومحبته، إذا ما كان طاهرا، ونقيا قاعدته الإخلاص، والتوحيد الإلهي.
- إن أهل الله الساهرين على طاعة خالقهم هم الأولى، والأحق بفضل ربهم، ورحمته عند ابن العربي.
- إن حرص ابن العربي على المناجاة الليلية بقلب متورع، وصادق تأكيدا على إيمانه المطلق بالحقيقة الدينية الدالة على أن الله - تعالى - ينزل بالليل إلى السماء الدنيا رحمة منه بعباده الصالحين.
- إن الأخلاق العالية لأهل الليل مكنتهم من الفوز بالكشف ليلا والعمل به نهارا.
- إن الفتوة مقاما يبلغه الإنسان بمقامه لا بالزمن، لذا شبه ابن العربي الصحة الجسدية التي يضمنها العمر اليافع، بسلامة النفس المهذبة التي تحققها الأخلاق العملية.
- إن اسم الفتى لا يصدق إلا على من تمكن من معرفة مقادير الأكوان، ومقدار الحضرة الإلهية.
- إن الفتى هو من مَلَكَ بصيرة تُنَوِّرُها الأخلاق الكريمة، وتُوقِّفه عند باب العلوم الصادقة الوافرة.
- إن العارف بالله هو من يتلو القرآن بقلب خاشع، تاركا التدقيق في المعنى خشية الكفر، ورغبة منه في الوقوف على معانيه.
- إن القلب الحامل للمعاني الإنسانية السامية عند ابن العربي، هو من تجاوز حدود العضوية، ليتجمل بالأخلاق، ونبها، فتعكس عليه لتظهر في سلامة القول، والفعل.
- إن القلب الفعال هو من تحمل مشقة المجاهدة، ورضى بالارتياض وقاية من الرذيلة، والخطايا، لتقوى الروح بذلك، وتتورع.

الفصل الثالث: أسس الأخلاق العملية عند ابن العربي

أولاً: أسس أعمال الظاهر

1- السهر والصمت

2- الجوع والعزلة

ثانياً: أسس أعمال الباطن

1- التوكل واليقين

2- الصبر والعزيمة

3- الصدق

أسس الأخلاق العملية عند ابن العربي

اشترط ابن العربي تسعة أعمال وجدها مهمة في تطهير الباطن، وسلامة الظاهر، ملازمة هي لكل مرید اختار السير في طريق الله، وفي غيابها يمنع من ذلك لأنه لا يتسنى له طرق هذا الباب إلا إذا عزم على تهئية نفسه، وروحه بتجسيد الأخلاق وممارستها، فيكون له في التوحيد إذا عمل عليها قدم راسخة، فيعيش كريما، ملتزما بكل ما هو مشروع، وجائز¹، فما هي هذه الأعمال حسب ابن العربي؟ وهل الالتزام بها هو تجسيد للأخلاق العملية الظاهرة في الممارسة الخارجية؟ هل هذه الأسس الأخلاقية مستقلة عن بعضها البعض؟ أم أن كل عنصر يفعل الآخر؟ وهل الاكتفاء بتطبيق الظاهر منها يضمن فاعلية الباطنة؟ وإلى أي حد نستطيع الجزم بأن هذه الشروط برهان على أن فلسفة ابن العربي الأخلاقية تقام على علاقة قوية تطبيقية، يربط فيها ظاهر الفعل الأخلاقي بباطنه؟ إلى أي حد يمكننا إحداث موازنة بين ما أكد عليه ابن العربي في هذه المسألة، وغيره من المفكرين على اختلاف عصورهم ونزعاتهم؟ وهل كانت الدعامة الدينية سندا التفتت من حوله المسألة الخلقية عند ابن العربي الداعية إلى أهمية الخلق الديني، والاجتماعي بالنسبة للفرد والمجتمع؟.

أولا: أسس أعمال الظاهر

1- السهر والصمت

أكد ابن العربي على أهمية السهر بالنسبة لكل مرید، على أساس أن الروح إذا ما غابت عن حواسها تسنى لها التطهر من الدنس، والشرك، فابتعادها عن شواغل الدنيا، ومادياتها يمكنها من الترفع، والتجرد عنها، والرجوع إلى خالقها، فالسهر حسبه فرصة لكل

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 255

من أراد أن يتأمل في خالقه، فيسبح بحمده، منزه إياه عن كل ما لا يليق بكماله، وجلاله¹، مدركاً أنه الواحد الأحد لأنه كما قال "الشيخ الأكبر"²:

وهو الأول الذي ماله أول في الحدوث والقدم

فكلما داومت الذات البشرية على هذا فاضت عليها العلوم علماً، وكشفاً فلا « شيء أنفع للنفس من الرجوع إلى السهر»³.

حاول ابن العربي التأكيد على أن النفوس الناطقة إذ ما قورنت بالفضائل، عجز سلطان القوى البدنية وذلك بتقليل الطعام، والاكتثار من السهر، فيقوى الفرد على أن يجافي، ويباعد، ويترك مضجعه، حتى يتمكن من استغلال الليل في الدعاء، والاستغفار، والذكر، وأفضله ما كان بالليل، وذلك لسكون الناس، وهدوء حركاتهم لتعطيل الحواس عنها، وعن الأعمال، فالليل وقت راحة لا ينصرف فيه العبد الطائع للعبادة إلا عن رغبة، خوفاً من عذابه -سبحانه- لقوله -تعالى-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتُّ إِذْ سَأَلْتُ رَبِّي أَلَيْسَ لِي بِرَحْمَةٍ أَلَمْ يَخْشَ أَنْ يَخَذِرُ أَلْأَخْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّي﴾⁴، المؤكدة لاستغلال المؤمن لساعات الليل في القيام، والسجود طاعة في خالقه، وحذراً من عذاب الآخرة، رغبة في أن يدخله إلى جنته⁵، لذا ذكر الله الذين آمنوا بآياته، ووصفهم بصفة ترفعهم، وتحثهم عن مضاجعهم لتركهم الإضطجاع شغلاً بالصلاة⁶

1- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج3، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد، د ط، د ت، ص 245.

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 164

3- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 2، ص 602.

4- سورة الزمر، الآية 9

5- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص 373

6- المرجع نفسه، مج 6، ص 147

فقال فيهم-تعالى-: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾¹، فالنفس الإنسانية تكون أكثر تهيأ للكلمات الروحية، والأحوال الملكية في الليل أكثر من النهار، لأنها اعتادت النشاط فيه، والعمل به، ولا تنقطع حتى بتفسير، ومشاهدة الموجودات، غير أن هذه العملية تتعكس في الليل، لتتوجه النفس للتأمل من داخلها، لذا يكرم الله الساهر القائم ببياض بهيج يعتري وجهه من كثرة الصلاة² لقوله - تعالى-: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾³.

يُستوحى حرص ابن العربي على السهر كأساس للممارسة الأخلاقية، من الشريعة الإسلامية التي غالبا ما تحرض على قيام الليل، والابتهاال إلى الله -سبحانه وتعالى- لما في ذلك من مزايا تبرز في قول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم-: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»⁴، فالسهر فعل مأمور به شرعا لقوله- تعالى-
: ﴿ وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾⁵، فالخالق - سبحانه- رغب في ترك الهجود الذي هو النوم ليقابله بقراءة القرآن، والصلاة كنافلة زائدة على الصلوات الخمس، - فجل وعلا- لما أمر بالفرائض، ودعا إلى النوافل كان يقصد رفعة الدرجات وزيادتها⁶، لقوله - تعالى-: ﴿ عَسَىٰ

1- سورة السجدة، الآية 16

2- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 101.

3- سورة الفتح، الآية 29

4- البخاري أبو عبد الله، صحيح الإمام البخاري، ج 1، (19) كتاب أبواب التهجد(14)باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم: 1145، ص318

5- سورة الإسراء، الآية 79

6- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 3، ص 223

أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾¹، وهو المقام الذي يقومه - صلى الله عليه وسلم- لشفاعة الناس، فيريحهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم².

إن فضل السهر، وما فيه من امتياز يُحرم منه كثير النوم، ضعيف العزيمة على مقاومته لعدم تمكنه من السهر، واستغلال ليله في المناجاة، والتدبر، والتعب، لأن عبادة الليل أستر للعيون، وأبعد عن الريا، وكلما صار القلب فارغا عن مطالب الدنيا، هم بالرجوع إلى ربه لقوله- صلى الله عليه وسلم-: « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا»³، فالليل في العام هو زمن النوم، ومع هذا هناك الخاصة الذين يضحون بهذه الراحة، حبا في الله، فلم يكونوا من الغافلين بل المطبقين قوله- تعالى-: ﴿ فُرُ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾⁴، وهذا ما وضحه "الرازي"

الفقيه عندما فسر قوله - تعالى-: ﴿ وَمِنْ أَلَيْلٍ ﴾⁵ معناه أن النوم القليل بالنهار قد يوجد من كل أحد، أما الليل فهو زمان النوم، لا يسهره في طاعة الله إلا المتعب⁶، فالعبادة الليلية فيها مشقة على الأنفس، وتعب على البدن، لذا يجزى صاحبها بالأجر، والفضل من ربه لأن قيام الليل أشد مواطأة بين القلب، واللسان، وأجمع للخاطر في أداء القراءة، وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت المعاش⁷، لقوله-تعالى-: ﴿ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾⁸.

1- سورة الإسراء، الآية 79

2- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص 59.

3- أحمد أبو عبد الرحمان (الشهير بالنسائي)، سنن النسائي، (10) كتاب الإمامة (57) باب السعي إلى الصلاة، برقم:

861، ص ص 142-143

4- سورة المزمل، الآية 2

5- سورة الإسراء، الآية 79

6- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 28، ص 203

7- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 252.

8- سورة المزمل، الآية 6

حث ابن العربي للاقبال على السهر الذي لا يقوى عليه إلا عباد الله الصالحين لكونهم هاجعين قليلا، وهذا الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى هي الذكر المساعد على اعتدال المزاج، المزكي للقوة الروحانية، واستقامة الهمة، وصحة ميلها¹، لذا دعا "الشيخ الأكبر" إلى ضرورة المداومة عليه، حين قال: « دم على الذكر فإنك إذا دمت...لم تصبك آفة»²، وكذا الاستغفار في وجوه الأسحار الذي يحمي من الاعجاب بالأنفس والاستكبار³، علما أن السهر لا يؤتى على الوجه الحسن إلا إذا رُفق بالصبر لأنه فعل لا يخلو من التعب، والمشقة لقوله - تعالى-: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾⁴، وهي الآية التي استثنى الله فيها من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، بأداء الطاعات، وترك المحرمات، والصبر على المصائب، والأقدار⁵، فالسهر صورة من صور مجابهة الذات لقمع رغباتها، بارتياض الأخلاق الحميدة الدافعة لتلك الشهوات، لأن النفس عدوة للإنسان سلاحها النوم، وسجنها السهر⁶، ما أقره "القشيري عبد الكريم" (ت 465 هـ) في مؤلفه "لطائف الإشارات" عندما قال: أن كل من لم «يطع شهوته فيما تحمله النفس عليه من بلاء إلى ابتغاء حظه فقد وفى الجهاد حقه»⁷.

وضح ابن العربي أن أفضل السهر هو السهر المتوسط، الذي ينفع القلب، والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد اتباعا للمنهاج النبوي الذي هو بعيد عن انحراف المغالين، ولا

1- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 2

2- المصدر نفسه، ص 10

3- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 28، ص 203

4- سورة العصر، الآية 3

5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 480

6- الخلواتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 2، ص 238.

7- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، ط 3، 2000، ص 609.

تقصير المفرطين إذ قال: « ولا تَمَّ إِلَّا عن غلبة»¹، لذا تطلق كلمة الهاجد على النائم، والمصلي، فالتهدج² يحدث بالصلاة بعد القيام من النوم ليلاً، فمن تهجد هو من صلى في الليل، وذكر الله - تعالى - طلباً لطاعته، لذا كانت الصلاة راحة للروح والقلب والعقل بها يستطيع أن يملك مؤديها «أن يجمع رأس مال عمره للآخرة، ويجعل من عمره الفاني باقياً بجهة ما»³، تأكيداً على أن الغاية من الخلق هي العبادة الدالة على شكره - سبحانه-، لما تفضل به على خلقه دون أن يطالبهم بجزء آخر، غير تكليفهم بعبادته الخالصة الراجية تقواه.

تعتبر الدنيا محل تكليف، وابتلاء، وأعمال⁴، لذا أمر الله - تعالى - بأن يكون المرء دؤوباً في العبادة ولا يفتر منها لقوله - سبحانه-: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۗ ﴾⁵، أي إذا فرغت من شغل الدنيا فانصب في عبادة الله، وقم إليها نشيطاً، فارغ البال، مخلصاً النية، والرغبة إلى ربك⁶، فالإنسان منذ أن خلق وهو مكلف، أخرج الخالق - تعالى - من العدم إلى الوجود، ولم يزل يعمل إلى غاية فنائه، ولا يهدأ البتة حتى يحط الرجال إما في الجنة، أو في النار حيث يقول ابن العربي: « كل جنة ونار حسب أهلها»⁷، لذا جعل ظلام الليل سكونا لاحتياج الناس فيه إلى الراحة من تعب الأعمال، التي كدحوا لها

1- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 14

2- التهجد عند ابن العربي عبارة عن من يقوم، وينام، ويقوم، وينام، ويقوم لأن من لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهدج، لأن نوم المتهدج لحق عينه، وقيامه لحق ربه:/ ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص ص 71-72.

3- النورسي بديع الزمان سعيد، موسوعة كليات رسائل النور، ص 13

4- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 3

5- سورة الشرح، الآية 7-8

6- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 423

7- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 3

في النهار لقوله- تعالى-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾¹، الدالة على تمام نعم الله على عباده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون منها من كل الوجوه²، وكذا قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلْيَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾³، تأكيداً على أن الخالق لما جعل الليل للراحة، والنهار مضيئاً للسعي، والسفر، وقضاء المصلحة حتى يستدل بهما على عظمته، وقدرته على التسيير⁴، إضافة إلى كونه وقت للراحة فإن الليل آية إلهية محفزة للخشوع، والترتيل، والدعاء، لذا كان واحداً من أمهات الخير الأربعة عند ابن العربي فيقول في قيمته البيت التالي⁵:

نُجِبَ الْأَعْمَالُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ	إِنْ لَهِ عِبَادًا رَكِبُوا
لِعَزِيزٍ جَلٍّ مِنْ فَرْدٍ عَلِيمِ	وَتَرَقَّتْ هَمَمُ الذَّلِّ بِهِمْ
وَتَلَقَّاهُمْ بِكَاسَاتِ النَّدِيمِ	فَاجْتَبَاهُمْ وَتَجَلَّى لَهُمْ

يُفَعِّلُ السَّهْرَ عِنْدَ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الصَّمْتَ، فيقول فيه: « وأعني بالصمت ترك كلام الناس، والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان إلا ما أوجب الله عليه»⁶، وهي دعوة صريحة منه إلى كل عاقل حكيم، راشد ومميز أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا ذلك الذي فيه مصلحة، وفائدة، ما دام أن كثرته تجر إلى المهالك، وإلى ما هو حرام، أو غير مستحب، لا يدفع إلا بالصمت، لذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « من كان

1- سورة النحل، الآية 80

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 591

3- سورة يونس، الآية 67

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 282

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 243.

6- المصدر نفسه، ج 4، ص 253.

يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت...»¹، وكذا « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه»²، مصداقاً لقوله: - تعالى - ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾³، وهي الآية المذكورة بأن كل ما يلفظه الإنسان من قول فيتكلم به، إلا وله حافظ يحفظه، ويرصده⁴، لذا كان توخي الحذر في الكلام، علامة على الرشد، وتمام العقل عند ابن العربي، وغيره من الحكماء الذين قالوا: من «نطق في غير خير فقد لغا، ومن نظر في غير اعتبار فقد سها، ومن سكت في غير فكر فقد لها»⁵، ولعلا هذا ما يوجزه قول عمرو بن العاص رضي الله عنه:- « الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل»⁶.

إن تأكيد ابن العربي على عدم الخوض في الكلام غير المراقب، ولا الموزون، فيه حماية للفرد من الغيبة التي هي من أبشع الصنائع، وأكثرها عند الناس، لا يسلم منها إلا القلة الراشدة، تحدث عندما يذكر الإنسان غيره بما يكره قال عنها الرسول - صلى الله عليه وسلم:- « أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته»⁷،

- 1- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (01) كتاب الإيمان، (19) باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، برقم: (74)(47)، ص ص 28-29
- 2- القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (36) كتاب الفتن، (12) باب كف اللسان في الفتنة برقم: 3976، ص 656.
- 3- سورة ق، الآية 18
- 4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 97
- 5- الإبيشيهي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 187
- 6- المرجع نفسه، ج 1، ص 187.
- 7- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (45) كتاب البر والصلة والآداب، (20) باب تحريم الغيبة، برقم: (70)(2589)، ص 742،

وقوله كذلك: « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا»¹، وأيضا « الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه »².

ينفع الصمت صاحبه بمقاطعة النومية، لعزوفه عن الكلام في المحرمات لقوله

- تعالى:- ﴿ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾³، وقول نبيه- الكريم:-

« لا يدخل الجنة نام»⁴، فزيادة عن الغيبة والنميمة، فإن كثرة الكلام تجر صاحبها إلى سوء

الظن المنهى عنه لقوله- تعالى:- ﴿ أَجْتَبِئُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ ﴾⁵، والمقصود

منه أن الظن السيء بالمؤمنين منهى عنه لما فيه من شر⁶ كما ثبت عن الرسول - صلى

الله عليه وسلم- أنه قال: « أفلا أخبركم بشراركم؟ قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة،

المفسدون بين الأحبة الباغون البراء العنت»⁷.

إن ضعف الإنسان على مقاومة شهواته يجعل ذاته تطغى، وتتولى، لذا أكد

ابن العربي على أن المزاج الطبيعي البدني يكسب الروح الضعف، والوهن⁸، ما أوجب الترفع

عن مطامع المادة، حتى تضمن ظهورها حفاظا على أصلها الإلهي، لأن من استطاع

التغلب على شهواته بموته عن هذا العالم السفلي جعله الله حيا، مكرما فيما بعد هذا

1- الطبراني أبو القاسم، المعجم الأوسط، ج 6، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني،

دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1995، برقم: 6590، ص 348

2- المرجع نفسه، ج 6، برقم: 6590، ص 348

3- سورة القلم، الآية 10-11

4- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (01) كتاب الإيمان، (45) باب بيان غلظ تحريم النومية، برقم: 105، ص 40

5- سورة الحجرات، الآية 12

6- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 84

7- البخاري أبو عبد الله، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، (132) باب النَّمَام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،

مكتبة الدليل، ط 4، السعودية، 1997، برقم: 323/246، ص 133.

8- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 244

الموت¹، فيُحرم على نفسه النطق باللّعن الذي قال في صاحبه الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم-: «إن العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها»².

حرص ابن العربي على جعل الصمت مصدرا من مصادر الخير، كونه عمادا من الأعمدة التي يؤسس عليها حسن الخلق، من حلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والتواضع، والزهد، فحسن الصمت يدفع بالمرء كما أكد الشيخ الأكبر إلى الإشتغال بالذكر، وقراءة القرآن، والتسبيح المشروع، والدعاء، والتشهد، والصلاة على النبي -الكريم-³، إلى أن تطبع الروح بالأخلاق الحقيقية، التي هي في الأصل كامنة في الذات البشرية تنبض بالحرص، والمداومة على ما أمر الله به من أوامر، ونواه لتظهر ملامحها في ردود أفعال أصحابها، وما تتطق به ألسنتهم، فالنطق فضيلة عظيمة من فضائل الله - تعالى - على عباده لقوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁴، ومعناه أن الله - تعالى - علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه، ودنياه، من حلال، وحرام، ومنطق، وكلام، الذي في غيابه يتجرد الإنسان من إنسانيته التي فيها قال الإمام علي- كرم الله وجهه-: «ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة»⁵، فغياب الإدراك الذهني، وميزة الكلام لا تبقى من الإنسان إلا جزئه الحيواني.

1 - Eric Greoffory, la mort du saint en islam, Revue de l'histoire des religions, N° 215-1, 1998, P 21.

2- أبو داود سليمان، سنن أبي داود، (35) أول كتاب الأدب، (53)باب في اللعن، برقم:4905، ص888.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 253.

4- سورة الرحمان، الآية 4

5- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 22، ص 46

يعتبر الصمت عند ابن العربي ركنا من الأركان الأساسية التي يجب أن تتوفر في المرید قبل وجود الشيخ، وهو واحد من أربعة واجبة تعد هي قاعدة، وبداية واضحة لأهل هذا الطريق، ومن لم يحافظ عليها حُرِم من الوصول، لأن من لا بداية له لا تعرف نهايته فيقول الشيخ الأكبر في البيت الموالي¹:

إذا لم تلق أستاذا فكن في نعت من لاذا
وقطع نفسه والليل أفلاذا أفلاذا
وتسبيحا وقرآنا فأشهده بمن حاذى

دعا ابن العربي الإنسان في أن يوجب على نفسه عبادات مشروعة، تحوطه من صحبة السوء، أو نفسه الأمانة به، منها الصمت الذي يفضله يحتجز المرء عن العوام، ويمكنه من الانتصار على نفسه². فالصمت السليم حسبه يدفع بالمرید إلى «إلى ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن، وارشاد الضال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاصلاح بين المتهاجرين، والتحريض على الصدقة»³، مصداقا لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾⁴، والتي يعني بها جل ثناؤه اعراض الذين صدقوا بربهم، ورسوله عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه⁵، فاللغو كل كلام ساقط، وجب الترفع عنه كالكذب، والشتم، لذا عمل "الشيخ الأكبر" على الاهتمام بالأفعال، والأعمال بقدر كبير من الحزم، والصرامة، لأن الصمت المتوازن، والجدية في العمل تزيد في عظمة الخشوع، والطاعة، لذا يورث عند

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 252

2- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 3، ص 331.

3- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 10.

4- سورة المؤمنون، الآية 3

5- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص 400

ابن العربي المعرفة بالله¹، التي تكسب صاحبها الطمأنينة لأن من يأنس بالله لا يعرف الفزع²، وهذا ما أشار إليه "السيوطي" في كتابه "الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور" أين أشار فيه إلى جواب "لقمان الحكيم" عندما سئل عن السبيل الذي يمكنه من بلوغ هذه الدرجة الرفيعة فرد قائلاً: « تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السكوت عما لا يعنيني»³، وفي هذا السياق يقول النبي -الكريم-: « رحم الله عبدا قال خيرا وغنم أو سكت عن سوء فسلم»⁴.

تظهر فوائد الصمت عند ابن العربي من خلال إخضاعه لمبدأ الوسطية المأخوذة من الشرع الكريم، من حيث أنه جعل للكلام حدودا، ومجالات رسمها بإعتماده القرآن والسنة منها قوله - صلى الله عليه وسلم-: «... وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»⁵، وكذا «من صمت نجا»⁶، لذا نجد ابن العربي يدعو إلى تحكيم العقل في التكلم خشية الضياع، لأنه « لا شيء أحق بطول السجن من اللسان وقد خلقه خلف شفتين، وأسنان، ومع هذا يفتح الأبواب، ويكثر الفضول»⁷، ما حاول توضيحه

- 1- ابن العربي، كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال ، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 5
- 2- المصدر نفسه، ص 2
- 3- السيوطي جلال الدين، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، ج 11، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط 1، 2003، ص 630.
- 4- المروزي عبد الله، الزهد والرقائق، مج 1، باب حفظ اللسان، تحقيق أحمد فريد، ط 1، دار المعراج الدولية، 1995، برقم:364، ص 346
- 5- الترمذي محمد، سنن الترمذي، (38) كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،(08) باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم:2616، ص 590
- 6- المرجع نفسه،(35)كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم: 2501، ص 563.
- 7- ابن العربي، الوصية، ص 1

"الماوردي" (364هـ-450هـ) في كتابه "النكت والعيون" عندما أدرج قول لقمان الحكيم « الصمت حكمة وقليل فاعله»¹.

يمنح الصمت الموجه، والمقصود حسب ابن العربي فرصة لصاحبه كي يتأمل في عيوبه، لأن من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره² فيظن خيرا بهم فيدعو للمؤمنين بظاهر الغيب، ساعيا لخدمة الفقراء، والصبر على أذى الناس لسلامة صدره³، وهذا ما حاول "الثعالبي عبد الرحمان" (786-875هـ) إبرازه من خلال عمله "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" إذ قال: « من كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطأه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار»⁴.

2- الجوع والعزلة

أكد ابن العربي على أن الجوع هو أساس متين، من الأساسات الأربعة الهامة الظاهرة في معرفة أهل الله، يظهر في عدم الاكثار من الأكل إذ لا يرغب فيه المرید إلا بما يساعده على تماسك جسده، ليقوى على تأدية عباداته قال فيه "الشيخ الأكبر": «...الجوع هو التقليل من الطعام فلا يتناول منه إلا... ما يقيم صلبه لعبادة ربه»⁵، وهو تعبير واضح على ضرورة الأخذ بمبدأ الاقتصاد في الطعام، والشراب، من غير شح، ولا بخل، إنما يكون وسطا بين ذلك، الاستهلاك فيه مقننا، فالاسراف عادة ذميمة لقول: الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، حسبُ الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن

1- الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 4، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، د ت، ص 437.

2- الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1997، ص 311 .

3- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 10.

4- الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2، ص 311.

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 259

غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس»¹، فمن ضبط أكله ملك جوعه، وضبط دينه، بالحرص على الأخلاق الصالحة فيقول ابن العربي في هذا²:

إذا نهيت النفس عن هواها كانت لها جناته مأواها

يعتبر الشبع سببا واضحا في موت القلب، لأن في كثرتة يكون الفرح، والمرح، والضحك، زيادة على كونه عاملا قويا في أمراض الجسد المختلفة، فكثرة الأكل لا تصيب المعدة فحسب، بل يمتد هذا الفساد ليبلغ النفس عندما تعتاد التعلق بالأكل، والشرب، فيتحول الغذاء من وسيلة إلى غاية، وهدف كبير يسعى صاحبه من ورائه متناسيا القصد الأساسي الذي خلق من أجله، وهو العبادة، لذا من شبع ثقل، ونام، وغفل وخسر كثيرا من طاعة خالقه، فيه قال ابن العربي: « فإن البطن إذا شبع طغت جوارحه وتصرفت في الفضول من الحركة، والنظر، والسماع، والكلام... وكلها قواطع له عن المقصود»³، لذا لا أنفع، ولا أفضل في تحصيل، ولا أقوى من قلة الغذاء لكل من أراد تحصيل مراده من الله - تعالى -⁴، لأن في هذه القلة كسرا للشهوة الداعية للمعاصي، والاستيلاء على النفس الأمانة بالسوء كما أكد على ذلك الغزالي، فعدم الاكثار من الغذاء يُفعل السهر عند الإنسان، كما يبسر المواظبة على العبادة، به يحمي المرء نفسه من أمراض كثيرة منغصة لعيشته، مانعة لطاعته، مشوشة لذهنه⁵، لذا حكم ابن العربي على الشبع صراحة بأنه داع إلى الفضول⁶.

1- القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (29) باب الأطعمة، (50) باب الإقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، برقم:3349، ص 563.

2- محمود الفراب محمود، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، مطبعة نضر، ط 1، 1994، ص 4.

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 259

4- المصدر نفسه، ج 4، ص 259

5- الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، ط 2، بيروت، 1975، ص 81.

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 259

تحوّل كثرة الأكل الإنسان إلى بهيمة، تسيّرُها نزواتها، وشهواتها لقوله- تعالى:-

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾¹، أي في دنياهم

يتمتعون بها، ويأكلون منها كأكل الأنعام وليس لهم همّة إلا في ذلك فكان جزائهم النار²، لذا حرص ابن العربي على هذا الركن بزم الشبع، وعدم الإسراف فيه، إلا بما يوافق حاجة الجسم إليه، موضحاً أن من عوامل فلاح المرء إسقاط الدنيا، والمال، والشبع من قلبه، والعمل على زيادة إحكام توجيه نفسه بمجاهدتها بالجوع، وترك الشهوة، لأن به تصلح الطبيعة الإنسانية.

جعل ابن العربي الجوع واحداً من أمهات الخير الظاهرة عنده، على أساس أنه ممارسة فعلية للأخلاق، فلا يقبل عليه إلا من آمن بأن الاكثار من الأكل يفعل الغرائز، ويلهي الذهن، ويدفع إلى المهالك، كعدم القدرة على معايشة الظروف القاسية، مع التسليم بأن خير طعام ما سدّ الجوع لأن الشبع يورث البطننة³، فعلى قدر ما يكون الخوف⁴ من الله

1- سورة محمد، الآية 12

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 311.

3- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 32، ص 109

4- الخوف: سراج القلب به يبصر الخير، والشر، فهو ورع عن الآثام ظاهراً، وباطناً: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص ص 126-127، لقوله: - تعالى- ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿ /سورة السجدة، الآية 16، وهو على ثلاثة مراتب: الخوف، الخشية، الهيبة، فالخوف من شروط الإيمان، وقضاياه

لقوله:- تعالى- ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾¹⁷⁵ / سورة آل عمران، الآية 175، والخشية من شروط العلم لقوله:

- تعالى- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾²⁸ / سورة فاطر، الآية 28، والهيبة من

شروط المعرفة لقوله:-تعالى- ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ / سورة آل عمران، الآية 30: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 125.

- تعالى - عاملاً مباشراً في تصفية الصدور، فإن الجوع بدوره ينقي الأبدان، حبا في الله - سبحانه-، وابتغاء قُرْبته، فيقول ابن العربي¹:

لما لُزمت قرع باب الله كُنْتُ المُرَاقِبُ لم أكن باللاهي

لذا كان الجوع، والعطش آلية من آليات مجاهدة النفس، بهما تقوى الذات البشرية على تحمّل المشاق، فيجازيها خالقها بما تشتهي جزاء ما صبرت من جوع، ومقاساته، وما عانته من الدنيا بالجنة² لقوله -تعالى-: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، أتخذ الشرع الكريم من الصوم وسيلة للتحكم في الشهوات منها قول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»⁴، فهذا القول فيه دلالة واضحة على أن قلة الأكل تخمد النفس، لانطفاء شهوتها، وضعف هواها، كما أنها توجب رقة القلب، والتحلي بعزة النفس، والقناعة، والاستغناء عن الناس، فيتأهل من يقوى على الجوع في توجيه ذاته نحو سلوكات جديدة لا تزيده إلا فضلاً، وارتقاء عند ربه منها الإيثار، والسماحة، والتصدق على اليتامى، والمساكين⁵، هذا ما جعل قلوب «المغرقين في المعرفة بالحقائق منابر للملائكة، وبطنون للمتذذنين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة»⁶.

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 73

2- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 3، ص 374

3- سورة الزُحُرف، الآية 71.

4- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (16) كتاب النكاح،(01) باب استحباب لمن طاقة نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغل

من عجز عن المؤن والصوم، برقم: (03)(1400)،ص384

5- الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 81.

6- الشهرستاني عبد الكريم، الملل والنحل، ج 2، ص 406.

دعا ابن العربي إلى الأكل المتوازن لأنه أراد بذلك حفظ الجوارح، والقلب من أن تلتف، وترغب في غير الله - تعالى -، لتسليمه بأن لا سعادة إلا في الإيمان¹، فكان الصوم من هذا المنطلق على ثلاثة أصناف: صوم العوام الذي يحصل بإمساك شهوة البطن، والفرج، مع ترك الجوارح دون رقيب فتقع في زلاتٍ معيبة، وتهمل القلب، فيغفل² عن طاعة الله، والاخلاص له، بعدم إتباع شريعته التي جعلها - سبحانه - ميزانا بتمييزه « بين فرائضه، ومندوباته، ومباحه، ومحضوره، ومكروهه، ونص على ذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله³ الكريم - صلى الله عليه وسلم - القائل: « من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»⁴، أما صوم الخواص فيكون بإمساك الجوارح كلها عن الفضول، وعن كل ما يحول عن الوصول، فهذا الصنف من الصوم هو حفاظ للجوارح، وحماية لها من خلال صرفها عن كل ما يشغلها، ولا يغنيها على طاعة الله - سبحانه -⁵، أما صوم خواص الخواص فهو المعبر عن أرقى أنواع الصيام، يكون بحفظ القلب بابتعاده عما يشغله عن طاعة الله - سبحانه -، ويحدث بصحة الصيام، ودوام القيام الحاصل بالسهرة، الذي يولده الجوع لقلّة الرطوبة، والأبخرة الجالبة للنوم كما قال الشيخ الأكبر⁶، لذا كان النوم عنده شهوة كاذبة⁷.

- 1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 286
- 2- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 213
- 3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 290
- 4- البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، ج 2، (30) كتاب الصوم، (08) باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، برقم: 1903، ص 08.
- 5- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 213
- 6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 259
- 7- المصدر نفسه، ج 4، ص 259

جعل ابن العربي من الجوع معبرا يقصده المرید لنصرة ذاته وحماية نفسه من كيد الشيطان، ومرضه¹، لأن الله - سبحانه - ينصر أوليائه، وعباده الصالحين، كل حسب إجهاده في قبول طاعة الله والإمتثال لأوامره ونواهيه، أي أن هذا العون يكون وفق علاقة متتالية يتوافق فيها حسن الجزاء من حسن العمل، فتزكية النفس، وتنقية القلوب عن شواغل الدنيا التي هي رأس كل خطيئة²، وملؤه بنور التوحيد، ولما كان الشيطان ظلمانيا يهاب هذا النور دون شك، ويضعف كيده مع هكذا نفوس³.

يجد ابن العربي العزلة عنصرا مهما، وفعالا في توجيه خلق المرید من خلال توضيحه لها قائلا: «هي أن يعتزل⁴ المرید كل صفة مذمومة وكل خلق دنيء»⁵، بتوفير الخلوة وأصلها عنده مجاهدة الشهوات، وتكبد المشاق، والمتاعب⁶، والمداومة على الذكر، والمواظبة على الطهارة، والعبادة، ومراقبة الأفعال بمحاسبة الجوارح بالاعراض عن الملاذ الحسية، وتفريغ القلب منها، وإبعاده عن محبتها⁷، فعلى كل عاقل أن يخلي قلبه عن الفكر

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 291

2- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 249

3- الخلواتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 2، ص 238

4- بنى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - منزله بالعتيق، وهو واد بالقرب من المدينة كان متنزها في الشتاء، والربيع، لما فيه من ماء، ونبات، فقيل له ترك منازل إخوانك، وأسواق الناس، ونزلت بالعتيق، فرد قائلا رأيت أسواقهم لاغية، ومجالسهم لاهية، فوجدت الإعتزال فيها هناك عافية: / الإبشيهي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 1، ص 112

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 257.

6- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 25

7- محمود الألوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 15، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، د ت، ص 158.

إذا أراد معرفة الله¹، فالعزلة مع الرياضة، والمجاهدة تمكن من الاشتغال على تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب بذكره - سبحانه وتعالى -²، لذا وصفها صاحب قوت القلوب بأنها عافية³، وراحة من خليط السوء توفر العرض، وتستتر الفاقة⁴.

قسم ابن العربي عزلة المرء إلى قسمين حسية، ومعنوية، فالأولى هي عزلته في حسه بالانقطاع عن الناس، والمألوف إما في بيته، وإما بالسياحة في أرض الله⁵ لقوله - صلى الله عليه وسلم -⁶: « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»⁷، وأما عزلته في قلبه فتكون بالانقطاع عن ما يشغله عن خالقه من أهل، ومال، وولد، وصاحب « وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه ولا يكون له إلا هم واحد وهو تعلقه بالله»⁸، فالعزلة تكون بقطع الأوصال مع السوء وأهله بالقول، والعمل، على أساس أن اجتناب الناس يحمي من الانشغال عن العبادة، لذا كانت العزلة سنة الأنبياء

1- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 2

2- الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتقديم محمود بيجو، مراجعة محمد سعيد رمضان البوطي و عبد القادر الأرناؤوط، المكتبة التوفيقية، ط 2، د ت، ص 68.

3- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 270

4- الآبي أبو سعد، نثر الدر في المحاضرات، مج 3، ج 4، تحقيق خالد عبد الغاني محفوظ، دار الكتب العلمية، ط 1، 2004، ص 114

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 257

6- اعتمد بدوره ابن العربي الفقيه (468هـ-543هـ) على هذا الحديث كي يبرز المعنى الحقيقي للعزلة، مؤكدا على أن التبتل بمعنى الاقطاع المقصود شرعا، والمأمور به هو الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ / سورة البيئة، الآية 5، وليس المقصود منه مسلك النصارى في ترك النكاح، والترهب في الصوامع: / بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربي الفقيه)، أحكام القرآن، ج 4، مراجعة محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، د ت، ص 332، وهذا ما نادى به ابن العربي الصوفي عندما أكد على أن العزلة لا تعني الهروب من الخلق، إنما تكون بقطع الروابط مع أهل الفتن، والضلال، كما سبق وأن أشير إليه.

7- البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، ج 4، (92) كتاب الفتن، (14) باب التَّعَرُّبِ فِي الْفِتْنَةِ، برقم: 7088، ص 451

8- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 257

- صلوات الله عليهم-، والأولياء، وكذا كثيرا من العلماء، خاصة عند ظهور الفتن، والفساد بين الناس¹، فقال عنها - صلى الله عليه وسلم-: « الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في العزلة، وواحد في الصمت»².

تظهر شرعية العزلة عند ابن العربي من خلال مبدأ الوسطية الذي أقامها عليه، لأن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، دون المبالغة فيها لأنها لا تعبر دائما عن صرامة السلوك³، ومن خرج عن ذلك فقد خرج عن الشارع، لذا من ابتعد عن مذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين⁴، فالعزلة عند "الشيخ الأكبر" لا تعني الهجر السلبي، إذ قال: « وليس المراد من ترك الناس صورهم، إنما المراد أن لا يكون قلبك، ولا أذنك معهم وعاء لما يأتون به من فضول الكلام، فلا يصفو القلب من هذيان العالم»⁵، لذا نستطيع القول بأن العزلة عند ابن العربي تكون بالبعد عن الشر وأهله، واللاهين لما في ذلك من انعكاس إيجابي على صاحبها بجمع شمله، وهدوء باله، وراحته، وصفاء ذهنه، لأن الابتعاد عن كل ما يعيق عن الخير، والطاعة دواء، فيقول ابن العربي: « فلا بد لك من العزلة عن الناس، وإيثار الخلوة عن الملاء، فإنه على قدر البعد من الخلق يكون قربك من الحق ظاهرا، وباطنا»⁶.

1- القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، د ط، الرياض، 2003، ص 360

2- البيهقي أبو بكر، كتاب الزهد الكبير، برقم: 127، ص 95.

3 - Michel chodlkiewicz, les quatres morts du soufi, Revue de l'histoire des religions, N° 215-1, 1998, P 42.

4- الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات، مج 5، تحقيق أبو عبيدة، دار ابن عفان، ط 1، 1997، ص 276

5- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 6

6- المصدر نفسه، ص 5

يرزق الله عباده حسب مراتب أهل الزهد، وأهل العشق، والتقوى، فكان القلب كالروضة ينشأ منه ما هو مستعد له، فكل نبت يترجم ترابه¹، لذا دعا ابن العربي إلى ممارسة العزلة بتفريغ القلب من الخلق فتتجمع الهمم، وتقوى العزائم على الثبات، لبلوغ رضوان الخالق - سبحانه وتعالى-، لأن العزيمة، والهمة العالية، والاعتزاز بالانتماء لهذا الدين يمكن من التحرر من عقبات كثيرة، وعوائق عدة قاطعة بين العبد وربّه، فمن «احتفى بحمى الشريعة سلم، ومن استمسك بحبل ملته عصم»²، فيقول ابن العربي: « تحفظ أيها السالك من حجاب البشرية ما استطعت»³، لأن مخالطة الناس، ورؤية الملاذ، والتعرض لها يقوي حوادث الحس، في حين أن العزلة، والنظر في العلم يقويان حوادث الآخرة⁴.

أكد ابن العربي على أن العزلة عن الخلق، والانفراد مع الخالق -سبحانه- تفيض على صاحبها بالموهب، والعلوم اللدنية⁵ كنتيجة لصفاء القلوب فيقول: « إن سعيت في تخليص ذاتك...وتحريرها عن رق الكون اطلعت على الحكمة الإلهية»⁶، فغاية العزلة هو الظفر بالموهب، والمنة، لذا كانت أشرف المجالس، وأعلاها عند "الجنيّد" هو الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد⁷، وهذا ما أشار إليه ابن "القيم الجوزية" في بدائع الفوائد حين قال:

1- الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 3، ص 75

2- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 21.

3- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 32

4- أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992، ص 39.

5- العلوم اللدنية: هي العلوم الواردة على العارفين من قبل الحق بلا واسطة لأنها من لده -تعالى-: / الجيلي عبد الكريم، شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن العربي، تحقيق يوسف زيدان، دار سعاد الصباح، ط 1، الكويت، 1992، ص 72.

6- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 8

7- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 3، ص 340

« المحب يهرب إلى العزلة، والخلوة بمحبوبه، والتعلق بذكره»¹، لأن للحق الذكر، والدعاء، ومن ذكر ربه ذكره²، فقال ابن العربي: « أذكر الله قبل أن تذكر نفسك إيثاراً، فمن أثر الحق على نفسه أثره الحق»³، ففي الهدوء، والوحدة تأنس القلوب بالله، فتتجذب إلى الحضرة القدسية، وتفر بذلك عن غيره من بني البشر من الأقارب، والأجانب أنسا بالله، وانشغالا بذكره، لذا يخالط أهل العزلة الناس بأجسامهم، ويفارقوهم بقلوبهم، فالواحد من العامة مهتم، ومشغول بدنياه، والعارف بالله مهتم بخالقه - سبحانه - دون سواه، لذا ينصح بالتسلح بالصبر على ما توجبه العزلة، لأنها إذا تحققت انفرد المرید بمولاه، فتفتح له باب معرفته فيهان عليه كل صعب، ويطاب له كل مر، ويتيسر له كل عسر⁴.

اعتمد ابن العربي على السند الشرعي في تبرير موقفه من فضل العزلة في الممارسة الأخلاقية، خشية ضياع الوقت فيما ليس فيه فائدة، بها يأمن المرء على نفسه، من شرور المجتمع، وقد تكون علاجاً من أذية الناس، وامتناعاً عن سفاهة بعضهم، منها دعوة الخالق - سبحانه وتعالى - إلى الاقتداء بأهل الكهف في اعتزالهم حين اضطهدوا في دينهم، وأرغموا على الشرك فقال - تعالى -: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۝١٦ ﴾⁵، أي إذا فارقتموهم، وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، فارقوهم أيضاً بأبدانكم، يبسط عليكم الله رحمته، ويستركم بها⁶، وكذا قول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -: « إن الله يحب العبد التقي، الغني،

1- ابن القيم الجوزية شمس الدين، بدائع الفوائد، مج 3، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، د ط، د ت، ص 1186.

2- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 13

3- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 15

4- أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 80

5- سورة الكهف، الآية 16

6- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 142

الخفي»¹، وكذا « طوبى لمن ملك لسانه، ووسع به بيته، وبكى على خطيئته»²، لذا رغب ابن العربي في العزلة لمن لم يأمن على نفسه الاختلاط بأهل السوء على وجه الخصوص، ما دام المراد منها حفظ النفس التي شبهها "الشيخ الأكبر" بالفرس الجموح المحتاجة هي في كل وقت إلى رياضة، وتدريب، حتى تعتاد مثل هذه الأعمال³.

إن موقف ابن العربي من العزلة لا يجد الدعم في القرآن، والسنة فحسب، بل هو كذلك لدى العديد من أعلام الفكر الإسلامي مثل "القرطبي" (ت 671 هـ) في كتابه الجامع لأحكام القرآن أين أكد على أن العزلة تمارس عندما يكون المرء مع أهل الشر، والفساد، فنصح قائلاً: « فالعزلة أن تكون مع القوم إذا خاضوا في ذكر الله فحضر معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فأسكت»⁴، كما أثبت "ابن كثير" شرعية العزلة عندما تكثر الفتن، ولا تشرع في ما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات، والجمع⁵، وهذا ما أكد عليه "الغزالي" في إحيائه حينما بين أن أهل الكهف لم يعتزلوا بعضهم بعضاً وهم مؤمنون، إنما اعتزلوا الكفار، فاعتزلهم مشروع لهروبهم من الفتن⁶، وكذا ما أشار إليه "السيوطي" في الإكليل عندما بين أن مشروعية العزلة تتوازى مع الفرار من الظلمة، والفساد⁷.

إن المتطلع على موقف ابن العربي من العزلة يجد أن الغرض منها ليس الاختباء، والانطواء ميزة الضعفاء، والفاشلين، إنما المقصود منها هو تدريب النفس، وتهذيبها،

1- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (53) كتاب الزهد والرقائق، برقم: (11)(2965)، ص 842

2- الطبراني أبو القاسم، المعجم الأوسط، ج 3، برقم: 2340، ص 21.

3- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 14

4- القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 361

5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 142.

6- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2، ص 225

7- السيوطي جلال الدين، الأكليل في إستنباط التنزيل، مراجعة أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغامري الحسيني،

وترويضها على فعل الخير حتى تعتاده، لأن الخير عند "الشيخ الأكبر" ما هو إلا عادة¹، فما نادى به هو عزلة الأقوياء يعيش صاحبها مع جميع أصناف الناس، لكن عندما يكون مع سفهائهم يعرض عن ما يفعلون، طمعا في رضى خالقه -تعالى-، حيث يقول ابن العربي: « تورّع في كسبك، ونطقك، ونظرك، وسمعك، وفي جميع حركاتك²، حتى يضمن طهارة الظاهر، والباطن من كل مذموم شرعا، وغرضا، وطبعاً³، فعلى المرید المشي بين الناس في ممشاهم، ويأكل من مأكلم، لكن مع وجوب الحذر، والمراقبة للنفس حتى لا تغويها نزوات الفاسدين، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم⁴، بهذا نجد أن عزلة ابن العربي لا تُعلم الجبن، والتراجع، إنما هي مبنية على المجاهدة، والرياضة الهادفة إلى ترويض النفس، وجوارحها، لهذا دعا كل عاقل لهذا ممارسات، لتتال الرضى، والعرفان.

يعرف الإنسان باجتماعيته التي تمنعه من الاستغناء عن أبناء جنسه، وأهل زمانه، لذا وجب عليه توظيف الاعتزال كحماية عن التخليط، واصطحاب اليقظة للتححرر من التقريط⁵، لذا كان اعتزال المرء الصوامع، والبيوت عملا مندوبا إليه لقوله -صلى الله عليه

1- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 11

2- ابن العربي، رسالة كنه ما لا يد للمريد منه، ص 12

3- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 15

4- القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (36) كتاب الفتن، (23) باب الصبر على الأذى، برقم: 4032، ص 666

5- الحمبلي محمد، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ج 2، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1996، ص 370، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السافريني النابلسي الحمبلي، ولد في قرية سفارين من قرى نابلس وتوفي فيها سنة 1188 هـ، من أشهر مؤلفاته رسالة في ذم الوسواس، رسالة فضل الفقيه الصابر، غرر الذخائر لشرح منظومة الكبائر.../الحمبلي محمد، البحور الزاخرة في علوم الآخرة، ج 1، تحقيق محمد إبراهيم شلبي شومان، شركة غراس للنشر والتوزيع، ط 1، 2007، ص 14، 8.

وسلم-: « صوامع المؤمنين ببيوتهم»¹، فهي حل وظيفي خصوصا في الوقت الراهن أين شحّ المعروف، وتفشى المنكر، فلما سئل الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- عن خير الناس قال: « رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب، يعبد ربه، ويدع الناس من شره»²، غير أن الاعتزال دون فائدة غير مرغوب شرعا، وقد حرم عند فوات الواجب، لذا فهو موجه للشر لا للخير، لكن إذا خيّر المسلم بين المجالس وجب أن يختار مجلس الخاصة، لأن هذا أفضل من العزلة له خصوصا لمن لم يتحقق كماله، فمن الضروري معايشة أهل الوعظ، والتأديب، مع تعويد النفس على رؤية الزاهدين الضامنة للانقطاع عن الخلق، للتأمل في الذات، والتفكير في الآخرة، فالعزلة القاطعة عن العلم، والجماعات، ومجالس الذكر، والالتفاف بالعائلات باطلة.

إن أفضل اعتزال ما كان مصحوب بالاشتغال بالعلوم النافعة المقيدة للظاهر عن ما لا تصلح مخالطته، ومن لا يأمل دخول الآفات عليه بصحبته مثل الغيبة، والتملق، والرياء، والتصنع، ومختلف أنواع الخصومات، فالعزلة عن أهل الجهل، والسفه تحمي من الخوض مع الناس فيما لا يعنيه، فيُنور قلب المؤمن، وتزكى جوارحه، لأن من أعز نفسه أعز دينه، فكانت من علامات صدق المرید في ايرادته فراره عن الخلق، ومن علامات صدق فراره عن الخلق، ووجوده للحق³، فانفراد المرید عن الناس، وأحوالهم وجب أن يُعوض بطلب العلم، والتفقه، والتأدب بأخلاق الإسلام، ومطالعة كتب الفقه، والوعظ، وذم الدنيا، لأن خلوة الإنسان بالعلم أنسه⁴، فمن آداب العزلة أن يتحصن المرید بالعلوم التي من شأنها أن تصحح عقد

1- ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، مج 2، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع،

ط 1، 2000، برقم: 1007، ص 323

2- البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، ج 04، (81) كتاب الرقاق، (34) باب العزلة راحة من خلّاط السوء، برقم:

6494، ص 286

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 105

4- الحميلي محمد، غذاء الألباب شرح منظومة الأديب، ج 2، ص 361.

توحيده كي لا يستهويه الشيطان بوسواسه، لتكون حقيقة العزلة هي هجر الخصال الذميمة، فالتأثير لتبديل صفات لا للتأني عن الأوطان¹، بهذا تكون الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من علامات الوصلة، وما يجب للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحقيقه بأنسه².

ثانياً: أسس أعمال الباطن

حصرها ابن العربي في خمسة باطنة وهي التوكل، اليقين، الصبر، العزيمة، والصدق³.

1- التوكل واليقين

يستند ابن العربي في جعل التوكل واحداً من الخمسة الباطنة، الجالبة للخير، الجامعة للأخلاق إلى القرآن الكريم، منها قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁴، لأن من يتقي في أموره، ويفوضها إليه فهو كافيه⁵، لذا كان التوكل نفيًا للشكوك، مع التفويض إلى ملك الملوك⁶، بإظهار العجز بالاعتماد على الآخر، وتفويض الأمر إلى الغير ثقة بحسن تدبيره⁷، لقوله - تعالى -: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁸، ولا يحصل في القلوب نور التوكل على الله، إلا إذا توفر في المرء شرط الإسلام، والإيمان، فبالأول يكون الاستسلام، والانقياد لتكاليف الله، وترك التمرد، وبالتالي تكون حركة القلب المسلمة بأن الله

1- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 102

2- المرجع نفسه، ص 101

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 261

4- سورة الطلاق، الآية 3

5- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 316.

6- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 168

7- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 47.

8- سورة آل عمران، الآية 122.

واحد، وأن ما سواه من الخلق تحت تدبيره، وقهره¹، لذا جعل ابن العربي الصدق قاعدة كل هذه الأعمال، لإيمانه بأنه تربية قوامها الرضا، والتسليم بما كتبه الله لعباده خيراً، أو شراً، فالتوكل من علامات صدق إيمان المرء لأن فيه تعظيماً لله - تعالى -، ولقدرته، لأنه دائم الحاجة إليه، وهذا الأدب مع الخالق دلالة على محبة العبد لربه، فيقابله الله بحبه كذلك، لذا لما سئل "الجنيد" عن التوكل قال: «أن تقبل بالكلية على ربك، وتعرض عن بدونه»²، فهو اكتفاء العبد الذليل بالرب الجليل.

يتوقف التوكل على الإيمان الصادق، المسلم بالله - تعالى -، والمخلص له، بعيداً عن كل تردد تولده الخواطر³ الفاسدة المشككة في قدرة الله ووعده الحق لقوله - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾⁴، وحسب ابن كثير فهذه الآية تحمل الأمر بربط الإخلاص بالتوكل، كما اقترن بعبادته⁵ - سبحانه وتعالى -، لقوله: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَيْغِي رَبًّا﴾⁶، أي أعير الله أطلب سيدي يسودني⁷، لذا نهى الزمخشري⁸ (467هـ-538هـ) في كشافه على أن يجمع التوكل بالتخليط إنما لزم أن يسلم المرء نفسه لله، ويجعلها نقية خالصة لا حظ

- 1- أبو حفص الدمشقي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، ج 10، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1998، ص 393.
- 2- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 1، ص 427.
- 3- الخواطر: خطاب يرد على الظمائر، فإذا كان من ملك فهو إلهام، وإن كان من قبل النفس قيل له هاجس، وأكثره يدعو إلى الشهوة، وإن كان من طرف الشيطان قيل له وسواس، وأكثرهم يدعو إلى المعاصي، وإن كان من قبل الله - سبحانه - وألقاه في القلب فهو خاطر حق:/ القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 1، ص 198.
- 4- سورة الملك، الآية 29.
- 5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 383.
- 6- سورة الأنعام، الآية 164.
- 7- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 3، ص 93.
- 8- الزمخشري أبو القاسم معتزل الاعتقاد، متظاهر به، ولد يوم الإربعاء 17 رجب 467هـ وتوفي ليلة عرفة عام 538 هـ من أهم مؤلفاته ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، ضالة الناشد والرائض...:/ ابن خلكان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج 5، ص 173.

للشيطان فيها¹، فأساس الالتجاء هو طاعته - سبحانه-، وعبادته، وتزويجه لقلبه -تعالى-:
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾²، لأن كل من يئس من الحق، وشك فيما وعد، وأساء
الظن به -سبحانه-، وترك التوكل عليه، وكذب قوله، ونسي فضله - تعالى- فقد مارس
الفحشاء الجامعة لكل سوء³.

يرتبط التوكل بالطاعة، ويبرز ذلك في قول البغوي (ت 516هـ)، عندما قال:
« التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك...وأن لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله، ولا لرزقك
خازنا غيره، ولا لعلمك شاهدا غيره»⁴، لقوله - صلى الله عليه وسلم-: « لو أنكم كنتم توكلون
على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً»⁵، لذا كان التوكل
من فروض الإيمان لقوله - تعالى-: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾⁶، وحسب "تفسير البحر
المحيط" تدل على أن للتوكل مراتب، ومقامات، الأولى هي مقام الخوف إما إجلالاً، وهيبة،
أو خوفاً من العقاب، والثانية هي مقام الإيمان بالتكاليف الواردة، والثالثة هي مقام التوكل

1- الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 772.

2- سورة الفرقان، الآية 58

3- الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 1، ص 431.

4- البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، مج 2، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش،
دار طيبة، ط 1، الرياض، 1989، ص 125

5- الترمذي محمد، سنن الترمذي، (34) كتاب الزهد عن رسول الله، (33) باب في التوكل على الله، برقم: 2344، ص
529

6- سورة الأنفال، الآية 2

بالتفويض إلى الله، والانقطاع إليه¹، لأن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله، وجَلَّ قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفاً من عقابه لأنهم يُقِنون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه².

تبرز ثمرة التوكل، والثقة بالله في نصرة الرب لعبده لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾³، لأن من علامات النجاح في النهاية الرجوع إلى الله في البدايات، فهو سبب في الحماية من المضرات، والوقاية من السوء⁴، كما أنه عامل مباشر، وقوي يذهب الخوف للإيمان بعظمة الله - سبحانه -⁵، وهذا ما يجسده دعاء ابن العربي التالي « اللهم خالق المخلوقات... أسألك باسمك الذي خلقت به كل شيء فقدرته تقديراً أن تذهب حرصي، وتكمل نقصي⁶»، وزيادة على أنه مجلبة للنصرة لأن التوكل، والاستعانة بالخالق - تعالى - تحصل بالعبادات، والطاعات الباطنة، والظاهرة وصدقه يوفر الجهد العقلي، والبدني، ويحمي الإنسان من الانفعالات المبذولة في اهتمامات متفرقة، تضعف قواه، وتبديد مساعيه، فالتوكل النابع من القلب مدفوعاً بالثقة التامة بالله - تعالى - في حصول المنافع، ودفع المضار، يقوي الحماسة لدى الفرد، ويهيئه للإقبال على الحياة، لذا وصف بأنه ريح تُلَقَّح في النفوس الثقة بخالقها، والاعتماد عليها⁷، فيقول ابن العربي تجسيدا لما سبق ذكره دعاءه التالي: « اللهم خالق المخلوقات... املأ باطني خشية، ورحمة، وظاهري عظمة، وهيبة⁸».

1 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 455.

2 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص ص 9-10

3 - سورة آل عمران، الآية 126

4 - الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج 7، ص 96.

5 - البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج 9، ص 163

6 - ابن العربي، توجهات الحروف، ص 4

7 - محمود الألوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 14، ص 55

8 - ابن العربي، توجهات الحروف، ص 4.

يُمكن التوكل صاحبه من بلوغ المراتب العالية، به ينال محبة خالقه، لأنه يوجب ترك الاهتمام بغير الله ما دام أنه المتفرد بالقدرة على النفع، والضرر، والخير، والشر¹ لقوله - تعالى:- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾²، باعتداده يضمن الإنسان سداد أفعاله، بممارسته يكون المرء المؤمن قد وفى واجبه، وطاع أوامر خالقه لأنه ما خلق إلا لغاية العبادة بروحه، وجوارحه حيث يقول ابن العربي: « أعط جسدك حقه من العبادة، كما أعطيت قلبك حظه من معرفته»³، فكان التوكل صفة المؤمنين⁴، علما أن أعلى هذه المراتب ما كان فيها التوكل مبنيا على التوحيد الخالص، لأنه كما قال ابن العربي: « لا يصح الهو لأحد إلا للذات المطلقة الموصوفة بالأحدية»⁵، فالعبد إذا ما تحقق بأن الأمور كلها بيده - سبحانه- توكل عليه وحده ولم يعول على سواه لقوله-تعالى-، دلالة على عظمته، وتأكيده على التوكل⁷، الذي لا ينبع إلا من قلب متقي، متيقن من وعد ربه، وهذا ما يوجزه قول ابن العربي: «...ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها»⁸، لذا أعتبر التوكل من أشرف الأحوال الباطنة، ويمثل برجاً من بروج الأثني عشر، إضافة إلى الإيمان، والمعرفة، والعقل، واليقين، والإسلام، والإحسان، والخوف، والرجاء، والمحبة، والشوق، والوله⁹.

1 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، ص 597.

2- سورة آل عمران، الآية 159

3- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 4

4- بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1995، ص 167.

5- الأحدية هي مرتبة ظهور الحق بمرتبة تفرده في الوجود، حيث لا وجود لشيء معه - سبحانه-، والأحدية هي تجليه بذاته لذاته عن ذاته مع محو جميع النسب من الأسماء، والصفات الكثيرة، والغيرية:/ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفا عن كلام خاتم الأولياء، ص 45

6- ابن العربي، كتاب الباء، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 3.

7- بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 2، ص 457

8- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 52

9- الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 6، ص 237.

يسعى الإنسان الراشد جاهداً لتقوى الله، والتي تحدث عندما يزين المرء سره للحق كما يزين علانيته للخلق¹، وهذا لا يكون حسب ابن العربي إلا بالالتفاف بالشرعية الإسلامية، لأن بها يعرف الخير، والشر، وإدراك كيفية إقامة حدود الله²، ما جعل الحياة عند ابن العربي محل تكليف، وعمل مبني على مشقة العيش³، والجد في السير على خطى دين الحق، لهذا فموقف ابن العربي من التوكل حتما لا يعني أن يهمل الإنسان نفسه كما يعتقد بعض الجهال، لتسليم "الشيخ الأكبر" بأن الإيمان المؤيد بالأعمال الصالحة يفجر أنهار العلوم، والمعارف⁴، فالتوكل هو عمل على توفير الأسباب الظاهرة أولاً، ثم طلب العون من الله بالتوكل عليه⁵، لقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁶، وهي دلالة واضحة على أن التوكل يكون بعد العزم، وليس مرادفاً للخمول، والتراجع، إنما يقوم على تحريك الدوافع، وتوظيفها لكونها عاملاً مباشراً في حدوث الفعل، لكن بمشيئة الله، وحكمته، وهو ما يتنافى مع كل فكر يدعو إلى القعود، وترك العمل المولد للانحطاط، والجهل، والتخاذل.

إن المتصفح لمؤلفات ابن العربي يجد أعماله متعلقة بشكل واضح بالقرآن الكريم لما ورد فيه من أحكام إلهية، المطمئنة للنفوس، منورة للقلوب، ضابطة للجوارح، حيث قال "الشيخ الأكبر": « أعلم أن الأعضاء المكلفة ثمانية، وهي العين، الأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب، فعلى كل واحدة من هذه الأعضاء تكليف يخصه من أنواع

1- الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، ج 1، تحقيق محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 2002، ص 144.

2- ابن العربي، الوصية، ص 4.

3- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 3

4- ابن العربي، كتاب الفناء في المشاهدة، ص 8

5- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 9، ص 70

6- سورة آل عمران، الآية 159

الأحكام الشرعية»¹، فأيمان ابن العربي بحقيقة أن العبد خلق للعبادة، والطاعة، والعمل المتواصل، مع شرط الإتيان تجعل من معنى التوكل عنده ليس إلا سعيًا حثيثًا، وعزما متورعا، في اختيار مسالكه، حذرا في قبول ما تقدمه الدنيا لأن حسب "الشيخ الأكبر" من التفت لها التفاتة عاشق، ثم أخذت من دينه شيئا حجه فعله عن الجنة، وبوأه في النار²، فيتوافق في هذا مع "القشيري" في كون التوكل سكون السر عند حلول الأمر، ونهاية التفويض، أين يتساوى الحلو والمر، والنعمة والمعاناة³، لأن من كان عمله من ثمار طيب فهو في خزنة الجنة⁴، كما عبر ابن العربي بقوله - تعالى - ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾﴾⁵، ومن كان عمله من ثمار خبيث، فهو في خزنة النار⁶ لقوله - تعالى - ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَفْجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴿٧﴾﴾⁷، وهو الضيق⁸، ليخلص إلى أن التوكل وجب أن يربط بالورع، والزهد حتى يستقيم، ويصدق، ويكون سببا في الفتح⁹.

ينظر ابن العربي إلى اليقين كركن هام من أعمال الباطن¹⁰، كونه قاعدة كل العبادات، وميزان دقيق تقاس به صحتها، علما أن الرؤية الأكبرية يدعمها الشرع الكريم منها قوله - تعالى - ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾¹¹، وحسب تفسير الرازي تدل هذه

1- ابن عربي، رسائل ابن عربي، تحقيق سعيد عبد الفتاح، د ط، د ت، ص 266.

2- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 4

3- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 34.

4- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 13.

5- سورة المطففين، الآية 18

6- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 13.

7- سورة المطففين، الآية 7

8- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 349.

9- ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 5

10- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 261

11- سورة الحجر، الآية 99

الآية على أن العبادة تزيل ضعف القلب، وتقيد انشراح الصدر، والصادق منها توحى على رجوع الخلق إلى الحق - تعالى - المساعد على زوال ضيق القلب¹، وكذا قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم: « ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين»²، وهذا ما يفسر حرص ابن العربي على قمع الشهوات، والملاذ، ومعاشرة أهل الغفلة، والسوء، فكانت العزلة عنده رأس الأربعة المعتبرة في أعمال الخير الظاهرة³، لأن كثرة المغريات، والآثام تضعف الدين، واليقين، فحب الدنيا لا يتفرع عنه إلا الشر، ولا ينتشعب منه إلا كل قبيح، وكلما تمكن الإنسان من مواجهة نفسه، وقمعها، ظهر الصدق، والإخلاص، والتواضع، والتوكل، والصبر، والزهد، والقناعة⁴.

حدّد ابن العربي دلائل كثيرة واضحة تتّرجم صدق اليقين، أولها أن يكون المرء مخلص في توحيد الله لقوله - صلى الله عليه وسلم-: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁵، فاليقين مع نقاوة التوحيد المبني على الإيمان يجعل من الإنسان يحرص على إتقان عبادته وكأنه يرى الله، علما أن هذه الرؤية هي رؤية بنور القلب لا العين، تحدث باستقرار التوحيد في القلب من غير تغيير ولا اهتزاز، فيرجع العبد إلى ربه، راضيا بقضائه، هنيء الفؤاد، لذا نجد أن علاقة اليقين بالإيمان كعلاقة النور بالبصر، فإن قل امتنعت العين عن الرؤية، وكذا اليقين كلما نقص التوحيد، والإيمان الخالص لله - تعالى - حرم من الاطلاع على خصوصية أوامر الله، ونواهيه، وعقابه، وثوابه، ولم يفهم مسالك الطاعة،

1- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 1، ص 254.

2- أبو بكر عبد الله (المعروف بابن أبي الدنيا)، موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، مج 1، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1993، برقم:09، ص 22 .

3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 253

4- الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 3، ص 342.

5- مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (01) كتاب الإيمان، (01) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبني ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ، برقم:09، ص

والعصيان، لأنه لم يبصر ذلك بقلبه حتى تترسخ في نفسه، ويتيقن منها، لأن «ما أرخته إرادة القلب إلى الصدر يعبر عنه اللسان كالترجمان»¹، ما يفسر أن حقيقة غياب اليقين من غياب التوحيد، والإيمان، فحضورهما متلازمان لقوله- صلى الله عليه وسلم-: « ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما قرّ في القلب وصدقه العمل»²، لذا يصطوح بالأعمى على من يعمى قلبه، لا بصره، فكان اليقين نور يقذفه الخالق في قلب المؤمن النقي، النقي، الصادق صدق مجاهدته، ورياضته، في التغلب على شهواته، فعلى قدر إزالة المرء لظلمة المادة طاعة في الله، رزقه الخالق بنور اليقين، وهذا ما يؤكد ابن العربي بقوله: « فالقلوب إذا قامت بها الهمم صفت، ونطقت... فأدركت فملكتم»³.

يحدث اليقين في قلب العبد المؤمن طمأنينة، يسببها رفعه للشك، والقضاء على هشاشة الإيمان، لقوله - تعالى-: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾⁴، فتنبت الأقدام، وترتاح القلوب، ما يجعل الإنسان المتيقن بالله - تعالى- يسير في تعاملاته مع هذا الكون، وما فيه في راحة كبيرة من القلق، والحيرة التي يولدها الجهل بالله، وضعف الإيمان، والعمل بالدين، فتننتشر الشرور، والأباطيل، وتنزل المصائب، وتتوالى الكوارث، ما جعل ابن العربي يفاضل بين النفوس لكونها غير متساوية في أصل تكوينها فيقول: « فإنها بحسب تركيب البدن، وقبوله للنفخ الإلهي...فقد تنقص نفس عن نفس، وقد تزيد»⁵.

1- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 21.

2- أبو نعيم أحمد، كتاب الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية، (39) ومنها التحقق بالإيمان الجامع والتمكن من العلم النافع، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن حزم، ط 1، 1993، برقم: 43، ص85

3- ابن العربي، رسالة الإنتصار، ص 3

4- سورة الحجرات، الآية 15

5- ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 8

يهون الإيمان على صاحبه مصائب الدنيا، التي يستقبلها بثبات، يهيئه القلب القوي، واليقين الشديد¹، يظهر في صدق صبر الإنسان على مصيبتته، في أن يحبس نفسه عن الجزع²، فيحسن العبد الظن بربه بأنه رافع للبلوى، فيجتهد في تحمل المشاق ليكون وارثا لا ناقص الهمة كما قال "الشيخ الأكبر"³، متورعا في أفعاله المأمور بها، تاركا المحذور منها، صابرا على ما قدره له خالقه - تعالى-، لأن رشد عقله، وحلمه مكنه من رفض الدنيا، والصبر على الفجائع، مؤمنا بأن لها انقطاعا لا محالة، فصحة اليقين دافع قوي للاستخفاف بالمكانه، واستحقار المصائب، معرفة منه بأن «المجاهدة هي الصبر على الطاعات»⁴، فعلى المرء إذا ما ابتلى صبر، وإن رزق شكر، وإن دعت نفسه لمعصية تفتن، ورد ما بقي من العمر أقل من ما مضى⁵.

يظهر نفع اليقين في تعظيم الحق في عين صاحبه، وصغر ما دونه عنده، وثبوت الرجاء، والخوف في قلبه⁶، ما جعل ابن العربي يربط استعمال الرياضات، والخلوات، والمجاهدات، وقطع العلائق، والإنفراد لغاية عظمى هي الجلوس مع الله بتفريغ المحل، وتقديس القلب عن شوائب الأفكار⁷، فكان اليقين «هو استقرار العلم الذي لا يتقلب...ولا يتغير في القلب»⁸، الذي لا تتم معرفة الحق إلا به، لا بواسطة العقل، ثم يقبلها هذا الأخير

1- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، 628

2- الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 1، ص 115.

3- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 2

4- البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، مج 6، ص 256

5- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 1، ص 260

6- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج 14، تحقيق اكرم اليوشي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1983، ص

115

7- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 321

8- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 264.

من القلب كما يقبلها من الفكر¹، فيتوكل المتيقن على الخالق - تعالى - لتسليمه بأن النصر من عنده، دون سواه، لثبات عقيدته، وإخلاصه لمولاه، فكان الصدق شعار كل مرید كما أكد ابن العربي²، فلا يتفاعل مع هذا الوجود إلا بأدب، وحياء، يكون حسب "الشيخ الأكبر" بترك كل ما لا يرضى الله به³، لذا نجد أن أهل اليقين يبصرون بقلوبهم أن الله يراهم، فتصبح جميع ردود أفعالهم، وعباداتهم موجهة على أساس أنهم يرون الله، لأن مدار يقينهم هو الإيمان بالله، وبقضائه، وقدره، وما جاء به رسله⁴، مع الثقة بوعده، ووعيده، لذا « لا أحد أعظم رزية في عقله ممن ضيع اليقين»⁵، فيقول ابن العربي: «عجبا لعقل يتبع فكره ولا يتبع ربه»⁶، لذا فهو أجهل عقل بقدر خالقه - سبحانه - قلّد فكره، وجرح ربه⁷، فكان من أراد الله به خيرا رغبه فيما أبقي، وزهده فيما يفنى، ووهبه اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعتمد الدين إلا عليه⁸، فالقلب إذا زاد إيمانه أقبل على الطاعات، وكره المعاصي، فسارع إلى خالقه بالدعاء، والاستغفار، والتسبيح، والسهر الفعال، الذي يقطع فيه صاحبه الليل تسبيحا، وذكرًا سرا، وإعلانا كما عبّر ابن العربي⁹، مع الحرص على قراءة القرآن أفضل قراءة حيث يقول "الشيخ الأكبر": «...أنظر بأي لسان تتلّوه، فإن السكينة تنزل بالقرآن بحسب الألسنة»¹⁰، لأن من أقبل عليه على أنه كلام الله الواجب معرفته، والعمل به، يرق قلبه، ويلين له، فيزيده هذا إيمانا، ويقينا بخالقه - جل وعلا - المزيج لكل الشبهات، والردائل

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 323

2- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 11.

3- ابن العربي، الوصية، ص 5

4- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 10.

5- الآبي أبو سعد، نثر الدر في المحاضرات، مج 4، ج 7، ص 75

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 316

7- المصدر نفسه، ج 4، ص 317

8- الآبي أبو سعد، نثر الدر في المحاضرات، مج 4، ج 6، ص 56

9- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 71

10- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 25

المؤسس للمحاسن التي حث ابن العربي على الالتزام بها قائلاً: « فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتهم به عباده...»¹، فكان عليل اليقين، زائغ القلب.

يرزق اليقين صاحبه التسليم بأن الله - تعالى - يهب أهل التقوى بغير حساب لقوله -

تعالى:- ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ ﴿٢﴾ أَي ينجيه من

كرب الدنيا، والآخرة، ويرزقه من حيث لا يرجو، ولا يأمل³، فكان خير زاد هو التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله - عز وجل-، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياح من الكفر⁴،

فيوضاء القلب بنور إلهي يسطع فيه الإيمان، وتتفتح المعرفة، ويتسع اليقين، ويتقوى الإلهام،

وتتجلى الأسرار⁵، لذا كان القبول عند ابن العربي أشرف من الفكر⁶، فعملو همة المرء على

قدر يقينه المؤسس على المعرفة الحقة، الصافية، والموجهة⁷، لذا ينهى عن الخروج،

والابتعاد عن الشريعة الإسلامية « لما في ذلك من تيه، وضلال، وكل زائد، ومنقوص في

جهتها هو المبتدع»⁸، وفيها يقول: ابن العربي البيت التالي⁹

وإجعل شريعتك المثلى مصححة فإنها ثمر يجنيه كاسبه

وهذا ما يفسر حرص "الشيخ الأكبر" على التقوى الجادة الصادقة التي يغذيها الشرع، لأن كل

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 475

2- سورة الطلاق، الآية 2-3

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص ص 146-147

4- السيوطي جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 5، ص 31

5- الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 3، ص 343

6- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 414

7- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 175.

8- الشاطبي أبو إسحاق، الإعتصام، مج 3، تقديم وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، د ط،

د ت، ص 382

9- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 301

تقوى لا تعطي مخرجا من الشدائد لا يعول عليها¹، فسلامة النفس من سلامة التقوى الحامية لليقين من ضياعه، وقصوره إذا ما مسه الهوى لا يعول عليه²، لأن المطلوب يقين يتلج الصدر بحقيقة المعارف، وصدقها، الواقى من كل حرارة شك، ومرض نفس تولده الشبهة، أو الشهوة، أو الغضب³، فغياب اليقين يحول بين العبد والترقي، والوصول إلى الكشف الروحانية لأن صحة الظنون مفاتيح اليقين⁴، حيث يقول **القشيري** في لطائفه: « من أوصاف القلب في اليقين المعارف، والبصائر، والسكينة»⁵، لأنه يزبح ظلام الريب، كما يلغي العلم تهمة الجهل، وتتفي المعرفة أثر النكران، وتدفع نور المشاهدة بآثار البشرية⁶، لذا يقول "الشيخ الأكبر": « من أحسن سريرته أحسن الله علانيته»⁷.

قسم ابن العربي اليقين إلى ثلاث: **علم اليقين** أو معرفة الوجود، والملكوت، عن طريق النظر والاستدلال على أساس أن الإنسان هو دليل عليه -جل وعلا-⁸، علما أن هذا الإدراك لا يثبت ذات مكيفة، ولا معلومة الماهية⁹، لأن الذات الإلهية تتفرد بالألوهية، **وعين اليقين** وهي مشاهدة هذه الذات بعينها، لا بعينك، فناء كليا، لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتا، أو نفيا¹⁰، **وحق اليقين** هو نسبة الألوهية لهذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها¹¹، تحدث

1- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 19

2- المصدر نفسه، ص 17

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 10، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د ط، السعودية، 2004، ص 635

4- الآبي أبو سعد، نثر الدر في المحاضرات، مج 4، ج 7، ص 50

5- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 3، ص 419

6- المرجع نفسه، ج 2، ص 224

7- ابن العربي، الوصية، ص 8

8- ابن العربي، كتاب المسائل، ص 35

9- المصدر نفسه، ص 35

10- المصدر نفسه، ص 35

11- المصدر نفسه، ص 35

فيه مشاهدة الغيوب، كما تشاهد المرئيات، يبلغ به العبد أكمل وجوه اليقين، ومع هذا لا يمكنه أن يتعدى الذات الإلهية، ويعرف حقيقتها، ومن حاول فقد تاه، وهلك، فيقول "الشيخ الأكبر" البيت التالي¹:

ولا تطلبن من الإلهام صورته فإن وسواس إبليس يصاحبه

وهذا ما يوافق عليه الرازي الفقيه عندما عبر « أنا غير قادر على اثبات رؤية الله بالعقل... إن رؤيته لا تثبت إلا بأدلة القرآن²، لذا فإن أبواب المعرفة عندما تفتح لا يبلغها الفكر بل القلب الذاكر، المرتل لكلام الله³، فيقبل العقل ما يعطيه التجلي، ويعلم أن ذلك خارج عن قوة نفسه من حيث فكره، الذي لا يقدم ذلك أبدا⁴، فالعبد النقي كلما تعلقت همته بخالقه دون سواه، وهبه « كشفاء وتحقيقا...على جلال الحضرة الإلهية...وعظمتها⁵، متجاوزا بذلك حسه الجسماني، ليفارق مطامع الدنيا لإيمانه بعزة الله « المنفرد بالوحدانية⁶، فيقول ابن العربي البيت التالي⁷:

كل قب قد داخلته حظوظ من كيان العلى فهذا القلب ينجو

وهذا ما يبرر تأكيد الشيخ الأكبر على التزام السهر، لأن⁸:

ما فاز بالتوبة إلا الذي قد تاب منها والورى نوم

- 1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 301
- 2- الرازي فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، ج 1، تقديم أحمد حجازي السقا، مطبعة دار التضامن، د ط، القاهرة، 1986، ص 10
- 3- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 413
- 4- المصدر نفسه، ج 4، ص 414
- 5- ابن العربي، رسالة القسم الإلهي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1948، ص 20
- 6- رسالة أورد الأيام السبعة، رسالة رقم 1، من الورقة 3، ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن المخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.
- 7- ابن عربي، ديوان ابن عربي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1996، ص 25
- 8- المصدر نفسه، ص 25

فمن يتب أدرك مطلوبه من توبة الناس ولا يعلم

إضافة إلى العزلة مادام أنه لا راحة مع الخلق فيقول: « أرجع إلى الحق فهو أولى به، أن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت من الحق، وأن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك»¹.

2- الصبر والعزيمة

حدّد ابن العربي الصبر على أنه ركن من أركان الأعمال الباطنة، الخمسة المحصلة للخير²، معتمداً في مؤلفه "كتاب الكتب"، على قوله - تعالى -: ﴿وَلَنَبَلِّوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلِّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾³، حتى يُعرف ذو البصائر في دينه من ذوي الشك، والحيير فيه، وأهل الإيمان من أهل النفاق⁴، في اعتبار البلاء نعمة معجلة من الله - تعالى - على عباده المؤمنين⁵، وهو ما جعل الصبر عنده مرادفاً للرضا بالقضاء والقدر، وطمأنينة للنفس بفعل الله، وهي فكرة تقاسمها "الشيخ الأكبر" مع الكثيرين من رواد الفكر الإسلامي مثل "القرطبي"، حينما أكد أن الصبر هو ألا نتمنى حال سوى ما رزقنا الله، والرضا بما قضى من أمر في الدنيا، والآخرة⁶.

توحي نظرة ابن العربي الإيجابية للبلاء بأن الصبر عنده دعامة روحية، باطنية، مهمة في قيام الأخلاق، وأساس متين تبنى عليه العبادات التي تصدق بصدق الصبر

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 48

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 261

3- سورة محمد، الآية 31

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 47

5- ابن العربي، كتاب الكتب، ص 41

6- القرطبي أبو عبد الله، الجامع لإحكام القرآن، ج 1، ص 372

فيصبح معناه كما قال "القشيري": « تجرع كاسات التقدير من غير تعبيس»¹، لأن أصل الصبر هو تحمل المشاق، وحبس النفس عما تتنازع إليه² كما أشار إلى ذلك "الماوردي"، لقوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾³، أمر منه - تعالى - بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها⁴، فالأجدر بالمرء أن لا يكون ممن لا صبر له لأن قلته من أخلاق الجاهلين، وفي غيابه يُولد الضعف، ومنه كانت ساحة الصبر واسعة⁵، لا ينشط فيه إلا الخواص من الناس لتعارض العقل، والشهوة فيه، وهو إما فعلي كتعاطي الأعمال الصعبة، وإما نفسي بقمع الذات عن مشتبهات الطبع، فكان « فطم النفس عن المألوفات»⁶.

حث الخالق - تعالى - عباده المؤمنين بالاشتغال بما ينفعهم في الدنيا، وينصرهم في الآخرة بما وعدهم من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة ضمانا لراحة النفوس، واستقرارها، والرضا في الآخرة، وهما من الأعمال الظاهرة الدالة على أخرى باطنة مثل التوكل، الصدق، والصبر الذي هو أصل لجميع التكاليف، وقاعدة كل الشرائع، به تقوى النفس على ما تكره من الطاعات، والعمل على أداء الفرائض، منها الصلاة الناشئة عنه، ما جعل المصلين يندرجون تحت الصابرين، اندراج الفرع تحت الأصل⁷، فالصبر الباطني، والصلاة الظاهرة هما من أعمدة الإسلام، وأركانه، فالأول تعويد النفس على المكاره، والأعمال الشاقة، وهو أمر قلبي، أما الصلاة ثمرته، وهي أشق التكاليف لتكرارها، لذا كان الصبر من الإيمان بمثابة الرأس من

1- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 162.

2- الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 1، ص 115.

3- سورة آل عمران، الآية 200

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 384

5- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 226.

6- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، ص 87.

7- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 621.

الجسد¹، لذا قدم الصبر على الصلاة، لأن به يُزال ما لا ينبغي والثانية توجب، وتؤثر في حصول ما ينبغي²، لقوله - تعالى - ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾³، أي استعينوا بحبس أنفسكم على طاعة الله، وكفها عن المعاصي بالصبر والصلاة التي لا يعرف عظمتها إلا المتواضعون لله، والمستكنون لطاعته⁴، فكل من ابتلى بالرئاسة، والجاه، واستكبر عن الانقياد عن أحكام الله وعجز عن قطع المألوفات، وترك الشهوات أن يستعين بالصبر والصلاة، فالأول عنوان الظفر، والثانية تنهى عن الفحشاء والمنكر، لذا اعتبر الصبر من أحسن الأعمال، لاحتياج جميع التكاليف إليه، وسائر العبادات، كالنفقة، وبذل المال، وهو من أعظم ما تحلى به المؤمنين، ومن أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة حتى ورد أن الصدقة تطفى غضب الرب⁵، لذا قيل: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»⁶، لقوله - تعالى - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾⁷.

يعد الصبر الإنسان بشحنة تمكنه من الإقلاع عن المطالب المادية التي هي في الأصل امتداد لما هو حيواني في الإنسان، والصبر يردها، كالجوع الذي يمثل دعامة جوهرية تقام عليها الأخلاق عند ابن العربي، فوجدناه ناهيا عن الشبع المفرط حيث قال: « لا تأكل إلا عن فاقة»⁸، وكذا قوله: «إياك والبطنة، فإنها تذهب الفطنة، فكل لتعيش، وعش

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 372

2- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 341.

3- سورة البقرة، الآية 45

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 1، ص 194.

5- الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 150.

6- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 372.

7- سورة السجدة، الآية 24

8- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 14

لتطبيع ربك، ولا تعش لتأكل، ولا تأكل لتسمن»¹، فكان الصيام مقاما عظيما، ومقصدا شرعيا مهما، غايته ارتياض الذات البشرية على تحمل الجوع، والانصراف عن شهوة الأكل، حتى يدرك المرء ما يُعانيه الفقراء من نقص، وعوز، فهو سبيل لإحلال المساواة بينهم، ومصدر فعال يدر الطاقة لقول "الشيخ الأكبر": «ومما لا بد منه قلة الطعام، فإن الجوع يورث النشاط في الطاعة، ويذهب الكسل»².

يعتبر الصبر قاعدة للتدين، والإيمان لما فيه معارضة للنفس، وهواها، وما اعتادت عليه من شهوات حسية، كلما طبعت النفس عليه صار خلقا فيها مكنها من دحض المألوفات، ومخالفة واقعها الفاسد إيمانا بالله، وبرهاننا على طاعته، فالصبر يحفز النفوس على قبول الطاعات، وتنفيذ الأوامر بكل صدق لا يقوى عليه إلا المهتدي، من كان على يقين بحقيقة مقام الصبر، وأن الحياة لا تخلو من المصائب، والأحزان، عكس الضال من يجعل من المصائب سببا في الامتناع، عن الطاعة والكفر، الذي هو ناجم عن الشك في قدرة الله، فيقول "الشيخ الأكبر": «ما من شيء يزول عنك إلا وله عوض»³، لذا لا يتصف بصفة الصبر إلا صاحب الحظ العظيم⁴، لقوله:- تعالى- ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁵، الدالة على أنه ما يُعطى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، وما يلقي هذه إلا ذو نصيب، وجد⁶، لذا كان جزاؤه بخير حساب، فكل الحسنات لها أجر معلوم إلا الصبر فإنه لا يحصر لقوله- تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ

1- ابن العربي، الوصية، ص 6

2- ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 14

3- ابن العربي، الوصية، ص 2

4- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج 2، ص 402.

5- سورة فصلت، الآية 35

6- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص 467.

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾¹، إنما يعطى أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم، وثوابهم في الآخرة بغير حساب².

تظهر دلائل صدق الصبر في صدق العبد في ترك الشهوة، وتجرده عن جميع الشواغل فيصبر عن العلة، والزلّة، وكل ما يبعده عن الله، فينفق أمواله إن كان غنياً، ويتحمل الاجتهاد في أداء الفرائض، وإتقانها، فيكرمه الله بتحقيق ما طلب³، فتفتتح عليه أبواب الحكمة لأن الصبر مفتاح الفرج، ومطلع الخيرات⁴، لقوله -تعالى-: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾⁵، إن شاء الله الجنة بدلا من النار⁶، وما حدث به نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم-: «من أخلص لله أربعين يوما، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»⁷، لذا ارتبط الصبر عند ابن العربي بالشكر، لإيمانه بأن ما أخذ شيء من أحد إلا ليصبر، فيعوضه الله لأنه يحب الصابرين، وإذا ما أحب الله أحدا إلا عامله معاملة المحبة⁸، فالخالق - تعالى- لما أمر عباده بالشكر أمرهم بمقام الصبر «لأنه أخوه في ضده، إذ الشكر في النعمة، والصبر في البلية»⁹، فكلما تيقن المرء الصالح أن ما يعقب إتباع اللذات

1- سورة الزمر، الآية 10

2- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص 374.

3- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 227.

4- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 19، ص 99.

5- سورة الرعد، الآية 24

6- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 421.

7- أبو الفرج ابن الجوزي، كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعة، ج 3، (21) باب من أخلص أربعين صباحا،

تحقيق نور الدين جيلار، دار أضواء السلف، ط 1، 1997، برقم: 1628، ص 387

8- ابن العربي، الوصية، ص 2

9- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 185.

من هواجم أشد من كلفة الصبر في حال الامتناع عن دواعي الشهوة¹، فيعزم على الصبر لأن جزاءه الفوز بالطلبة، والظفر بالبغية².

يكرم الله سبحانه وتعالى - الصابر بثمانية³، الأولى المحبة لقوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾⁴، والثانية النصر لقوله - تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁵، والثالثة غرفات الجنة لقوله - تعالى-: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾⁶، والرابعة الأجر الجزيل لقوله - تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁷، والخامسة البشارة لقوله -تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁸، والثلاثة المتبقية مذكورة في قوله - تعالى-: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁹.

تتجلى دلائل صدق الصبر في البلاء عندما تمنع النفس من التسخيط، والهلع، والجزع، أما صور الصبر على النعم فيكون بتطويقها بالشكر، واجتناب الطغيان، والتكبر، ووجه الصبر في الطاعة يظهر في الحفاظ على دوامها، ويكون الصبر على المعصية بتركها¹⁰، علما أن الإقدام عليه لا يكون إلا بمعونة من الله، لأن البواعث النفسية تدعو إلى الجزع، والخوف، أما الروحية فتدعو إلى الصبر، فهذا الصراع بين الصنفين النفسي،

1- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 177

2- المرجع نفسه، مج 2، ص 319

3- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 187.

4- سورة آل عمران، الآية 146

5- سورة البقرة، الآية 153

6- سورة الفرقان، الآية 75

7- سورة الزمر، الآية 10

8- سورة البقرة، الآية 155

9- سورة البقرة، الآية 157

10- بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1، ص 90

والروحي لا تكون الغلبة فيه إلا بإعانة من الله¹ لقوله- تعالى-: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾²، فيقول ابن العربي: «الصبر إذا لم تشتك فيه إلى الله فلا تعول عليه»³، مع وجوب اتباع أنبياء الله، فحسب تفسير الرازي فإن قوله- تعالى-: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁴، الداعية إلى الإقتداء بالرسول، والأنبياء في الصبر على الشدائد، والثبات عند نزول البلاء لأنه لا يضيق أمر في دين الله إلا واتسع⁵، مثلما وقع مع نبي الله "يعقوب" فإنه لما صبر فاز بوعده، وكذا في حق "يوسف" - عليه السلام-، فالعبرة من هذه القصص هي تثبيت الفؤاد على أداء الطاعات، واحتمال الأذى، خاصة أن الفرد إذا ما ابتلى بمصيبة، ووجد من يشاركه فيها هان عليه الأمر⁶، فالصبر من هذا المنظور هو ثبات المرء على أحكام الكتاب، والسنة لقوله - تعالى- في قصة النبي "أيوب" - عليه السلام-: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾⁷، لذا نهى ابن العربي عن الصبر الذي يمنع من الدعاء، والتضرع لله لأنه لا يعول عليه⁸.

يوصف الصبر الذي مارسه ابن العربي مع البلاء بالصبر الجميل لأنه شديد ثابت وقت نزوله، فوصفه "الشيخ الأكبر" قائلا: « فإن الصبر الذي يعول عليه هو الذي يكون

1- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 18، ص 107.

2- سورة يوسف، الآية 18

3- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 14

4- سورة الفاتحة، الآية 6

5- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 1، ص 259.

6- المرجع نفسه، ج 18، ص 418

7- سورة ص، الآية 44

8- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 8

عند الصدمة الأولى»¹، لأنه لا جزع، ولا شكوى فيه²، ويكون هذا النوع من الصبر عندما يعرف المصاب بأن البلاء منزل من عند الله، مالك الملك، العالم الذي لا يغفل، والرحيم الذي لا يطغى، فلا اعتراض على ما يفعل - سبحانه-³، لأنه لا يصح أن يكون أبدا الخلق في رتبة الحق⁴، فيعرض المرء، ويسكت عن الشكاية، لأن من تأنس بالله لم يجزع كما أكد "الشيخ الأكبر"⁵، أما المصابرة فتظهر في تحمل المكاره الواقعة بين الفرد وغيره من الخلق سواء أكان من أهل بيته، أم جيرانه، أم أقاربه، زيادة على ترك الانتقام ممن أساء إليه⁶ لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾⁷، وهو أمر منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلم أو اعتدى⁸، حبا لله، وطاعة فيه، لأن لكل شيء كما قال ابن العربي: « إذا فارقتَه عوض، وليس الله إن فارقتَه من عوض»⁹، ولا يفلح المرء حسبه في تحمل فساد غيره، إلا إذا اعتزل «واشتغل بنفسه حتى يفارق موطنه بموطن الحق، فيكون السعيد الفائز بحقائق الوجود»¹⁰، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « ومثل جليس الصالح كمثل صاحب

1- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 5

2- الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، ج 5، ص 203.

3- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 18، ص 107.

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 167

5- المصدر نفسه، ج 4، ص 256

6- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 9، ص 160

7- سورة الأعراف، الآية 199

8- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 532.

9- ابن العربي، الوصية، ص 2.

10- ابن العربي، كتاب الفناء في المشاهدة، ص 4

سك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»¹.

عدّد ابن العربي العزيمة على أنها الرابعة في أعمال الخير الباطنة²، حتى يثبت أنها من لوازم الإيمان الحقيقي، المساعدة على كشف مدى صدق المرید، وثباته على ما وعد به

ربه استناداً لقوله - تعالى - : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾³،

فذكره سبحانه عنى به الذين قالوا لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصرنا في

العمل بعدما عرفوا⁴، إبرازاً لمقدار جدية المرء في تأسيس بنيانه على اليقين الصادق فيما

يعتقد، رابطاً إياه بصفاء العزيمة⁵، في تطبيق أوامره، ونواهيته بكل إذعان، وخشوع، عرفها

"القرطبي" بقوله: « العزيمة ما عقدت عليه نفسك من أمر أنك فاعله»⁶، دون حضور قوة

دافعة غير محبة الله، وطاعته، لأن من ينقاد إلى الخير إلا بقائد ليس بصاحب عزيمة

صادقة، فالمثل يقول: « فرس لا تجري إلا بمهماز بنس الفرس»⁷، ما جعل التكاليف

الشرعية كلها تبنى على شرط النية، والعزم المزيل لكل دواعي التردد، بحيث لا يبقى في قلب

المؤمن مجال للشك، ولا للحيرة الرافعة لليقين، فكان الوفاء، والإخلاص لله - تعالى - من

أعظم الأفعال الدالة على نقاوة النفس، ومضاء العزيمة.

1- أبو داود سليمان، سنن أبي داود، (35) أول كتاب الأدب، (19) باب من يؤمر أن يجالس، برقم: 4829، ص 875

2- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 261

3- سورة الصّف، الآية 3

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 285.

5- القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 62

6- القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 110

7- البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج 3، ص 285

دعا الخالق - سبحانه وتعالى - للاقتداء بأنبيائه في العزم لوجوب الموعظة للمؤمنين¹،
مثلاً أمر رسوله بالصبر الكريم على تكذيب من كذبه من قومه فقال - تعالى - : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا
صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾² ، كما صبر أولو العزم على تكذيب قومهم، وقد اختلفوا في
تعدادهم على الأقوال وأشهرهم أنهم "نوح"، و"إبراهيم"، "موسى"، "عيسى"، وخاتم أنبياء كلهم
"محمد" - صلى الله عليه وسلم -³، فالعزيمة تمكن من مواصلة الجهاد، والدعوة إلى الله،
ومتابعة العبادة حتى يأتي اليقين، بمساعدة الرياضة الفعالة في تذليل الصعاب، لتشكيل
أخلاق حسنة تشمل الفعل، والقول، وإلا لا يعول عليها⁴، فكلما صحت العزيمة أقبل الإنسان
على التسلح بالإخلاص، والدأب، والصبر، والإيمان بالله، والثقة بالذات، والحرص على
الحاضر، والغيرة على المستقبل، ففوة العزيمة تضمن ثبات الدين، والحذر من الانحراف،
والزيغ، والجد في طرد الهوى فحسب تفسير الرازي فإن قوله - تعالى - : ﴿ خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾⁵، أي بجدية، وعزيمة كاملة في العدول عن التغافل، والتكاسل
تأكيداً على أن الاستطاعة قبل العقل⁶، فمن واجب المؤمن اعتماد العزم، واليقين، حتى
يضمن المضي دون تردد لقوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ ﴾⁷، أي إذا صح عزمك بثبوت
من الله في ما نأبك، وحزبك من أمور دينك، ودنياك فتوكل على الله⁸ خاصة إذا آمن بأن
أسباب الفشل، واليأس هو ضعف ثقة العبد بربه، فيتولد فيه معاني الجبن، والريب، والكآبة، على

1- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 22

2- سورة الأحقاف، الآية 35

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 305.

4- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 18

5- سورة البقرة، الآية 93

6- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتمر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 3، ص 115.

7- سورة آل عمران، الآية 159

8- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 355.

ما لم يبلغ إلى حد الانكسار، ولا يزول هذا كله إلا بالعزيمة، والإرادة القوية، التي تحول
الخوف شجاعة، والشك يقين لقوله - تعالى - ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾¹، أي لا تضعفوا بالذي نالكم فتجزعوا على ما أصابكم أن كنتم مصدقي
نبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فيما يعدكم².

تعرف العزيمة على إنها من خصال المرء الصالح، كلما اجتمعت فيه زيادة على فتح
البصيرة، وتنوير القلب بمعرفة الله، احترم ربه فلا يطلب الإعانة إلا منه سبحانه ولا يرجع إلا
إليه - تعالى - في توفيقه، وسداده المحقق لفرحة الدارين³، لذا قال ابن العربي: « من أصلح
أمر آخرته، أصلح الله أمر دنياه، ومن أصلح لما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين
الناس »⁴، ما يؤكد حقيقة أن احترام الحدود، والأحكام يحتاج في كل الأحوال إلى اجتهاد،
وصفاء قلب، وصحة عزيمة لأن في غيابها يتعامل الإنسان بقلّة نيّة المؤدي إلى الفتور⁵،
وما يبرر هذا أن الخالق - تعالى - لما سطر في كتابه العظيم حدود الشرع إنما أراد بذلك
الخير لعباده، ولا يعجز عن فهم هذه الحقيقة إلا الفئة الخاضعة لنزواتها، ورغباتها، بطلب
لذات الدنيا، وشهوات أنفسهم فمالوا عن أمر الله بركوبهم المعصية⁶ فيقول - تعالى -:
﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾⁷، ولما كان - سبحانه
وتعالى - عالم بضعف عباده من نواحي عدة، كضعف النية، والعزيمة، والإيمان، وقلة
الصبر، وغياب التوكل، وشحّ الصدق، سهل عليهم فيما أمرهم ونهاهم عنه حتى لا ينفروا

1- سورة آل عمران، الآية 139

2- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 333.

3- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 2، ص 484.

4- ابن العربي، الوصية، ص 8

5- البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، مج 3، ص 281

6- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 443-444

7- سورة النساء، الآية 27

من مشقة بعض الفرائض أباح ما تقتضيه الحاجة كالميتة، والدم للمضطر، وهي إحسان شامل، ورحمة واسعة منه - سبحانه¹.

تظهر دلائل صدق العزيمة في الأعمال الظاهرة، وحتى الباطنة ما دام أن الخالق -

جل وعلا- يعلم ما يسره الفرد اليوم، وغدا لقوله- تعالى-: ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ

السِّرَّ وَأَخْفَى ۗ ﴾²، فحسب البغوي فإن السر هو العزيمة، وأخفى ما يخطر على القلب

ولم يعزم عليه³، لذا نصح ابن العربي العارف «أن يجتهد أن يكون وارثا من جميع الوجوه،

وأن لا يكون ناقصا الهمة»⁴، فلا يقطع عمره في المحدثات وتفاصيلها، فيفوته حظه من

ربه⁵، فيعزم على التوبة المتمثلة في ترك الذنوب، والإبانة بالقلب إلى علام الغيوب، والندامة

على ما فرط من عيوب، والاستقصاء في المحاسبة مع النفس، بالاستكانة، والخضوع⁶ لأن

من تاب تيب عليه كما عبر "الشيخ الأكبر"⁷، زيادة على ذلك فإن العزيمة تخول لأهل

الإيمان من أن يتوسلوا إلى خالقهم لمغفرة ذنوبهم، وحمائتهم من عذاب النار، شاكرين مولاهم

على ما من بهم عليهم، لأن العزيمة الصادقة تنهى عن نكث العهد إذا ما بلغ العبد سعيه،

عملا بقوله- تعالى-: ﴿ لَنْ أَنْجِيَنَّاهُ مِنْ هَذِهِ لَنْكُوتَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾⁸، أي لئن

1- السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 175.

2- سورة طه، الآية 7

3- البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، مج 5، ص 264

4- رسالة إلى محمد بن عمر الرازي، رسالة رقم 8، من الورقة 104 ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس .

5- ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 2

6- الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، ج 8، ص 316

7- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 4

8- سورة يونس، الآية 22

أنجبتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمتك تخليصنا مما نحن فيه بالإخلاص في عبادتك، وتوحيدك بالطاعة دون غيرك¹.

تعتبر التوبة، والاستغفار من الدعائم القوية المنجية للإنسان من الهزائم، ولا تحصل إلا بالعزيمة لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾²، فالخالق - تعالى - لا يغير ما بقوم من عافية، ونعمة، ويهلكم، حتى يغيروا ما بأنفسهم بظلم بعضهم بعضاً، فتحل بهم عقوبته بالتغيير³، كما تأهل العزيمة صاحبها من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والعمل بما جاء في تنزيل الرحمان، والافتداء به فيقول ابن العربي: « ولا تكن ممن علم ولا يعلم به، فتكون كالسراج يضى للناس ويحترق»⁴، مع الحرص على الافتداء برسلك الله لكونهم مصدرا جوهريا لنهل الاستقامة منهم، بترك كل ما تركوه، والإقبال على ما عملوا به، فنجد "الشيخ الأكبر" يقول في الرسول - الكريم - البيت التالي⁵:

فاحمد وزد في حمد ربك جاهدا فلقد وهبت حقائق الأشياء

وانثر لنا من شأن ربك ما إن جلى لفؤادك المحفوظ في الظلماء

من كل حق قائم بحقيقة يأتيك مملوكا بغير شراء

تترجم العزيمة قدرة الإنسان على تحمل المشاق في أصول الدين، والدنيا، وصدقها المقرون بتورعه في منطقته، ومأكله، ومشربه⁶، وكذا بالتوكل على الله - تعالى - لأن طلب

1- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 198

2- سورة الرعد، الآية 11

3- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 411.

4- ابن العربي، الوصية، ص 3

5- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 47

6- ابن العربي، الوصية، ص 6

النصر من غير الله خذلان، فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله لقوله - جل وعلا-: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾¹، أي من وثق بالله تولاه، ونصره على من عاداه لأن أنصار الله هم الغالبون²، لذا كان الصبر عند الهزائم، والثبات عند جلائل المصائب أعظم دليل على الوثوق بالله، ووعده المريح للإيمان³، وهذا ما يفسر حرص ابن العربي على جعل العزيمة شرطاً قوياً بعد الصدق، والصبر، والتوكل لكونها معياراً تقاس به صحة الأعمال، والعبادات التي كلما حضرت فيها دلت على صدقها.

تبرز صحة العزيمة في التهجد الذي لا يقدم عليه إلا الحازم قوي الهمة، لكونه أشد، وأثقل العبادات، فيه يفارق الإنسان مضجعه، وراحته المألوفة، فيعرف بالثبات لتوافق القلب فيها مع اللسان، لهدوء الأصوات، وغياب الرياء المرهون بماديات الدنيا، فتحصل هذه العبادة بكل خشوع، وخضوع⁴، خاصة إذا أدرك المرء أن الخالق - تعالى - يقسم الأرزاق، وينزل البركات، ويستجيب الدعوات فيما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس، فيترك الغفلة في مثل هذه الساعة الشريفة، عملاً بحديث الرسول - الكريم - «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»⁵، تأكيداً على الأثر الذي يتركه الذكر الدال عليه قوله - صلى الله عليه وسلم -: « ثم قعد يذكر الله».

1- سورة المائدة، الآية 56

2- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 3، ص 122.

3 - البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج 5، ص 81

4 - المرجع نفسه، ج 13، ص 422

5 - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، (4) كتاب الصلاة، (18) باب الذكر بعد الصلاة، تحقيق محمد ناصر الدين

الألباني، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1979، برقم: 971، ص 306 .

أوجب ابن العربي استعمال الذكر المنسوب إلى الله وهو القرآن الكريم¹، دون أن ينسى الإنسان فضل الدعاء، والتسبيح، والصلاة على النبي -الكريم- أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها²، فقبول جميع التكاليف مع الحرص على أدائها بكل شروطها المشروعة، زيادة على مفارقة الأوطان، والأقارب، والجيران في طلب رضا الله رغم صعوبتها التي عادلها الخالق -تعالى- بقتل النفس³ لقوله: ﴿أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾⁴، مع المجاهدة بالمال فيما يرفع صوت الحق، وهو ما امتنع عنه من احتكموا إلى الطاغوت بعدم خروجهم من ديارهم مهاجرين إلى أخرى، وهو ما يقوى عليه إلا القليل من أطاع الله ورسوله⁵، لقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾⁶، التي صرح فيها الله -تعالى- بأفضلية الإنفاق، والجهاد فس سبيل الله بالخروج بالنفس، والأموال، لذا لا يفوز بالمطلوب، ولا ينجو من المرهوب إلا من إتصف بصفات هذه الفئة، وتخلق بأخلاقهم⁷، لأن الجهاد، وإنفاق المال في سبيل الله لا يقوى عليه إلا صاحب العزيمة القوية، والثابتة، فيجازيها الله بالقبول المطمئن للألباب، مرتب الأسباب، مهون الصعاب كما عبر "الشيخ الأكبر"⁸.

1 - ابن العربي، كتاب التزاجم، ص 25

2 - الخلواتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 3، ص 353.

3- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 15، ص 216.

4 - سورة النساء، الآية 66

5 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 499.

6 - سورة التوبة، الآية 20

7 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 332.

8 - ابن العربي، توجهات الحروف، ص 2

3- الصدق

يُعدّ مظهرًا من مظاهر الخير الباطنة التي حددها ابن العربي لكل سالك في طريق الله، وهو يتولد عن حرص المرید على أفعال الخير الظاهرة السابقة، من جوع، وصمت، وسهر، وعزلة، يبرز فضله في القرآن -الكريم- من خلال قوله -تعالى- المبشر للصادقين: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾¹، أي يوم ينفع الموحدين توحيدهم²، وكذا قوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾³، أي المصدقين، والمصدقات رسول الله فيما أتاهم به من عنده، وفيما عاهدوه عليه⁴، فمدحهم -سبحانه-، وأعد لهم مغفرة، وأجرًا عظيمًا، به يعرف المؤمن فهو عمود دينه، وركن أدبه، وأصل مروءته، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به⁵، لذا كانت حقيقته حفظ العهد، وترك مجاوزة الحد، والطاعة في السرّ، والعلانية، والثبات عندما يكون الأمر جادًا⁶، لقوله: - تعالى- ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾⁷، فهو شرط أساسي في أداء الفرائض، وفي غيابه تبطل.

يحضر الصدق عند ابن العربي عندما تباشر العبادة بقلب مؤمن، موحد، لأنه كما قال: « لا شقاء مع التوحيد، ولا سعادة مع الشرك»⁸، دون إهمال طاعة الحواس التي هي في الأصل عند "الشيخ الأكبر" رُسل للقلب، يستنتسخ ما حصل فيها، فالبصر رسولا له وهو

1- سورة المائدة، الآية 119

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 235.

3- سورة الأحزاب، الآية 35

4- الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 6، ص ص 179-180.

5- الإبيشيهي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، ج 2، ص 254

6- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 4، ص 422

7- سورة الأحزاب، الآية 23

8- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 3

حارسه، وكذا اللسان وهو ترجمانه¹، بإذعانها للخالق - تعالى - لأنه صاحب المنّة، والعتاء، أغنى عباده بلطائف إحسانه، ورحمته، وهو من أوجدهم، وتولاهم، وفضلهم عن غيرهم من مخلوقاته، بنعمة العقل، لذا فإن « العارفين الكاملين في الإنسانية، يعبدون الله تعظيماً لحق الربوبية، وقياماً بوظائف العبودية»²، لإيمانهم بأن سعادة الدنيا تكمن في العبادة، والتجند لله، كما أكد على ذلك ابن العربي.

توثق فاعلية الصدق، وحقيقته بممارسته في الأقوال، والأحوال، والأفعال، ويكون بالوفاء والإخلاص لله - تعالى -، لأنه من أمارات الصدق في التوحيد قطع العلاقات، ومفارقة العادات، وهجران المعهودات، والاكتفاء بالله في دوام الحالات³، مع الحرص على اتباع الطريق الصائب، الحافظ للقلب الذي أكد ابن العربي على أهميته بوصفه « جنة العبد المؤمن لأنه محل المشاهدة، والتحلي، والمناجاة، والمنازلات، ومنبع الأنوار»⁴، فعلى المرء أن يجعل الإيمان لقلبه بما أعطاه من معرفة الله بمنزلة البصر لحسه، بما أعطاه من معرفة ما تقتضيه حقيقته كما أكد على ذلك ابن العربي⁵، وذلك بقطع سبيل الفواحش الظاهرة، والباطنة، كالحسد، والكبر، واحتقار العوام في جواب الخواص⁶، وحب الجاه، وغيرها من العيوب التي من الواجب أن يتورع فيها الإنسان باجتتاب الحرام، والشبهات⁷.

1- ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 21.

2 - أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 75

3 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 18.

4 - ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 28.

5 - ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 1

6 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 3

7 - ابن العربي، الوصية، ص 6

تُولد صدق النية في الأقوال، والأفعال العمل الصالح، الذي يقابل بجزء من الله لقوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾¹، أي أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الأعمال² فوعده - سبحانه - حق، وعلى كل من يرغب فيه أن يعمل باجتهد وهو عند ابن العربي « تصفية النفس وتزكيتها...وتخلّقها بالخلق الربانية، وتهيؤها، واستعدادها لقبول العلوم من الله، فإذا صفا المحل بهذا النوع من التصفية لاح له الحق في مسألة من مسائل الأحكام»³، شريطة أن يلتزم المرید بأوامر الله - جل وعلا-، والسير على خطى نبيه -عليه الصلاة والسلام- لكونه أكمل موجود في النوع الإنساني به بدأ الأمر وختم كما عبر عنه ابن العربي⁴، فمن فصل بين أخلاقه والأخلاق السننية اتسع بحره فغرق⁵، فالصدق، وتعظيم الخالق مع إخلاص النية لوجه - سبحانه - من شأنه أن يحمي النفوس التي هي « بمنزلة النار لأنها منبع الشر، ومحل الوسواس، وربع الشيطان»⁶، وكذا تحمي القلوب التي هي بمنزلة العرش كما وصفها ابن العربي⁷، بمعرفته سبحانه، لذا كان القرب من الحق - تعالى - بحسب تقديس الذات، وتزكيتها⁸، هكذا يكون من السهل حد فاصل بين الجاهل، والعارف، والمجتهد، والخامل، والراغب، والغافل، خصوصا أن الله - تعالى - قد أكرم عباده بكتاب جامع لحكمته، راسم لمحاسن الأفعال، مبين لردائلها «لأن القرآن منبع

1 - سورة يونس، الآية 2

2 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 185.

3 - ابن العربي، كتاب القرية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، ، 1943، ص 4.

4 - ابن العربي، فصوص الحكم، ج 1، ص 214

5 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 9

6 - ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 21.

7 - المصدر نفسه، ص 26

8 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 39

الحق، ومجمع الصدق»¹، لقوله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾²، أي موعظة من الله فيها دواء لما في الصدور من جهل، وبيان للحلال، والحرام، لذا فهو رحمة للمؤمنين به دون الكافرين³ فما تقدمه الآداب الشرعية من أنوار، وهداية مزينة لكل شك، وريب، وجهل، وقبح تمكن من استمع، واتبع الهدى من التصديق بما جاء به - سبحانه-، فيهون عليه الخلق ليكون مع خالقه، معرضاً عن الدنيا الزائلة، فيقوى على ترويض نفسه من مساوئها، لقوله - صلى الله عليه وسلم-: « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»⁴.

تظهر عناوين الصدق كركن باطني في الظاهر من خلال الحرص على تأدية حقوق العبودية، الماثلة في إقام الصلاة مثلاً، التي هي عنوان الإيمان، ومصدر هام لطهارة القلوب، فهي محل لمنجاة الله - تعالى- بها تتسع ميادين الأسرار لقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁵، المؤكدة على أنه مهما عمل الإنسان من عمل صالح في أيام حياته قبل وفاته، هو نخر له يجد ثوابه يوم القيامة⁶ كما ثبت على النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه

1 - السيوطي جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، د ط، المملكة العربية السعودية، د ت، ص 1898.

2 - سورة يونس، الآية 57

3 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 219.

4 - البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، ج 04، (96) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (02) باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم: 7288، ص 506

5 - سورة البقرة، الآية 110

6 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 1، ص 343.

قال: « قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سألت...»¹، مع الزامية إتقان شروطها، وأركانها، وآدابها، فقال: ابن العربي « وقد جعل الله السجود حالة القرب من الله»²، وعن فضلها ذكر - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»³، كما تبرز دلائل صدق المرء مع خالقه في الإنفاق في سبيل الله - تعالى - في السرّ والعلانية لقوله - سبحانه - ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾⁴، تأكيداً على أن النفقة التي هي في سبيل الله هي ما أبتغى وجه الكريم، بعيداً عن المنّ والأذى⁵ المبطل للصدقات، وهذا ما أكدّه "القشيري" في مؤلفه "لطائف الإشارات" عندما حث على وجوب إنفاق الأموال في سبيل الله بملازمة الصدق، وبنفي كل حظ، ونصيب

1 - مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (04) كتاب الصلاة، (11) باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم:395، ص 111.

اعتمد العربي الفقيه هذا الحديث كحجة، وإثبات لفض الخلاف حول حكم قراءة الفاتحة كشرط في صحة الصلاة، فعندما يقرأها المرء في صلاته يقول العبد كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « يقول العبد الحمد لله رب العالمين، فيقول الله تعالى حمدني عبدي، ويقول العبد الرحمان الرحيم، فيقول الله أنتى علي عبدي، يقول العبد مالك يوم الدين، يقول تعالى مجدني عبدي، يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله تعالى هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبي ما سألت، يقول العبد أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله هؤلاء لعبي ولعبي ما سألت» فقد تولى سبحانه قسمة القرآن بينه وبين العبد فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب:/أبو بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربي الفقيه)، أحكام القرآن، ج 1، ص 6-7، وهو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي، الإشبيلي، كان أبوه من فقهاء إشبيلية ورؤسائها، ولد سنة 1076 م، وتوفي سنة 1148 في مدينة فاس بالمغرب ودفن بها، من أشهر أعماله النسخ والمنسوخ، وأحكام القرآن...أخ:/ المرجع نفسه، ج 1، ص 12-13

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 183

3 - القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، (05) كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها،(174) باب ما جاء في قيام الليل، برقم: 1333، ص 236.

4 - سورة البقرة، الآية 262

5 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 151.

فيرضى المتصدق بجريان حكمه من غير تعيب القلب¹، علما أن هذه العبادة لا يقوى عليها إلا من باع دنياه الفانية واشترى آخرته الباقية، فيعرض عن الاصراف، والترف الذي قال عنه ابن العربي: « ولا تلبس إلا عن واقية من حر أو برد، بنية ستر العورة، ودفع الأذى القاطع عن عبادة ربك²، مؤكدا في موضع آخر على عدم التبذير المانع للصدقات، معبرا عن ذلك بقوله: « ولا توسع في ثوب ولا في مسكن، ولا في مأكَل فإن الحلال قليل لا يحتمل السرف³».

يعتبر الصدق ثمرة من ثمار العزلة الأربعة، إضافة إلى كشف الغطاء، تنزل الرحمة، وتحقيق المحبة الناتجة عن القلوب الصافية التي تفيض عليها الأسرار الوهبية لقوله - تعالى-: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۗ﴾⁴، حيث ذكرت هذه الآية لما اعتزل "إبراهيم" - عليه السلام- قومه عبَاد الأوثان، فأنس الله - تعالى- وحشته من فراقهم، وأبدل لهم منهم بمن هو خير، فوهب له ابنه "إسحاق"، وابن ابنه "يعقوب" بجعل كلا نبيا⁵ فيقول ابن العربي: « رؤية القلوب على قدر صفائها...»⁶، فطاعة الله ورسوله بحضور الصدق الذابح للنفوس التي كلما اعتادت المجاهدة، وقبلتها تقربت من خالقه واطمأنت، لأنها لم تشك، ولم ترتاب فيما قد وعدّها الله - تعالى- به، لذا نصح "الشيخ الأكبر" على ضرورة التزام الصدق، والإخلاص لأن بالأول يعتصم المرء و لا يؤثر فيه شيء، وبالتالي تصح عبودتيه⁷، فالرَيْبُ قلق النفس بسبب الشك، ولا يزيله إلا الصدق، لذا

1 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، ص 203

2 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 14

3 - المصدر نفسه، ص 12

4 - سورة مريم، الآية 49

5 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 5، ص 162.

6 - ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 13

7 - المصدر نفسه، ص 6

كان طمأنينة منه¹ لقوله - صلى الله عليه-: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »²، وعليه فإن مراعاة الصدق في خاطر، والفكر، والنية، والقول، والعمل يضمن صدق الأحوال، والمواهب، وهو مصدر للكرم³ الإلهي، فهو حماية للعبد من خواطر السوء، لإيمانه بأن أول مراتب الصدق هو صدق الاعتقاد الرافض لكل ما هو مخالف لما جاء به الدليل الشرعي مصداقا لقوله- تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾⁴، فقوله - تعالى- ذكره للمؤمنين معرفهم بسبيل النجاة من عقابه، والخلص منه، من خلال طاعته، وآداء فرائضه لأنه من اتقى الله في الدنيا كان مع الصادقين في الآخرة⁵، وهذا ما يوجزه حديث النبي- الكريم-: «...فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»⁶، فيكفي الصدق

1 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 155.

2 - الترمذي محمد، سنن الترمذي، (35) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (60) باب، برقم: 2518، ص 567.

3 - الكرم أو الكرامة حسب القشيري هي عطاء إلهي تظهر في إجابة دعوة مثلا أو إظهار طعام في أوان فاقة من غير سببا ظاهرا، أو حصول ماء في زمن العطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصا من عدو: / القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 2، ص 523، وظهورها حسبه مرهون بصدق صاحبها لأن في غيابه هي غير جائزة: / المرجع نفسه، ج 2، ص 520، مؤكدا على أنها ليست بالمعجزة الخاصة بالأنبياء، لأنهم مبعوثون إلى الخلق، والناس بحاجة إلى معرفة الصدق و لا يتم إلا بالمعجزة: / المرجع نفسه، ج 2، ص 522، وكتصحيح للمفهوم الخاطئ لبعض الجهال القائل ببركة الأولياء، والبقاء عند القبور، والتدرك بهم بعد الممات أكد الرازي الفقيه على أن كرامات الأولياء في الدنيا وهم أحياء وليست من الأمور الخارقة للعادة، وذلك لئلا تلتبس بمعجزة النبي، فالموتى لا تظهر على أضرحتهم، وقيورهم كرامات، وليس لهم من الكرامات يفعلونها مع مرديهم، وأتباعهم، وذلك لفناء النفس بفناء الجسد، وإذا ثبت فناؤها من بعد الموت، وثبت أن النفس لا ترد إلى الجسد إلا في يوم القيامة، فإنه يثبت أن الموتى سواء كانوا أنبياء أو أولياء، لا يؤثر في سلوك الأحياء بالخير، ولا بالشر، ولذلك تمنع كراماتهم من بعد الموت، ويمنع التوسل بهم إلى الله - عز وجل- لأن النفس معدومة و لا إتصال لها بالأجساد: / الرازي فخر الدين، لباب الإشارات والتنبيهات، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1، مصر، 1986، ص ص 198-199.

4 - سورة التوبة، الآية 119

5 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 169

6 - الترمذي محمد، سنن الترمذي، (35) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (60) باب، برقم: 2518، ص 567

فضيلة أن الإيمان ليس إلا تصديق، وكفى الكذب مذمة أن الكفر ليس إلا التكذيب¹، فهو سيف حازم ما إن وقع على شيء إلا قطعه، ففي الأقوال يحمي من الكذب، وفي الأفعال يصون من الرياء، وطلب العوض، وفي الأحوال تصفيتها من القصد الفاسد، مثل الرغبة في الشهرة، وغيرها من أهداف دنيوية، لذا فإن حسنات الصدق تذهب بسيئات الإعجاب، كما تذهب حسنات الإخلاص بسيئات الرياء²، وهو لا يبلغ تمام أقسامه إلا إذا حضر في القول، والفعل، والحال³.

وما يمكن استنتاجه مما سبق عرضه في هذا الفصل النتائج التالية:

- توافق كل من ابن العربي و" الجيلي عبد الكريم " في أن المحافظة على النفس بإقدامها على الأعمال الصالحة أساس الجود الإلهي، واختلفا في تسمية التجليات الإلهية، فعند "الشيخ الأكبر" كانت وهبا، أما عند "الجيلي" هي أمور استحقاقية إلهية، حيث يقول: « نالوا ما هو لهم، فليس ذلك بموهوب بل ظفروا بما اقتضته حقائقهم، فكل ما نالوه إنما هو باستحقاق جعلناه لهم»⁴، موظفا البيت التالي⁵:

مازلت أرتع في ميدان الرضا حتى بلغت مكانة لا توهب

- اشتراك كل من ابن العربي و ابن خلدون في حرص النفس الإنسانية على امتلاك الأخلاق الحسنة حتى يكون لها استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية، لتصير من جنس الملائكة وقتنا من الأوقات⁶.

1- الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 10، ص 177

2 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 162

3 - المرجع نفسه، ج 2، ص 72

4 - الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ص 161.

5 - المرجع نفسه، ص 161

6- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، ص 163.

- توافق ابن العربي مع ما أكده "لقمان الحكيم" في أن شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً¹.
- توافق ابن العربي مع "السيوطي" في أن الدنيا بحر عميق غرق فيه الكثير يدفع الإنسان إلى جعل سفينته تقوى الله، وحشوها الإيمان به، وشراعه التوكل عليه².
- اشتراك كل من ابن العربي و"أبو طالب المكي" في أن أمهات الخير الأربعة الظاهرة تجعل من الأبدال³ أبدالاً⁴، لذا كانت أساس المعرفة لأهل الله⁵، ما دام أن للإنسان أعداء أربعة هي النفس، الدنيا، الهوى، والشيطان.
- توافق ابن العربي مع "القشيري" على أن النوم لأهل الفضيلة عقوبة، ولأهل الاجتهاد رحمة⁶، فمن نام فاته خير كثير لا يعلمه إلا في حال السهر⁷.
- إن أعمال الظاهر اثنان منها فاعلان هما الجوع، والعزلة، واثنان منفعلان هما السهر، والصمت⁸.
- إن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته⁹.

- توافق ابن العربي مع قول: **ذو النون المصري (ت859م) في البيتين التاليين¹:**

- 1 - البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج 15، ص 157
- 2 - السيوطي جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 11، ص 641
- 3- الأبدال أو البدلاء مصطلح صوفي يطلق لدى الصوفية على سبعة رجال يسافر الواحد منهم عن موضع ويترك جسداً على صورته فيه بحيث لا يعرف أحداً أنه فقد: /ابن العربي، كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال، ص 10.
- 4- أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 4، ص 256.
- 5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 260
- 6 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 2، ص 639
- 7 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 259
- 8 - المصدر نفسه، ج 4، ص 253
- 9 - ابن عربي، رسائل ابن عربي، ص 54

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح إلى الذكر

سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

- العزلة طبع صوفي لأن روحه تجافي المخالطة، وتعشق الحياة الوجدانية في عمق الوحدة².

- إن إيثار العزلة عن الاختلاط حماية من الفتن، وطلب لسلامة الدين.

- إن العزلة على الدوام مقام ضعف لا يعيشها إلا المتخاذل.

- إن غاية السهر تفتن الإنسان لأعدائه الأربعة الشيطان، النفس، الهوى، والدنيا.

- توافق ابن العربي مع "البيهقي (384هـ - 458هـ)" في أنه لا يطمع أحد في السهر مع

الشبع، ولا في لين القلب مع فضول الكلام، ولا في حب الله مع حب المال والشرف، ولا في

الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين، ولا يطمع في الروح مع الرغبة في الدنيا³.

- إن أعلى الناس مرتبة عند الله أكثرهم استقامة وحرصا على بلوغ أهدافهم.

- إن كمال العزيمة يظهر في الصبر على المكارم، والتوكل على الله.

- إن العزيمة عنوان عباد الرحمن الذين جعلوا العبادة مخرجهم، وطاعة الله لذتهم.

1- القشيري عبد الكريم، رسالة في علم التصوف، ص 106

2 - سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ط 1، ص 35.

3 - البيهقي أبو بكر، شعب الإيمان، ج 5، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000، ص 48 .

الفصل الرابع: ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عن ابن العربي

أولاً: ضوابط أخلاق التوحيد عند ابن العربي

1- ضابط الشرع

2- ضابط التوحيد

3- ضابط الزهد

ثانياً: غايات أخلاق التوحيد عند ابن العربي

1- حفظ العقل

2- تقوى الله

3- الكشف

ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

يعتبر العقل أسمى شيء في الإنسان، وأبرز صفة تميزه عن بقية الكائنات، لذا فهو منحة من رب العالمين لعباده لإرشادهم للخير، وإبعادهم عن الشر، فكان شرطاً في التكليف والتكريم، والتفضيل، وحجة على الناس يوم الدين، ما جعل ابن العربي يؤكد على أن سلامة العقل مرهونة بجدية الضوابط التي تسييره، وتحكمه لتكون هذه الأخيرة بمثابة الميزان الثابت الذي يحتكم إليه في تقييم سلوكات الأفراد، وقيمه المعنوية، كلما أخل الإنسان بها أصبح منحرفاً حتى وإن كان ظاهر سلوكه محموداً، فما هي هذه حدود هذه الضوابط، وأين تتمركز، وما القصد من وجودها؟.

أولاً: ضوابط أخلاق التوحيد عند ابن العربي

1- ضابط الشرع

يقصد به موافقة السلوك الأخلاقي للكتاب، والسنة، على أساس أن الشرع ضابطاً صحيحاً يمكن الاعتماد عليه في التمييز بين الأفعال، والحكم عليها بالحسن، أو بالقبح، لاحتوائها على مبادئ، وقواعد أخلاقية عامة، ترسم حدود الفعل الإنساني، وما وجب أن يكون عليه إما مع نفسه، أو مع العامة من الناس¹، وهذا ما يفسر حرص ابن العربي على إلزامية تقيد العقل بكتاب الله، وسنة نبيه، حماية له من المهالك، عملاً بقوله- سبحانه-:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾²، لأن دلالة الإخلاص في الدين تحصل بعدم الابتغاء من العمل،

والطاعات إلا وجه الله - تعالى - فكان الإخلاص في الدين مقابلاً للرياء³.

1 - محمود كيشانة، فلسفة الأخلاق عند إخوان الصفا، دار ابن نديم للنشر والتوزيع، ط2017، ص1، ص133

2 - سورة النساء، الآية 146

3 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 396.

إن الأصل في الالتزام بالسلوكات، والفضائل الخلقية ما كان موافقا لما جاء به الإسلام بإصلاح العمل طلبا في مرضاة الله - تعالى - لا طلبا في مصلحة الوقت، فكان الاعتصام بالله ثقة به¹، لأن الله - تعالى - الجلال، والكمال اللامحدود، -فسبحانه- أساس وجودنا، وسبب قوتنا، وبقائنا، وفي عظمته يقول ابن العربي²:

سبحانه وتقدست أسماؤه وعن الزيادة جَلَّ والنقصان

لذا حرص ابن العربي على التشبث بدين الحق علما منه بأنه السبب الأعظم، والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم لقوله - تعالى -: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾³، تأكيدا على الجمع بين ضرورة إتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفضل خلق الله، وأفصحهم في أقواله، وأفعاله، وأحواله، وبين التوكل على الخالق -جل وعلا-، والاحتماء بقوته، ورحمته⁴، فالخالق - تعالى - هو العماد القوي، السرمدي، الذي نعول عليه في تحرير ذواتنا من الضياع، فبه « أسباب الفوز بالسعادة، ومقام القرب منه...»⁵.

يعتبر معيار الشرع حَكَمَ فصل في الأفعال، وبيان نصيبها من الخير، والشر، لأنه يدرك وجه الحسن، والقبح في الفعل⁶، لذا يظهر بوضوح حرص ابن العربي في التمسك بالكتاب، وسنة نبيه بلا زيادة، ولا نقصان، لأنه ما نقص المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في خلق بل أتى بتمام مكارم الأخلاق على الوجه الذي كلف به من ربه - عز

1 - البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، مج 5، ص 404.

2 - ابن عربي، ديوان ابن عربي، ص 11

3 - سورة آل عمران، الآية 101

4 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 231

5 - ابن العربي، العجالة، ص 11

6 - محمد كيشانة، فلسفة الأخلاق عند إخوان الصفا، ص 133.

وجل- حتى قال فيه -سبحانه-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾¹، ما يفسر حرص ابن العربي على ضرورة الالتفاف حول سنة النبي الكريم كما سبق وأن أشير إليه عملاً بقوله - تعالى-: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧ ﴾²، وقول الرسول - الكريم- في وجوب اتباع منهجه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»³، حرصاً على الإخلاص المزيل للنفاق، والموسع للحلم، والرحمة، والإحسان، والشكر الذي هو خضوع القلب، والاعتراف بنعمة الله، وثناء اللسان على الخالق - تعالى- وعمل الجوارح بطاعته⁴، تزوداً بتلك الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة، ما دام أن خير زاد هو التقوى⁵.

ينجح قلب المرء المؤمن في جعل فؤاده، وسره، بعيداً عن ما يشغله عن خالقه كلما أخلص توحيده لأن « قولنا سبحانه واحد يلزم منه أن لا يكون معه غيره»⁶، حتى تقبل أعماله، بتأدية الصلاة المفروضة بحدودها، وإيتاء الزكاة الواجبة، والاعتصام بحبله تعالى لأنه نعم المولى ونعم النصير⁷، عملاً بقوله - تعالى-: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨ ﴾⁸، وحسب ابن العربي أن هذا الاقتداء سبباً جوهرياً في جعل

1 - سورة القلم، الآية 4

2 - سورة الحشر، الآية 7.

3 - مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (30) كتاب الأفضية،(08) باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم: (17)(1718)، ص505.

4 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ص 212

5 - ابن العربي، الموعدة الحسنة، ص 6.

6 - كتاب شجون المسجون، رسالة رقم 20، من الورقة 275، ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

7 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 5، ص 347.

8 - سورة الحج، الآية 78

الإنسان يرتقي في مدارج المتقين أهل العلى، والذي لا يكون إلا في حضرة شريعة الله التي قال فيها ابن العربي¹:

ما نال من جعل الشريعة جانبا شيئا ولو بلغ السماء مناره

وما وضعه "القشيري" بدوره عندما أكد بأن التشبث بدين الحق هو حسن الاستقامة، بدوام الاستعانة².

إن العمل بدين الله، والإيمان به - سبحانه - يبرز في الثقة به، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، حقيقة توصل إليها ابن العربي باعتماده القرآن الكريم، كونه عاملا مباشرا في عتق الإنسان من هواجس نفسه، ورعونة طبائعه، بثبوت كلام الله، وسنة رسوله في القلب، فأكد ابن العربي قائلا: « ثابر على كلمة الإسلام...»³، حتى يحمي الإنسان نفسه من مكائد الشيطان الرجيم، ومقاومة نفسه الضعيفة، فيشتد صدقه في تمسكه بالله، واليقين بأنه هو القائد، والموجه، له الدين كله، وإليه ترد الأمور جميعها، وهذا ما يبرر رفض ابن العربي للمعارف، والحقائق المطلوبة خارج إطار الشرع الكريم، لأنها فاسدة لا محالة، ولا يعول عليها⁴، فلا يكون الصلاح، والنجاح إلا باتباع أوامر الله، واجتتاب نواهيه، والتوكل عليه في كل أمر، مع خلاص النية، والتجرد من الهوى، لأن العقل الصحيح هو ما يستحسنه الشرع، ويستقبح ما استقبحه، لأنه منهج مضبوط لكل زمان، ومكان، ومن اعتصم بغير الله هلك، ولم تنفعه شفاعة الشافعين⁵.

1 - ابن عربي، ديوان ابن عربي، ص 19

2- القشيري عبد الكريم ، لطائف الإشارات، ج 2، ص 566

3 - ابن العربي، التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، ص 15.

4 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 2

5 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 31

حث ابن العربي كل من أراد السير في طريق الله، أن يتبع خطى نبيه - الكريم-، حماية له من الفتن، لأن النفوس لا يمسهما التذبذب، والفساد، إلا بمفارقتها شريعة الإسلام¹، المجنبية لمواطن الغلط بهجر النفاق، والمنافقين، فتستقر هذه الروح بحرصها على القرآن الكريم الملين للقلوب، فتخشع، وتتذوق حلاوة الإيمان، وتتمسك بالله خصوصا عند نزول البلاء، إضافة إلى المواظبة على ذكر الله، والاستغفار، لأن الذكر أجمع لهمم، وأصفي للخاطر²، فيزول تشاؤمه، وفشله، وتزداد ثقته بالله، الداعمة للتقوى القائمة على خشية الخالق، والسعي لكسب رضاه - سبحانه-، مؤمنا بأن كل نصره من غيره مكر لا يعول عليها، فالشقي من ظل في تيه شهواته³، والمنصور الفائز من كان صادقا في تضرعه لخالقه، صادقا لا يشوبه شك رفضا للرياء، والنفاق، وفي هذا يقول ابن العربي⁴:

والناس إما مؤمن أو جاحد أو مدع ثوب النفاق شعاره

تأكيدا منه على أن طهارة النفس، وصدق الإيمان، تجزى بالوهب الإلهي، مبرزا أن كل حب من الله لا يكون معه هيبه في القلب الحاضر لا يعول عليه⁵.

2- ضابط التوحيد

عبر عنه ابن العربي بقوله: « هو إثبات واحد بلا أول...من غير مشاركة في وصف ولا نعت»⁶، ينمو، ويشد عند كل واحد اجتهد في تأسيس عقيدته على مبادئ الإسلام، وربطها حتما بالتوحيد بالله ربا واحدا، لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، لاستحالة التفريق في شرع الله، والتمييز بين رسله، لأن الإيمان كلي لا يتجزأ بالله، وبملائكته، وكتبه،

1 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 4

2 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 27

3- ابن العربي، كتاب التراجم، ص 14

4 - ابن عربي، ديوان ابن عربي، ص 19

5 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 7

6 - ابن العربي، كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام، ص 4.

ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره، وشره، مبرزاً أن الشرك بالله هو من أكبر الكبائر¹، لذا كان الواجب حسب "الشيخ الأكبر" رفع المماثلة بين الخالق والمخلوق، لأنه لا مجال لذلك²، فليس للعبد في عبوديته نهاية، ثم يرجع ربا كما أنه ليس للرب حد ينتهي إليه ثم يعود عبداً، فالرب ربّ إلى غير نهاية، والعبد عبد إلى نهاية كما أكد ابن العربي³، فكل صفة تؤول للتعبير، والفناء، لا يجوز أن نصف بها الله - تعالى-، فتتزيهه واجب، لشمول علمه بالكلية، والجزئية، وكمال قدرته على العلويات، والسفليات، مع قدرة إظهار العدل بين سائر مخلوقاته⁴، لذا فهو الواحد الأحد، وما على العبد إلا أن يقول ما قاله ابن العربي في البيت التالي⁵:

فأنا العبد الذليل المجتبي وأنا الحق وما الحق أنا

اعتمد ابن العربي على كتاب الله كي يظهر موقفه من التوحيد القائم على رفض اتخاذ وكلاء دون الله - جل وعلا-، لأنه مقدس عن كل ما لا يليق بكماله - سبحانه-، فينزله عن كل وصف يدركه حس، أو صورة خيال وهم، فكماله تام بيده مقاليد السماوات، والأرض وإليه يرجع الأمر كله، أما العبد كما صوره ابن العربي « هو الذليل، والذلة لا تقتضي العلو فمن جاوز قدره هلك»⁶، لذا كان عدم الشرك بالله - تعالى- جوهر العقيدة الصحيحة، ومقوم ضروري لصلاح الحياة الإنسانية كلها، كونه يبسط النظام، والاستقرار داخل هذا الوجود، فيقول "الشيخ الأكبر": « فلو ثم إلا ثان مع الله لامتنع وقوع الفعل من

1 - ابن العربي، رسالة القسم الإلهي، ص 15

2 - ابن العربي، التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، ص 15.

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 117.

4 - البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج 7، ص 19

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 259

6 - المصدر نفسه، ج 3، ص 117

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

إلهين لاختلاف الإرادات، وفسد النظام»¹، تأكيداً منه على استحالة الجمع بين التوحيد، والشرك، فعلى المرء أن يسبح الله تقديساً له، وتنزيهاً لذاته، وصفاته، وأفعاله، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾²، فمن نازع الله في ألوهيته ودعا عبادة غيره - سبحانه-، يلعنه الله ويعذبه لقوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾³.

يقبل الله - تعالى - العبادة الصادقة التي تبنى على الطاعة التامة المطلقة، مع كمال الذل، والخضوع، والحب له - سبحانه- لأن له الملك، وهو على كل شيء قدير لقوله - تعالى-: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾⁴، تأكيداً على أن الله الواحد القهار ليس له أي من هؤلاء المعبودين معاون، ووزير يساعده على الملك، والتدبير⁵.

فرض ابن العربي على المرید الصدق في توحيده، من خلال تنزيه خالقه من كل سوء، ولده شرك الجاهلية البارز في عبادة الأصنام، أو التوكل على غيره من الخلق، متناسياً قدرة خالقه لقوله - تعالى-: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁶، ناهياً بذكره العظيم عن عبادة الأوثان التي يزعم المشرك بأنها تقربه من ربه، وهي لا تشفع عند الله أحد⁷، مؤكداً على أن التوحيد الصحيح ما ثبت في القلب، وصدقه العمل الصالح، لأن الإيمان الخالص، الثابت الذي يستحق به العبد الهداية، والتوفيق، هو ما كان مقيداً بالفعل الخير، والبار، لأنه

1 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 7

2 - سورة الشورى، الآية 11

3 - سورة الأنبياء، الآية 29

4 - سورة سبأ، الآية 22

5 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 687.

6 - سورة البقرة، الآية 255

7 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 2، ص 128

إن لم يقتن به لا ترجى منه نورا، ولا هداية¹، فعلى الإنسان أن يقر بما أنزل من ربه، والعمل بما سنه من سنن، لأن من وسائل الوقاية من انهيار الشرك، هو إتباع كلام الله، وسنة نبيه المصطفى، حيث يقول ابن العربي²:

فألزم شريعته تنعم بها سورا تحلها صور تزهو على سرور
مثل الملوك تراها في أسيرتها أو كالعرائس معشوقين للبصر

فالشرع الكريم تقوية للإيمان الهادم للكفر، والمحرم للابتداع في دين الله - تعالى -
لقوله: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾³، فبوحيه - سبحانه - الذي به حياة الأرواح، المنزل على من يشاء من عباده
ووجده صالحا لتحمل رسالته الداعية لمعرفة - سبحانه -، وتوحيده لصفاته⁴، لذا أشار
ابن العربي إلى أن من مظاهر عدم الشرك هو شكر الله - تعالى - على نعمة الإيمان به
وحده، معبرا عن ذلك قائلا: « فأشكره على ما عندك »⁵.

حرص "الشيخ الأكبر" على أن يكون الإنسان حريصا في كل ما يحيط به، مخافة
الحرام، أو ارتكاب ما فيه شبهة، لأن الشرك خفي، وكامن يقع فيه الكثير من الناس دون أن
يشعروا، ما جعله يعتبر التورع قاعدة دينية هامة في حدوث التجلي، وبه تحمى كل المسائل
عن طريق اللطف الإلهي، بعيدا عن كل منافذ الريب⁶، فيقتنع الإنسان بفضل هذا المعيار
بما أعطاه خالقه - تعالى - مؤمنا بنقصه، وحاجته إليه لأنه كما قال ابن العربي ليس:

1 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 5، ص 132.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 292

3 - سورة النحل، الآية 2

4 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 435.

5 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 15

6 - المصدر نفسه، ص 31

« للعبد صولة إلا بسلطان سيده، وله الذلة، والعجز، والمهانة...من نفسه»¹، وما عليه حسب الشيخ الأكبر إلا العمل بالبيت الموالي²:

فالحمد لله لا أبغي به بدلا وإنما الرزق بالتقدير مقسوم

تأكيدا منه على أن تكون وحدانية الخالق مبنية على التقوى كونها أصل كل شيء³، فتمكن صاحبها من توحيد الله بالعبودية، والخضوع إليه خضوعا تاما، يشمل عدم الشرك به، لذا كانت الدعوة إلى تقوى الله مسبقة بضرورة التوحيد الذي عبر عنه ابن العربي في فتوحاته بقوله: « فأنظر الكل في الكل، فالعرش مجموع، فالواحد ليس العدد، وهو عين العدد، أي به ظهر العدد»⁴، معبرا في البيت التالي قائلا⁵:

قد جمع الله في كل منقبة فهو الكمال الذي ما فيه نقصان

لذا يكفي أن يؤمن السالك بهذا، ويعتقد اعتقادا جازما، مطابقا، وثابتا بوجود الله، مع توجيه عقله للاعتبار، والتأمل في آيات الله، والعمل بمعانيه، موظفا أوقاته في الصلاة التي تعتبر عنده ليس فقط صلة بين العبد وربيه، بل قبل كل شيء هي صلة بين الرب وعبده⁶، فيدرك بذلك قيمة الخلوة، التي لا تتجح إلا بالسهر، الذي كلما داوم عليه السالك يرى من الخير ما شاء الله - تعالى-، كثمرة لقيامه، واشتغاله به - سبحانه- دون غيره من شواغل الدنيا⁷.

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 260

2 - المصدر نفسه، ج 3، ص 218

3 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 351.

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 284

5 - المصدر نفسه، ج 3، ص 313

6 - المصدر نفسه، ج 3، ص 35

7 - المصدر نفسه، ج 4، ص 259

3- ضابط الزهد

لا يتجسد هذا المعيار إلا بالإعراض عن الدنيا، وترك الاغترار بها، مع التركيز على حسن العمل، بالانصراف عنها¹، فمن كان متمسكا بالشريعة، موحدا بالله فصل بينه وبين شهوات الحياة، وغفلاتها، بإخراج حب الشيء من القلب، ورفضه من اليد، فيكون العبد المؤمن عارفا يرى من الأسرار ما لا يرى للناظرين لأن قلوب العارفين لها عيون، فلا تغيب عنها أسرار المعاني، وأنوار التجليات²، لذا أكد "الشيخ الأكبر" بواجب الحرص على ربط النفس بالشرع، وترويض الجسد بالعبادة حتى يمتنع عن الالتفات عن الدنيا النفاثة عاشق، فتأخذ من دينه ما يحجبه عن الجنة، ويقربه من النار³، لذا كان على المرء أن يصرف عمره في ما أوجب الله عليه، أن يصرفه فيه شرعا⁴، تأكيدا من الشيخ الأكبر على أن الهوى، وما فيه من عوائد يطمس القلوب، ويغييها عن جواهر الأشياء، فلا يزول إلا بزهدا المفاقر للذات، والغفلات، المزيجة لغشاوة الحجاب عن الأبصار، فتدرك النفوس المطلب الأول من وجودها المائل في عبادة الله، وطاعته، مع الوثوق به، فيقول ابن العربي⁵:

إذا ضاق بك الأمر

فكر في ألم نشرح

فعرس بين يسرين

إذا ذكرته فافرح

فالذات الزاهدة روحها غير مذلة بطلب الدنيا، والحرص عليها، مسلمة، موحدة لا عيب فيها⁶، فكان العزيز عند ابن العربي من لا يريد بعز الدنيا أن يكون فيها ملكا، إلا أن

1 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 269.

2- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 77.

3- ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 4

4- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 351

5- المصدر نفسه، ج 2، ص 191.

6- أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 120.

تكون صفته في نفسه العزة، وكذا الذلة¹.

تظهر آثار الزهد على النفس كلما ماتت عن هواها، وشهواتها، من سكون إلى الله - تعالى - والتأنس بمشاهدته²، زيادة على ذلك فمن نتائج الزهد، والانقطاع، ورود الحكمة على لسان المتزهد، وقلبه، لأن من أتقن بما أمره خالقه لإمامه بعلم الله، وأحكامه، يصفى قلبه، ويتطهر سره، مصداقا لقوله-تعالى-: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾³، وحسب تفسير "ابن كثير" فإن الحكمة هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الخالق في القلوب من رحمته، وفضله⁴، لذا كانت التقوى أساس أهل الطريق، ومنهاج أهل التحقيق بها وصل الواصلون، لكونها معيارا دقيقا تقاس به مطالب المرء من هذه الدنيا التي كلما زادت عن ما يطلبه أعمى الله عين قلبه لميوله إلى شواغلها، وبعشقه إياها سلبه الله حلاوة الزهد، والتورع⁵، الذي هو عند ابن العربي مفعل أساسي للأول، إذ يقول: « الزهاد الذين كان الورع سبب زهدهم»⁶، لأجل هذا أكد "الرازي الفقيه" على أن حب الزهد في الدنيا طلب في الفراغ، وحب الحكمة طلب لصلاح القلب، وحب الخلوة طلب لمناجاة الرب⁷.

يصلح الزهد، وتشتد التقوى بانكباب المتعلم على طلب العلم النافع، لذلك كان من أراد الله به خيرا رزقه حسن القصد فيه⁸، حتى يزيل الجهل عن نفسه، ويحي دينه بإعلاء صوت الإسلام، فيتورع في كل ما يقوم به من قول، وفعل، ما دام أن حال الإنسان في الآخرة على

1- ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 351

2 - أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 264.

3 - سورة البقرة، الآية 269

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 700.

5 - أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 1، ص 146.

6 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 229.

7 - الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج 3، ص 396

8 - أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 345.

قدر حاله في الدنيا¹، فيترك حظوظه من جميع ما في الحياة من جاه، ومال، وحب المنزلة عند الناس، وحب المحمدة، والثناء²، فحسب "الشيخ الأكبر" من انكب على حطام الدنيا وهو في غنى عنه من رياسة، وتمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز حُرْم من مشاهدة الحقائق، لانشغاله بما اندفع، وتلهف عليه³، فالزهد الحقيقي يكون فيما لا ينفع الدين، والدنيا، والسعي في كل ما ينفع مصداقا لقوله- تعالى-: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾⁴ على طاعة الخالق، وعن المعصية، وطمع النفس عن الشهوات المضرة بالدين⁵ ﴿أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁶، والآية الكريمة قسم من الرب - عز وجل- بأنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي يتجاوز عن سيئها⁷، فحسب "الشيخ الحاتمي" من كان « في زمان حياته في الدنيا في صورة الميت، حاله هو الميت، فجعله الله في حال موته كمن حاله الحياة جزاء...»⁸ على طهارته، واستقامته في الدنيا، ومتاعها، بالاكْتفاء بما ينفعه في معاشه، ويطمئنه في معاده دون أن يتأثر بزخرفها، ونعيمها الزائل إيماناً منه برحيله عنها تصديقا لقوله- تعالى-: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁹، فذكره

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 350.

2 - الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 3، ص 402

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 226

4 - سورة النحل، الآية 96

5 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ص 449.

6 - سورة النحل، الآية 96

7 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 601.

8 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 353

9 - سورة الحديد، الآية 20

- تعالى - المُهين لأمر حياة الدنيا، والمحقر لها من خلال تأكيده على أن مثل هذه الحياة الفانية كمثل الزرع المصفر بعد ما كان مخضراً، فالدنيا أيضاً كذلك تكون أولاً شابة، ثم تضعف لتكون عجوزاً واهنة، لذا لما كانت الدنيا زائلة لا محال، والآخرة كائنة ولا بد، حذر المولى - عز وجل - منها، ورجب فيما فيها من خير¹.

يستعين الزاهد حسب ابن العربي بالصبر الذي يجنبه الإسراف في الملاذ، لأن الحلال عنده قليل لا يقوى² على ذلك إيماناً منه بأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره³، محذراً من الشبع المفرط⁴، وكل الحواجز التي تحول بينه وبين عبادة خالقه⁵، لهذا كان لأهل الله حسب ابن العربي أربعة موتات، موت أبيض وهو الجوع، وموت أحمر وهو مخالفة للنفس الشبيهة بحمرة الدم، فمن خالف هواه فقد ذبح نفسه، وموت أخضر وهو طرح الرقاع في اللباس حاله كحال الأرض مختلفة النباتات، والأزهار، وموت أسود وهو تحمل الأذى، وفي ذلك غم، وظلمة للنفس الشبيهة في الألوان بالسواد⁶، ترويض للنفوس، التي بمجرد أن تألف الشهوة يصعب قلعها⁷ بعد ذلك، ولا يسهل إلا بالصبر الذي وصفه بالضياء⁸، لما فيه من فائدة تعود على المرید، فتتهون عليه زينة الحياة، لأن أساس هذا الطريق هو اللقمة الحلال⁹، مترفعا عن ما يفسد العقل، ويلهي القلب عن ذكر الله¹⁰

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 24

2 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 12

3 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 35

4 - ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 6

5 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 14

6 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص ص 145-146

7 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 12

8 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 145

9 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 11

10 - المصدر نفسه، ص 22

- تعالى - عملا بقول: الرسول - صلى الله عليه وسلم - «...وما أزداد عبد من السلطان قريبا، إلا إزداد من الله عز وجل بعداً»¹.

ترتبط قيمة الزهد عن ابن العربي بمنافع في الدنيا، وطمأنينة في الآخرة، فالتى هي في الدنيا تبرز في قدرة المرء على تحمل مشاق الحياة، موافقا في ذلك المأثور في الزهد هو: « إن وجدنا أكلنا، وإن فقدنا صبرنا»²، ولا يصدر هذا إلا عن نفس راغبة في العمل الصالح الذي يكسب الثناء، والثواب في الآخرة، ما دام أن الإنسان حسب الشيخ الأكبر يجني ثمرة غرسه³، ويظهر حرص ابن العربي على الزهد من خلال قوله: «...ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العز في نفسه»⁴، تأكيدا منه على وجوب تقوى الله في الأفعال بجعل الدنيا مستودع زهرة أعماله، والآخرة مستقر ثمرتها⁵، حتى يزن الإنسان مطالبه التي كلما كثرت جعلت من صاحبها مهموما، ممقوتا عند ربه⁶، فما الشهوة إلا نزوع النفس إلى ما تريد، لذا حثت الشريعة على تلاوة القرآن، وطلب العلم، مادامت الذات البشرية كلما اختلت بوسواسها، وخيالاتها، ولا يكون عندها من العلم ما تدفع به ذلك لعب بها إبليس أي ملعب⁷، وهذا ما يبرر قول ابن العربي في رسائله أن العلم روح العمل⁸، عملا بقول: الرسول - صلى الله عليه وسلم - « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»⁹، المغير للمفاهيم، والمعدلة للسلوك، والحامي للنفوس من السقوط في مغريات الدنيا، وشبهاتها.

1 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مج 14، برقم: 8836، ص 430.

2 - القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 28

3 - ابن العربي، الأنوار، ص 4

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 351

5 - ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 13

6 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 31

7 - أبو الفرج ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 313.

8 - ابن عربي، رسائل ابن عربي، ص 300

9 - البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، مج 01، (03) كتاب العلم، (13) باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،

برقم: 71، ص 38

ثانياً: غايات أخلاق التوحيد عند ابن العربي

1- حفظ العقل

يهدف ابن العربي من ربط العقل بالأخلاق إلى غاية بارزة تكمن في بلوغ سلامة العقل، من خلال هذا الربط كضمان للعقل المغذى بقيم الأخلاق الشرعية، وآدابها، من تأدية وظيفته على أكمل وجه علماً أن أسباب هذا الكمال يرد إلى الفطنة، والصفاء الحاصل بالأخلاق، فتقوى قدرته على التمييز، والفصل بين الحسن في الأفعال، والقبيح بجلب المنفعة، ودفع المفسدة، والضرر الحسي، والمعنوي، بالنظر في العواقب¹، لذا فالعقل هو ما تحصل به النجاة كما قال الله - تعالى - عن أهل النار: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾²، وهو اعتراف من الكفار بعدم أهليتهم للرشاد، فنفوا عن أنفسهم طرق الهداية، والسمع لما أنزله الله، وجاءت به الرسل، وعدم اعتمادهم العقل الذي يوقف صاحبه على حقائق الأشياء³ فالإنسان أكثر من مجرد كائن مادي، وتمييزه هذا يعود إلى عقله القامع لكل شهوة داعية للذة العاجلة⁴، بالنظر في العواقب، فجعله الله - سبحانه وتعالى- خليفة له بالأرض، فمهمة الإعمار، والخلافة تبرر حتماً ضرورة ربط العقل بالأخلاق حتى ينبض، فيبذل كل ما في طاقته، وقدرته، للحفاظ على هذه المسؤولية الربانية التي أنيطت إليه، وكلف بها كونه عاقلاً كما عبر ابن العربي⁵.

تفهم مهمة خلافة الإنسان في الأرض من زاويتين، الأولى تحمل في طياتها وجوب محافظة الإنسان على هذه الملكة، والثانية تقرأ على أنها تحفيز للعقول على ضرورة تجنب

1 - ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 9، ص 22،

2 - سورة الملك، الآية 10

3 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 876.

4 - أبو الفرج ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 2003، ص 35.

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 228

الغوص فيما يتجاوزها، ويفارق حسّها، لأن الغيب خفي المدارك، بعيد الغور¹، يعجز العقل السليم عن بلوغه، فما بالك السقيم، لذا كلما صح العقل، ونطق بالإيمان تراجع عن فضوله، في اقحام نفسه في هذه المناطق البعيدة، الغريبة عنه، وكأنها ليست من هذا العالم، الذي هو عالم الدنيا²، ليتعايش مع عالمه فيبدع فيه ولا يكون هذا إلا بتهذيبه بأخلاق الدين، المانعة لـصرف فرص العمر، وجهده في غير عبادة الله، كما أكد "الشيخ الأكبر" تأهباً لما وعد، وتأملاً لما به توعد³، فالعقول البشرية إذا ما أطلق لها العنان، لا تقف عند حد، ولا تعرف الموانع، فالواجب إذن التسليم بأن مجالها المحسوس المادي، المباح بأن تبحث، وتنقب فيه بما يسمح لها بتطوير ذكائها، واكتسابها معاني موحدة، موسعة لنطاق المعرفة، المحققة للنتائج السليمة، قاعدتها التوحيد بالله لأن من حاول فهم الغيب بالعقل كما تفهم مسائل الدنيا المعقولة فقد أراد منها ما ليس في قوتها⁴، لأن الغيب مطلق⁵، فتتولد في هذا الجو الحذر شخصية سوية متكاملة، تتميز بصحة نفسية سليمة، تستلهم قوتها من التوحيد بالله، وتوجه طاقتها إلى عبادته، فيحمي الإنسان من الهم، واليأس، والانفعالات، والتوترات النفسية الشديدة التي تعيق وظائف العقل، فيصلح بهذا صورة ليكون شرطاً في وجود النفس، كما وضح ابن العربي⁶.

أكد "الشيخ الحاتمي" على أن نجاح الإنسان في ربط عقله بالأخلاق، لا يصدر إلا من شخص مؤمن، ومقدر لقيمة المهمة التي أوكلت إليه، لاعتقاده السليم بأن الخلق مكلف⁷، وأنه مخالف لباقي الكائنات، فالعقل الذي استحق الإنسان أن يكون به خليفة في الأرض،

1 - ابن العربي، رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، ص 7

2 - المصدر نفسه، ص 7

3 - ابن العربي، كتاب الكتب، ص 11

4 - ابن العربي، رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، ص 7

5 - ابن العربي، كتاب الجلالة وهو كلمة الله، ص 3

6 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 344

7 - ابن العربي، كتاب منزل القطب ومقاله وحاله، ص 10

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

وسخرت له جميع ما في السموات، والأرض، كتحفيز على النظر إلى آلاء الله بعين الاعتبار، واستدلال، لا بعين غفلة، وإهمال¹، لقوله - تعالى - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْنِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾²، أين أخبر - تعالى - عن فضله بعباده، وإحسانه إليهم بتسخير البحر بأمره، حتى تُسيّر أنواع التجارات، والمكاسب، وهو ما يستحق الشكر العظيم حتى يُجزى بالثواب³، وأيضا ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁴، أين بين - تعالى - أثرا من آثار قدرته المتمثل في إخراج الموتى من القبور بعدما كانوا رفاتا، وفي هذا حث على التذكر، والتفكير في آلاء الرحمن⁵، وفي هذا السياق يقول ابن العربي: « من أراد أن يعرف لباب التوحيد، فليُنظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب...الذي وحد الله به نفسه»⁶، فالعقل الذي أنيطت له هذه المهمة هو حتما عقل مهذب، سليم، صالح كشرط في العمل، لذا كان تحريم الخمر في الإسلام من تمام حفظ العقل، والدين⁷، راحة لمتعاطيها، وصونا لوظائف عقله، لقوله - تعالى - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁸، وذكره الكريم يذم فيه هذه الأشياء القبيحة، مخبرا أنها من عمل الشيطان، ولا يكون الفلاح إلا بترك ما

1 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 292.

2 - سورة الجاثية، الآية 12

3 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 776.

4 - سورة الأعراف، الآية 57

5 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 292.

6 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 88.

7 - السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ص 1855.

8 - سورة المائدة، الآية 91

حرم الله من خمر، وميسر، وأنصاب...لأنه ليس هناك أقبح من إثم يجعل صاحبه من أهل الشر، والعصيان، منقادا إلى مصائد الشيطان كما تتقاد البهائم الذليل إلى راعيها¹.

إن حرص الشرع على حفظ العقل مأخوذ من مجموعة تكاليف، التي تحفظ الضروريات الأخرى من حفظ، مال، ونسل، ونسب...لأن الذي يفسد عقله لا يمكن أن يقوم بحفظ تلك الضروريات، فحفظه يفضي حتما إلى حفظ النفس، لذا كانت حمايته من الكليات التي عملت الشريعة الإسلامية على مراعاتها، لانعدام استقامة الكون إلا به بعد حفظ الدين، وحفظ النفس حيث بين الشاطبي (ت 790 هـ) بأن حرمة حفظ النفس كلي يندرج فيه إجمالا حفظ العقل نفسه، وكذا حفظ منفعته، لأن ما يزيل منفعته ولو لحظة منهي عنه²، لذا دعا ابن العربي على غرار ما فعل الكثير إلى ضرورة اتباع شرع الله لأن العقل خلق سادجا، ومعايير الدين الأخلاقية تتسجم مع الفطرة البشرية، وتوافق كل عقل نير، لكونها أصلا من أصول المنهج الرباني، لا مجرد فضائل فردية، أو آداب اجتماعية بل أساسا قويا يولد الاستقرار، والثبات، في حياة الأفراد يمنع من تشكيل هذه الأوامر بما يوافق المصالح الخاصة، والأهواء المريضة، لذا نوه "الماوردي" في كتابه "أدب الدين والدنيا" على لزوم حفظ العقل عن الهوى³، حماية لسلامته التي بها يكشف عن المفسد، والعاقل إذا ما عرفها نفر منها، وكف نفسه عن ذلك.

يعتبر العقل قوام كل فعل تتعلق به مصلحة، واختلاله يؤدي إلى مفسد عظيمة⁴، لذا خص الإسلام العقل باحتكام أوامره إليه، فكانت كل سعادة ناتجة عن صلاحه، ونفاذ بصيرته، وكل شقاء، وضلالة من إهمال العقل، وانطفاء نوره بالهوى، ومرض الجسم جراء

1 - السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 243.

2 - الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات، مج 3، ص 237.

3 - الماوردي أبو الحسن، أدب الدين والدنيا، ص 98.

4 - الزركشي عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، ج 5، مراجعة عبد القادر عبد الله العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، الكويت، 1992، ص 209.

الإفراط في الملاذ، وجميع المسكرات التي تضره، وتزِيل العقل بإلغاء وجوده، ما جعل ابن العربي يسلط الضوء على خطر الدنيا، مذكرا بالرحيل فشبها بأنها منزل من منازل المسافرين، وأن كل من لم يتسلح لها بضبط نفسه بالعلوم، ومكارم الأخلاق، والترفع عن الشهوات الزائلة لا سبيل له للسعادة الأبدية¹، لذا سن الشرع أحكاما بارزة، واضحة لحفظ الجسم، وسلامته تأمينا لكمال العقل مادام أن العقل السليم في الجسم السليم، لذا حث ابن العربي اتباع أوامر الدين بإعلان الإيمان بالقرآن الكريم، وتطبيقه لما فيه هداية، ورشد لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾²، تأكيدا على شرف القرآن وجلالته، كونه أعلى، وأعدل من العقائد، والأخلاق لذا كان من اهتدى بالقرآن أكمل الناس، وأهداهم في جميع الأمور³، فهو حافظ للأموال، والأعراض، ومانع للحرام، والأذية، مجنب العقل كل ما يذهب لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « كل شراب أسكر فهو حرام »⁴.

حرص ابن العربي على ضرورة أن يتشبث المرید بكتاب الله، وسنة نبيه، حتى يسد كل منافذ الشيطان، ويقطع كل أوصال الشر، بمعرفة كيف يتجنب الحرام رغبة في التقرب من الله - تعالى -⁵، وحفاظا على قداسة العقل، ويفعل هذا التمسك حسب "الشيخ الأكبر" بالانكباب على العلوم الإلهية التي لا سبيل للراحة الدائمة إلا بها⁶، لذا دعا الخالق - تعالى - إلى الاعتبار في أصول دينه، وفروعه⁷، وحسب ابن العربي لا يتوجه إلى لب

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 83

2 - سورة الإسراء، الآية 9.

3 - السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 454.

4 - الترمذي محمد، سنن الترمذي، (24) كتاب الأشربة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (2) باب ما جاء كل مسكر حرام، برقم: 1863، ص 428.

5- Farid-ud-din 'attar, le memorial des saints, traduit d'après A.Pavet de courteille, introduction de Eva de Vitray-meyerouitch, Edition du Seuil 1976, P 242.

6 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 83

7 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 3، ص 294

الأمر إلا العقلاء، الباحثون عن المعاني¹، خشية الآفات، وفوات الأوان² جعل عقولهم مناط التكليف في تحريم ما يفسدها، ويذهبها عن طاعة الله - تعالى-، واتباع سنة نبيه الشريف.

2- تقوى الله

اتخذ ابن العربي من النص الديني منطلقاً في جعل التقوى من أبرز الغايات التي تسعى إليها عملية ربط العقل بالأخلاق، حتى تبلغ الذات سعادتها الكبرى، منها قوله- تعالى:- ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾³، الذين أحسنوا في هذه الدنيا باتقاء الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، جنات عدن ما يشاؤون مما تشتهي أنفسهم، وتلذُّ أعينهم⁴، لقوله -تعالى:- ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾⁵، فكل من كان جامعاً لعلم أصول الفقه يجد أن هذه الآية فيها إيماء، وتنبية على أن سبب نيل هذه الجنات هي تقوى الله - تعالى-⁶، لذا انحصر البرّ في تقواه⁷، وحتى تتجسد هذه الغاية، وتمكن صاحبها من بلوغ السعادة وجب أن تتجمع فيه خصال الخير بالامتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه قصد الفلاح، والظفر بحبهم، ما دام أن الأعمال ترد على أصحابها⁸، فكان العقاب من جنس العمل الطالح، والثواب من جنس العمل الخير، فترفع التقوى بذلك من مراتب العبد البار كونها أساساً قوياً في تكفير السيئات، ومحو الذنوب.

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 282

2 - ابن العربي، كتاب الكتب، ص 11.

3 - سورة النحل، الآية 31

4 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص 517.

5 - سورة مريم، الآية 63

6 - الشنقيطي محمد أمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج 7، ص 706.

7 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 90

8 - ابن العربي، كتاب الكتب، ص 41

يلتزم العبد المتقي بطاعة الله - سبحانه وتعالى - باختياره الأعمال التي يرضي بها الله - تعالى - من خلالها، ويترك المنهي عنها، لذا كان المختار حسب "الشيخ الأكبر" من يفعل أمرا ما إن شاء¹، ويتركه إن شاء، تأكيدا على خضوع أفعاله، وسلوكاته لتحكيم العقل السليم، والصالح صلاح الضوابط الأخلاقية التي تحكمه، عكس من تخول له نفسه ارتكاب المعاصي، وهو عالم بها، وبما يترتب عليها² من جزاء سيء، وقبح كبير في حقه، ممن يأتي على المعصية وهو جاهل بها، وبما يترتب عليها، ولا تصدر مثل هذه الأعمال الشنيعة حسب "الشيخ الأكبر" إلا من نفوس ضعيفة تائهة عن جادة الصواب، فيستنزها الشيطان، ويلحق بها الخسران الأكيد³، لذا حرص ابن العربي على أن يكون المرید المتقي صادقا في تقواه مع خالقه - سبحانه-، مؤكدا على أن من مظاهر هذا الصدق الطاعة التامة لله - تعالى- مع وجوب الخشية لما فيها من منافع عظيمة تعود على المرید، لأنها تحصل بالوقوف عند حدود الله، مع اليقين التام على وجوده - سبحانه-.

يعتبر الشك عند ابن العربي نوعا من الشرك⁴، ولا يزول إلا باليقين، والذي كلما توفر أصلح العبد ما بينه، وبين خالقه، فالإيمان لا يصدر إلا من تقوى الله، والخوف من معصيته، تأكيدا على حقيقة قاطعة أن الإنسان ما خلق عبثا إنما ليوم مشهود يفرق فيه بين الشقي، والتقي⁵، لذا تدرّ التقوى على صاحبها منافع كبيرة، وخير كثير في الدنيا، والآخرة، فبها تُفْرَجُ المحن، وتُحَرَّرُ النفوس من المضائق، فيعيش المؤمن التقي مرتاح البال، نقي القلب لِمَ تَمَكَّنَه من دفع وساوس الشيطان التي تفرق بينه وبين مالكة - سبحانه-، فيعمل جاهدا على إظهار صلابة هذا التمسك، وصدق الإخلاص الذي به يسقط المرء من قلبه أي

1 - ابن العربي، كتاب المسائل، ص 28

2 - الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 65

3 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 14

4 - ابن عربي، رسائل ابن عربي، ص 46

5 - ابن العربي، كتاب الكتب، ص 38

ربانية لغير الله - تعالى¹، فيستمر في طاعته قدر الإستطاعة، قبل رحيله من هذا الوجود²، مع صدق المحبة، فيجزى من ربه بالطيبات وسداد التوجه، ويعود الفضل في ذلك إلى العقل الراشد المميز، الراغب في تقوى ربه - جل وعلا-.

تستجيب النفس للتوجيه المتكامل، والصحيح للعقل السليم، فتتفوق في التعامل مع ما يحيط بها من مثيرات بما يوافق أحكام الله، فيثبت فؤادها آجلا وعاجلا، مصداقا لقوله - تعالى-: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾³، ما يجعلها شديدة الحرص على مجاهدة هواها ما استطاعت معتمدة على تقوى الله في مراقبة أفعالها فيما أمر به، ونهى عنه⁴، حيث يقول ابن العربي⁵:

إذا كنت في الطاعة راغبا فلا تكسها حلة الآجل

تأكيدا منه على ضرورة الاستقامة في طاعة الله، والدوام عليها قبل فوات الأوان، من خلال قراءة القرآن ليلا، ونهارا لما في ذلك من نصرة تعقب تلاوته، مزيلة للحجاب، رحمة من الله بعباده الأتقياء⁶، وعن هذه الاستمرارية في قراءة القرآن يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقرأ به نسيه»⁷، فالمتقي رجل أثر ربه على خلقه، وآثر الآخرة على الدنيا، ولم تمنعه المطالب،

1 - ابن العربي، الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار، ص 15

2 - ابن العربي، كتاب الكتب، ص 10

3 - سورة الطلاق، الآية 1

4 - القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 20

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 87

6 - المصدر نفسه، ج 4، ص 35

7 - مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، (06) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (33) باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهية

قول:نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها، برقم: 789، ص 209-210

والمطامع من النظر ببصر قلبه إلى المعاني الحقيقية من وجوده، فيعلم أن شفاؤه بالقرآن الكريم، وراحته في الموعظة الحسنة، فينكب المتقي حسب "الشيخ الأكبر" على محاسبة نفسه بدل من أن يصب هذه على غيره من بني جنسه¹ حفاظا على النفس بجعل إيمان قلبها مرشدا لها، كما توجه العين الجسد²، بدل الانجراف وراء الترهات، والضياع في مسالك الغيبة، والسوء، لأن لكل شيء له عوضا إلا طاعة الله فما من شيء ينوبها، حيث يقول **عمر بن عبد العزيز:** «أيها الناس إتقوا الله فإنه ليس من هالك إلا له خلف إلا تقوى الله»³.

جعل ابن العربي من العقل الصالح، المتخلق شرطا في وجود النفس، لإيمانه بأن زكاتها مشروطة بالأخلاق الصالحة، المغذية للنهي الضابطة له عملا بقوله - صلى الله عليه وسلم- لما سئل عما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله، وحسن الخلق»⁴، ليتوافق بذلك "الشيخ الأكبر" مع "الزمخشري" عندما بين في "كشافه"، أن المعنى من قوله:- تعالى- ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁵، تعني أن قضية اللب تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباب فكأن لا لب له⁶، وهذا ما يبرر حرص ابن العربي على ربط العقل بالشرع الكريم كتاب، وسنة، لأنه لا يعرف الخير، والشر إلا بهما⁷، فيتورع الإنسان مع الله بترك كل ما يثير شكوكه حول حقيقة وحدانيته مخافة عقابه، ويطيع نبيه الكريم حتى تضبط النفس فتخاف من عقاب ربها، فتقر بالعبودية لله وحده مع وجوب الوفاء له-سبحانه-، إضافة إلى معاملة رسله بالافتداء⁸.

1 - ابن العربي، كتاب القرية، ص 10

2 - ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 1

3 - السيوطي جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 1، ص 136

4 - الترمذي محمد، سنن الترمذي، (25) كتاب البر والصلة، (62) باب ما جاء في حسن الخلق، برقم:2004، ص 454.

5 - سورة البقرة، الآية 179

6- الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 120

7 - ابن العربي، الوصية، ص 4

8 - المصدر نفسه، ص 6

أوجب ابن العربي على الإنسان المتقي أن يطلب القرية من خالقه - تعالى - لأنه من يأنس بالله لا ترعبه مهالك الدنيا، وصعابها¹، فيتوسل إليه - سبحانه - بحضور الإيمان، وصالح الأعمال، فيطبق ما في الدين من أحكام، ويلتزم بما فيه من سنن، ومن ثم يتوكل على خالقه في العمل بما شرعه له في القوة، والضعف، تأكيدا على أن التقوى الصادقة تظهر في الاعتصام بالله² لأن ما سوى ذلك تفرقة، والتي هي من أحسن أوصاف المبتدعة، ومن فعل ذلك عدّ خارجا عن حكم الله، وعن جماعة أهل الإسلام³، فتقوى القلب لا تكون إلا بتيقن العبد بأن الرازق، والواهب، والمانع، والنافع، والمحيي، والمميت هو الله دون غيره - سبحانه -.

تفضي التقوى بالمريد إلى الصبر على الشدائد، والمحن، ويظهر صدقه حسب ابن العربي، وجديته عند الصدمة الأولى⁴، والقدرة على مواجهة صعاب الحياة مع الاعتبار في النعم، والنقم، والاتعاظ بها، فيتفطن العبد الصالح بذلك على ضرورة طاعة خالقه بعيدا عن مصارع الخطأ، والزلل، ما دام الرجوع إليه حقا، مطبقا واجباته - سبحانه - مع شكره الدائم، الذي يعتبر صورة من صور العمل الصالح به تثمر زكاة النفس، وتطيب، بالتزامها حدود الله، والرضى بها، لذا تكون تقوى الله عاملا جوهريا في بياض الوجه، ورضى الرب، ورفع الدرجة، وحماية العبد من مقت الله، وعقوبته، وسخطه⁵ لقوله - تعالى - ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾⁶، لذا كان الاجتهاد الصادق في التقوى حسب "الشيخ الأكبر" من كان منصبا

1 - ابن العربي، كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال، ص 2

2 - ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 6

3 - الشاطبي أبو إسحاق، الإعتصام، مج 1، ص 198

4 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 5

5 - الحنبلي أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب، ج 19، تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1998، ص 83.

6 - سورة التغابن، الآية 16

على تصفية النفس، وتنقيتها من الرذائل، فتعزم الذات البشرية على مفارقة الحياة، بعدم الاغترار بها، والتحذير من شيطانها، وأتباعه مع اجتناب كل ما يزين، ويحسن شواغل الدنيا، ومعاصيها، فتتولد لدى المرء اليقظة، من الشحّ الداعي إلى الخطر، مجنبا ذاته من كل دروب الترف، والإسراف في الملبس، والمشرب، والمسكن¹، ناهيا عن كثرة الأكل حفاظا على نشاطه، واستمرارية لعبادته، ومراقبة جوارحه، فلا يرسل شيئا منها عبثا²، كالصوم الذي يؤول بصاحبه إلى تقوى الله، لما فيه من حماية للنفس، وكسر للشهوة³، استحياء من الخالق - تعالى-، فيتمكن الإنسان من ترك كل ما لا يرضي الله - جل وعلا-، واصلا أرحامه لأنها من الرحمان، وبها وقع النسب بينه وبين الله، جامعا لخصال العفو، والصفح، والمغفرة على من أساء له، وظلم، حافظا لسانه عن الكذب، غاضا لبصره عن المحارم، ولا يكون هذا إلا بالإعراض عن القوم الذين يبنون علاقتهم على التكلف بينهم، والغرور، والحسد، والخداع، والغش، والنفاق.

3- الكشف

يهدف المرید من كل المساعي الصالحة التي يقوم بها إلى بلوغ الكشف، والذي ثبت أنه حاصل عند أهل الله، أصحاب القلوب الصافية لما غلب عليها سلطان الوجد، وحالة الفناء بالوجود⁴، فهذه المعارف، والمعاني لا تقررها أفهام أهل الفكر إنما تكون برفعة أخلاق أصحابها، فيجازيهم الله - تعالى- بإيجاد مخرج لهم من مضايقتهم، ويفرج عنهم، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون من فيض اسمه الوهاب، عن طريق الوهب لا الكسب، والاجتهاد، لذا كانت الهيئة أصلها من الوهب، ومعناها إيصال الشيء إلى الغير بما ينفعه، سواء أكان

1 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 12

2 - ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 14

3 - الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 1، ص 237

4 - ابن العربي، كتاب المسائل، ص 6

مال، أو غير ذلك¹، بهذا يكون الإطلاع على الحكمة الإلهية، والرؤية الصادقة عند ابن العربي مرهونة بالطهارة، والتقوى، لأن الذات بعد تطهيرها من الشرّ يتسنى للمريد الوصول إلى المعرفة الحقيقية².

ربط ابن العربي بين ما يتلقاه المرید بصدق تقواه مع ربه، لإيمانه بأن أي رحلة خارج حدود الله تعرض صاحبها إلى الخطأ أو حتى الخداع³، حتى يثبت أن الكشف هبة ربانية، وملة توضح للمؤمنين عظمة نعم الله بعباده الأتقياء، برهانا على أن للهداية ثمنها هو العطاء الإلهي من جهة، والرضا من جهة أخرى، فالحرص على طاعة الله - تعالى - تمنح العبد علما، ونورا بالارتقاء في العلم اللدني، خاصة إذا ما توفر فيه شرط الإخلاص في العمل من صبر، ورضا، ومحبة، وشكر، ورجاء، فيغترف نتيجة ذلك من الوهب الإلهي.

إن دوام طاعة المرید تثبته، وتطمئنه لما يظهر له نور الكشف، لأن من داوم على ذكر الله لم تصبه آفة⁴، تأكيد من "الشيخ الأكبر" على التتالي الموجود بين تمسك الإنسان بالأخلاق، والضوابط الشرعية، وبين العطاء الإلهي، فبالكشف يدرك السالك حقيقة الوجود إدراكا صحيحا، الجامع للاعتقادات الصائبة، والتوجهات السليمة، والمعرفة المقدسة المؤهلة للصعود في درجات الكمال، والهدوء، والاتزان الحاصل بالشفاعة الإلهية كجزاء على تقوى المرید، وتورعه مع حدود الله، فيتمكن من الانتقال من مقام الشك، والضياع، إلى مرتبة اليقين الذي تتلذذ فيه الذات البشرية بالراحة التامة مع خالقها -تعالى-، وهي متعة لا يذوقها إلا من صقل، وأصلح قلبه من كل الشوائب، والرذائل، فهذه الطهارة الظاهرة في صدق

1- أبو البقاء الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد ووضع عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1998، ص 960.

2 - Rachida Chih, saieté, maitrise sprituelle et patronage : les fondements de l'autorité dans le soufisme, archives de sciences sociales des religions, N° 125, 2004, P 82.

3- Vincent Derkaoui, les Joyaux de l'orient, le maitre soufi et l'adepte, Edition Ossmi, Mais 1994, P 15.

4 - ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 10

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

الإِنْفَاقِ فِي السَّرَاءِ، وَالضَّرَاءِ، مَعَ الْإِقْرَارِ بِفَضْلِ اللَّهِ - تَعَالَى-، وَنَعْمِهِ، تَعَجَّلْ وَعَدَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ- بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَتَوْسِيعِ الرِّزْقِ لِعِبَادِهِ الْأَتْقِيَاءِ لِقَوْلِهِ- تَعَالَى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۦ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾¹، المؤكدة بأن من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهده إذا عاهد من ذكر أو أنثى، وصدق بثواب الله الذي وعد أهل الطاعة، وبوعيد أهل المعصية، أحياء الله حياة طيبة بما كان يحسن²، فالكشف حساب حسب نوع العمل، والإخلاص فيه، لذا وجب على الإنسان أن ينظر أين يضع نفسه من هذا العطاء.

أسس ابن العربي علاقة قوية بين تلقي العلوم الإلهية من الله - تعالى-، وما يجب أن يكون عليه المرید المستقبل لتلك التجليات من استعداد تام بترك الدنيا عن مجاهدة من جهة، وعن طريق صونه، وحمايته لقلبه من كل ما يضعفه، ويفتته، ويشوه صفاءه، فيبعده عن معرفة الله من جهة أخرى، دون أن ينسى الزامية إخضاع الحواس لأحكام العقل المضبوطة بالأخلاق الشرعية، فتشرق عليه الأنوار الإلهية دون واسطة أي عن طريق الإلهام³، وهذا ما يبرر جدية ابن العربي في ضرورة توفير شروط، وأعمال ظاهرة وباطنة في المرید⁴ حتى يصون جسده، ويحمي قلبه فكانت أمهات للخير حتى يتهيأ لتلقي الكشف، فيعلمه الله من لدنه بغير واسطة، ولا بطريق التعليم اللفظي، والتدريس القولي⁵، فتتجلى له الحقائق الصادقة التي يبلغ بها المنازل العالية لقوله- صلى الله عليه وسلم-: « من عمل

1 - سورة النحل، الآية 97

2 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 4، ص ص 555-556.

3 - النسفي أبو البركات، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج 2، تحقيق سيد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت، ص 646.

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 252.

5 - الخلوّاتي إسماعيل، تفسير روح البيان، مج 5، ص 272

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»¹، فنجاح الإنسان في تصفية قلبه من الشوائب، والدنائس، بتفريغ من الصوارف، يوجهه بعد انتهاء عملية التطهير كي يقابل به حضرة الرب، فتفيض عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية²، ليكون الكشف بذلك عند ابن العربي خلاصة الطاعة الخالصة، والعبودية التامة، والمتواصلة مع الله - تعالى-، والوفاء لأنبيائه، ورسله ببذل الجهد في الإقتداء بهم، ما يسهل على العبد تلقي العلوم اللدانية من ربه - سبحانه- من غير فكر، ولا استنباط إنما هو فتح من الله على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه - جل وعلا-، واتباعهم لما يحبه مادام أن المعرض عنه يصرفه الله عن العلم، والهدى³، لقوله - تعالى-: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾⁴، الدالة على أن من زاغوا، وعدلوا، وجاروا عن قصد السبيل، أزاع الله قلوبهم، وأمآلها عنه⁵.

يفتح الله - سبحانه وتعالى- على عبده الصالح، والمستعد استعداد قلبه الصافي، وهمته العالية بالتجلي⁶، لا عن طريق العقل، والبحث، لذا يحذر "الشيخ الأكبر" من تضييع الوقت فيما لا ينفع، ولا يفيد قبل أن يدرك الموت الإنسان، لذا وجب على المسافر في هذا الطريق أن يأخذ بعيدا عن هذا العالم الحسي، والمادي حتى ينسلخ من ظلمة ذلك العالم⁷، ليستريح بعد ذلك في عالم صادق لا هم للمادة الزائلة فيه، علما أن علم المشاهدة يقرب الذات من خالقها دون أن تدركه، لأنها ذات غير محددة، ولا معلومة الجوهر، «محكوم

1 - أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 10، مطبعة الخانجي ودار الفكر، د ط، 1996، ص 14-15.

2 - أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مج 4، ص 288

3 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 13، ص 245.

4 - سورة الصف، الآية 5

5 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مج 7، ص 286.

6 - ابن العربي، رسالة الإنتصار، ص 3

7 - ابن العربي، كتاب الياء، ص 13

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

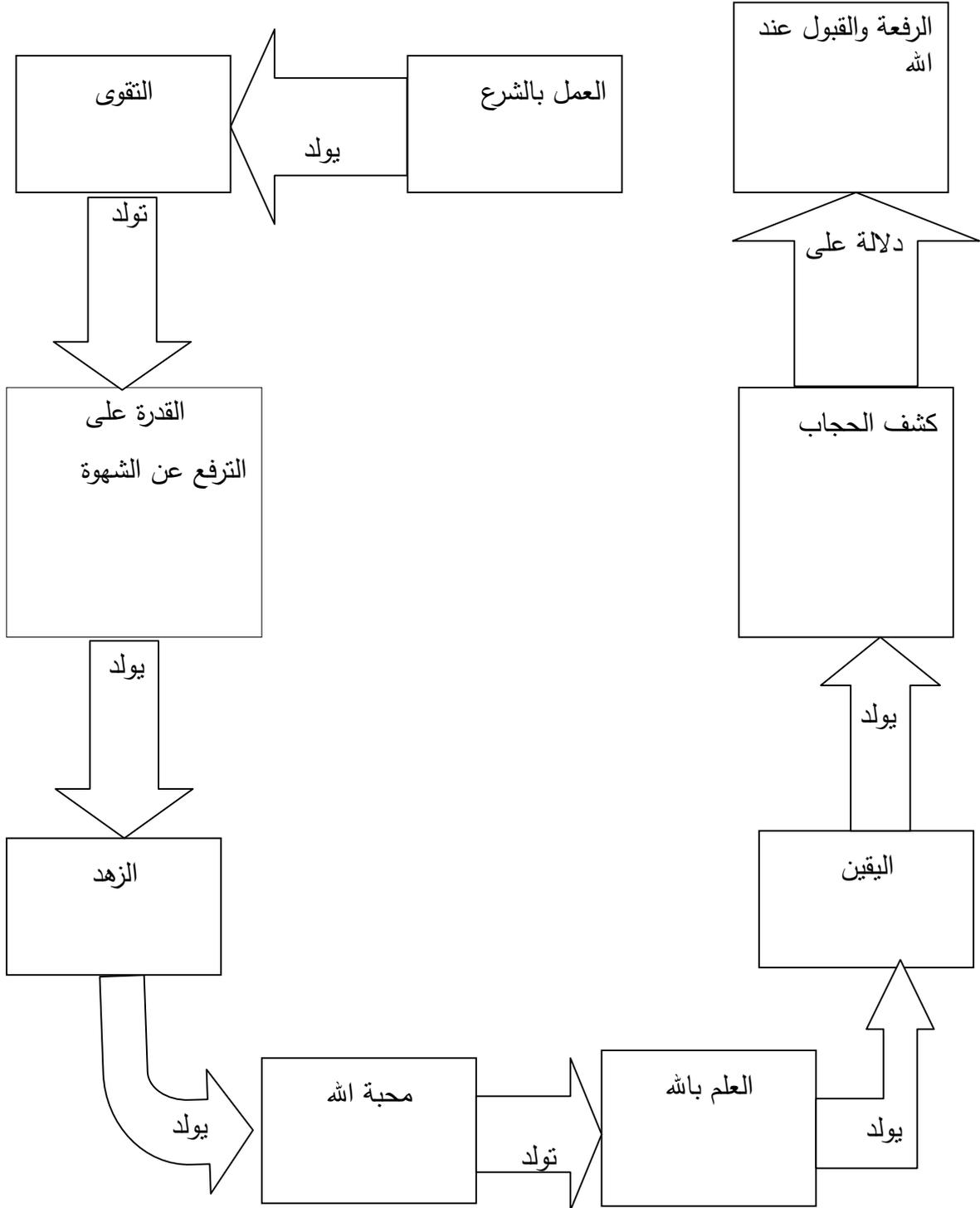
عليها بالألوهية سلطانا حجة لا ريب فيه»¹ كما أكد ابن العربي، علما أنه مهما اشتد قرب الإنسان من ربه إلا أنه عاجز، ومحروم من الإلمام بالعلم الإلهي لاستحالة ذلك²، والرسم الموالي يوجز حقيقة ترابط العلوم الكشفية بتقوى الإنسان، وتورعه مع ربه - سبحانه-.

1 - ابن العربي، التنزيلات الليلية في الأحكام الإلهية، تقديم وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط،

1987، ص 73

2- المصدر نفسه، ص 75

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي



علاقة الأخلاق بالكشف عند ابن العربي

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

وما يمكن استنتاجه من إحاطة ابن العربي للعقل بضوابط أخلاق التوحيد السابق عرضها في هذا الفصل النتائج التالية:

- إن تقييد العقل بكتاب الله، وسنة نبيه الكريم حماية من المهالك الحسية، والمعنوية.
- إن الإخلاص في الدين لا يقام إلا على هدم الرياء، بأداء فرائض الله، وطاعته بوجه خالص له.
- إن أكمل الناس، وأتقاهم من كان أصل فضائله كتاب الله، وسنة نبيه.
- إن الإعتصام بدين الله ثبات للمؤمن على إيمانه، وإستقرار لنفسه.
- إن الإخلاص في الطاعات هدم للنفاق، وتقوية للحلم، والرحمة، والإحسان.
- إن شكر الله على نعمه لا يصدر إلا من قلب خاضع، ومتق.
- إن الإخلاص في التوحيد مطهرة للفؤاد، وترقية للإنسان في مدارج المتقين.
- إن الإيمان بالدين عمل باطني صورته الظاهرة تبرز في صدق التوكل، والشكر، والإحسان، والثقة بالله.
- إن الوثوق بدين الله، والعمل به فيه عتق للإنسان من هواجس نفسه، ورعونة طبائعه.
- إن السير في طريق الله يستوجب العمل بكتاب الله، والسير على خطى نبيه الدافع للفتن، والتذبذب.
- إن المداومة على ذكر الله، والاستغفار فيه جمع للهمم، وإزالة للتشاؤم.
- إن طهارة نفس الإنسان، وصدق إيمانه يجازى بالوهاب الإلهي.
- إن في الإعراض عن الدنيا، وزخرفها الزائل سكونا للنفس، وراحة لها.
- إن عقلنة الأفعال لا تحدث إلا بالمحافظة على نعم الخالق.
- إن فطنة العقل، وسلامته مردها صفاء الأخلاق، وكمالها.

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

- إن العقل لا يكون وسيلة لدفع الأضرار، بالتمييز بين الحسن، والقبيح، وقمع الشهوة إلا إذا غذته أخلاق التوحيد.
- إن مهمة خلافة الإنسان في الأرض توجب عليه إنعاش عقله بأخلاق الإسلام حفاظاً على هذه المهمة الربانية.
- إن من لا يملك أرضية سليمة لحياته روحها أحكام الإسلام، وتعاليمه، لا يقوى على إخضاع العقل إلى أخلاقه.
- إن حرص الشرع على حماية العقل مبرر بمجموعة التكاليف الحافظة لضروريات الحياة.
- إن غاية ربط العقل بأخلاق الإسلام هي بلوغ تقوى الله الجالبة للسعادة الكبرى آجلاً وعاجلاً.
- إن تقوى الله توجب الصيام، والصلاة، وتكون بالصبر على الأمور، وتظهر في أفراد الخالق - تعالى - بالألوهية، والإخلاص لوجه الكريم.
- إن تورع الإنسان مع ربه بترك كل ما يثير الشك، زيادة على طاعة النبي - الكريم - لا يفلح إلا بالعقل المتخلق.
- تؤهل تقوى الله الإنسان لتحمل المصائب، والشدائد، والتعاشيش مع المحن، مع القدرة على الإعتبار في النعم، والنقم.
- إن الغاية من كل المساعي الصالحة التي يقوم بها المرید بلوغ الكشف الحاصل بالقلوب الصافية، الطاهرة.
- إن الكشف هبة ربانية يتلاقاه المرید صادق التقوى، مخلص التوحيد.
- إن العطاء الإلهي ثمن للهداية، والإخلاص في الصبر، والرضا، والشكر، والرجاء...

الفصل الرابع:.....ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عند ابن العربي

- إن العلاقة الرابطة بين تشبث الإنسان بالأخلاق الشرعية، والعطاء الإلهي علاقة تتالي فبوجود الأولى تحدث الثانية.

الفصل الخامس: حاجة الواقع العربي الراهن إلى الفكر الأخلاقي الأكبري (مشكلة الحداثة والتعليم أنموذجا)

أولاً: مشكلة الحداثة

1- الحداثة العربية روح بالأصل مادة بالفرع

2- القيم الروحية شرط الحداثة العربية

3- طغيان المادة هدم للأخلاق

ثانياً: مشكلة التعليم

1- الأخلاق أساس الممارسة التعليمية.

2- التعليم تواضع ومودة.

3- التعليم تكافل إجتماعي.

حاجة الواقع العربي الراهن إلى الفكر الأخلاقي الأكبري (مشكلة الحداثة والتعليم أنموذجا)

أولاً: مشكلة الحداثة

تعد السيطرة الاستعمارية التي مست العالم العربي وجعلته يعيش تحت ضغطها، سببا مباشرا دفع بالعرب إلى مسابرة هذا الضغط بإحداث مستجدات على الصعيد المعنوي، والمادي، وهو ما أدى إلى تشكيل الوعي لدى أبناء هذه الفترة، تبلور في الدعوة إلى الإصلاح بهدف تجديد أوضاع الأمة العربية، ليكون هذا أول منطلق نحو مرحلة جديدة تعرف بالحداثة، التي تعتبر من بين المواضيع الهامة التي شغلت عقول مفكرينا، لكونها موضوعا متشعبا كثير الجوانب منها الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية، ما صعب الإحاطة بمعناها وتجلياتها، فهي ليست حدثا تاريخيا وليد لحظة محددة بزمن، أو بعصر بذاته، إنما هي عصارة تاريخ طويل مليئ بالأحداث المتشابهة التي أسهمت بشكل أو بآخر في هيكلتها وتكوينها. لذا كانت الحداثة مركز وعي، واهتمام العديد من المفكرين اعتقادا منهم بإمكانية تأسيس حداثة عربية على غرار ما شهدته أوروبا. وهذا يدعو للتساؤل هل هناك فعلا حداثة عربية؟ وإن وجدت هل لها روح؟ وإلى أي مدى نستطيع التعايش مع ماديات الحداثة في ظل غياب قيمها الأخلاقية؟ هل توافق هذه الحداثة البيئة العربية المسلمة؟ هل ربط الحداثة بالأصالة سبب في قيامها أم هدمها كما يعتقد الكثير؟ إلى أي مدى نستطيع الجزم بأن التجديد دون رؤية علة انحراف الحداثة العربية؟ كيف نقنع المجتمع العربي بأن التراث دعامة نفسية موجهة لسلوك؟ كيف نثبت أن الأخلاق منطلق رئيسي للمشروع الحداثي العربي؟ وما وجه الحاجة إلى الفكر الأخلاقي الأكبري في إنجاح هذا الموضوع؟.

1- الحداثة العربية روح بالأصل مادة بالفرع.

هدف الفكر النهضوي في المجتمع العربي إلى الثورة على الاستعمار، ومناهضة كل صور التخلف، والجهل، والتبعية التي أفرزها خضوع الأوساط العربية للأساليب الأجنبية في

الكثير من قضايا العلم والتعليم... المغايرة للتنشئة الإسلامية، إضافة إلى الحملات التبشيرية نحو العالم العربي، التي هي في الأصل ثورة ضد الهوية المسلمة، من خلال تأسيس مدارس في أغلب البلدان العربية، الساعية إلى طمس شخصيتها، بنشر وزرع أفكارهم الأوروبية المسيحية. لذا تفتن العديد من رواد الفكر العربي إلى خطر السيطرة الأجنبية على البلدان العربية، وما فيها من إلغاء للشخصية المسلمة، واستبدالها بأخرى أوروبية بزي عربي، من خلال ربط السياسة بالدين.

إن التقليد الأعمى والتبعية المطلقة كانت عاملا مباشرا في تخلي المسلمين عن أصالتهم، ظنا منهم أن النموذج الغربي هو طريق النجاح، وقهر التخلف وتجاوزه، متناسين أن تطبيق المفاهيم الغربية على البيئة العربية دون احترام خصائصها هو تقصير في حق هذا المجتمع المسلم، فكل من درس في الخارج تأثر بما يوجد فيه، وتلهف وسارع إلى إسقاط ما هو أوروبي على الوسط العربي، دون ملاحظة الفارق، وميزته العربية الإسلامية، فحمل زكي نجيب محمود من أمريكا الفلسفة الوضعية المنطقية، وحمل بدوي من فرنسا الوجودية ليجزم بأن «... ماهية الكائن هي ما يحققه فعلا عن طريق وجوده ولهذا هو يوجد أولا»¹، مؤكدا على أن الذات البشرية ليس من طبعها الانزواء بل إنها تميل نحو العالم الخارجي، علما أنه كلما توجهت نحوه تحقق وجودها واكتملت ماهيتها تدريجيا.

إن التطلع إلى علوم الحضارات الأخرى وثقافتهم أمر حميد، خاصة وإن تمت ترجمتها لإدراكها أكثر، لكن من الصائب إخضاع هذه الترجمات إلى الغريلة، والتصفية لأخذ ما يناسب الأمة الإسلامية، ورد ما يعارضها، لذا فإن الاحتكاك بالآخر، والتطلع على معتقداته، وأنماط حياته يستوجب شروطا أهمها أن يؤمن العربي بأن القول بالحداثة، والتجديد يتطلب فهم الوضعية الحضارية العربية من خلال فهم المشكلات التي تثيرها الحياة

1 - عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1980، ص

المعاصرة، ومعالجتها بما يقتضيه الواقع العربي، وأصوله، لا بناء على تصورات واهية، إما أن تكون بالية، أو صورة ناطقة عن حضارة أوروبية بعيدة عن مبادئ الإسلام وفنونه، لذا كان عند ابن العربي كل نور لا يزيل الظلمة لا يعول عليه¹.

حاول "حسن حنفي" تصحيح الاعتقاد القائل بأن التمسك بالتراث وأصالته سبب التخلف، والركود، باتخاذ التراث مصدرا نفسيا، موجها لسلوك الجماهير² شريطة أن نقوم بتجديده بالدمج بين الأصالة، والمعاصرة ما يسمح برؤية الحاضر بواسطة الماضي في الحاضر وهي خطوة نحو مسايرة التطورات، والقضاء على العوائق التي تحول دون التقدم، ذلك أن « تجديد التراث... هو حل لطلاسم القديم وللعقد الموروثة، وقضاء على معوقات التطور... وتمهيد لكل تغيير جذري للواقع»³. وهذا ما أكده الجابري حين قال بأن « الحداثة... لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي»⁴، لأنهما وجهان لعملة واحدة ولا سبيل لبلوغ الأولى في غياب الثانية والعكس، لأنه في حضور هذا التلازم، والتتالي نكون قد حققنا شرط التجديد، والتغيير بتجاوز حدود التقليد، وقطع وصال التبعية، لأن الاستقلال التاريخي كما قال الجابري: لا يحدث إلا « بممارسة النقد المتواصل للذات وللآخر أيا كان هذا الآخر»⁵، والتشبث بالماضي ومحاولة إحيائه، وعصرنته، لمواكبة الواقع بنية إصلاح الفساد وهو صلب العمل الحداثي لأن « الدعوة إلى الأصالة هي في الوقت نفسه دعوة إلى الاطمئنان والاتصال... والانسجام مع الذات»⁶.

1 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 14

2 - حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 4، بيروت، 1992، ص 15.

3 - المرجع نفسه، ص 19.

4 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 1991، ص 15

5 - المرجع نفسه، ص 60

6 - محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، 2009، ص 253.

إن الاهتمام بمقومات الأمة من لغة، ودين والمحافظة على الحدود الجغرافية، إضافة إلى كل مجهود يسعى صاحبه إلى تثمين المكتسبات المعاصرة، بربطها بتراثها، هو خطوة جادة في جعل الموروث الإسلامي معيارا دقيقا، تقاس به نتائج أفعاله الراهنة، فما يتوجب على المجتمعات العربية أن تكتسب ثقافة جديدة داعية إلى الانكباب على الفلسفة، والعلوم العقلية لانجاب مفكرين وعلماء، لأنه لا عذاب على الأرواح أشد من الجهل كما عبر ابن العربي¹، فكان الإنسان جوهر عاقل لا يقوم إلا على الفكر، لأجل أن يكون موجودا²، بهذا العقل الناشط، السليم سلامة الأخلاق الموجهة له، يستطيع الفرد العربي الاستفادة من منجزات أوروبا، لأنه لا أمل لعلومها أن تغزو بلادنا اليوم ما لم نتقبل الفلسفة الأوروبية³، على أن يكون هذا التواصل نسبيا لا يمس بنقاوة الروح الإسلامية، لأن « كل علم حقيقة لا حكم للشرعية فيها بالرد فهو صحيح وإلا فلا يعول عليه»⁴ كما أكد "الشيخ الأكبر" على ذلك، فعلى الأمة أن توفر لذاتها كل الظروف المواتية لنموها المدني، فانفتاح المسلمين على الغرب مفيد، كلما اقتبسوا، وحاكوا هذا الطرف بما يناسب الدين الإسلامي، وينسجم مع التنشئة العربية، هنا نستطيع أن نعتبر الحداثة مرحلة تُزكي الإنسان، وترتقي به من منفعل إلى فاعل، مهتم بإنسانيته كإنسان، باعتماد العقل السليم قاعدة للبحث عن مكارم الأخلاق، وممارستها، والوقوف على مساوئها، واجتنابها⁵

حاول العرب إيجاد مخرج شاف لأزمة التخلف التي يعانيتها واقعهم، فأصبح مجال تفكير أعلامهم منصبا حول الحداثة، والتراث من خلال توجيه انتقادات لمطلقية العقل، لكونه

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 358

2 - ديكارت روني، مقال عن المنهج، ترجمة محمد الخضير، مراجعة وتقديم محمد مصطفى حلمي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط 2، 1968، ص 153.

3 - عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، ط 2، بيروت، 1981، ص 39.

4 - ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 2.

5 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 17

فقير لا يعرف شيئا إلا بوساطة قوى أخرى¹ كما وضح ابن العربي، ومع هذا فإن هذا العقل لطالما قامت عليه الحداثة الغربية المؤمنة بأنه مصدر جوهرى للمعرفة دون سواه، فكان هو المرجع الوحيد في فهم الوجود، وإطلاق العنان لحرية الإنسان فيما يعتقد، وبراه فأكسبه هذا مبدأ السيادة على الكل، وهذا ما جعل الإنسان العربي يكتسب ثقة غربية زائدة أنسته قاعدة ضرورية، ومرجعية هامة تحكم ردود أفعاله، وتقييمها الشريعة، فالعقل وحده لا يكفي للوصول إلى الحقيقة لأنه لا يملك شيئا من حيث نفسه، وأن الذي يكسبه من العلوم إنما هو من كونه عنده صفة القبول²، ما يجعله محتاجا إلى الأخلاق، كقوة يشق بها ظلمة الهيكل كما حث "الشيخ الأكبر"³.

أكد طه عبد الرحمان حين قال: « هوية الإنسان أساسا ذات طبيعة أخلاقية »⁴، بهذا التصور نجد أنه على الفرد العربي أن يتحلى بالعلوم، ومكارم الأخلاق التي تبعده عن الشهوات الطبيعية الصارفة، عن النظر الصحيح، والمحطمة لسعادته الأبدية⁵ حسب ابن العربي، لأن اهتمامه بنتائج أعماله بمعزل عن المعيار الروحي، يفقده إنسانيته، لذا وجب تطويق العقل بما هو ديني، شرعي على أساس أن العقل هو شرط في وجود النفس⁶، وأن الإنسان إذا ما خضع لطبعه دون فكره غلب عليه أخلاق البهائم، التي في الأصل تميز عنها بالعقل، إضافة إلى قطع الصلة بين الأعمال الدنيوية والمحاسبة الأخروية جعلت من الفرد العربي يقع في مصيدة ماديات الدنيا، ما يجعله شقيا تائها في بحر شهواته، ضائعا في

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 317

2 - المصدر نفسه، ص 320

3 - ابن العربي، كتاب الشاهد، ص 6

4 - طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، المغرب، 2000، ص 148.

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 3، تحقيق عثمان يحيى، ص 83.

6 - المصدر نفسه، ج 4، ص 344

متاهة رغباته، فيقول ابن العربي: أعلم أن العبد بحسب ما عمل فهو مقدس إذا كان عمله تقديس الحق - تعالى -، وهو منزه بتتزييه، ومعظم بتعظيمه¹.

يستطيع الفرد العربي أن يرتقي في سلم البحث عن حداثته المفقودة، التي يستحيل أن توجد بالاعتماد على العقل وحده، بمعزل عن الأخلاق كأساس صحيح لأفكاره، وأفعاله مادما على يقين بأن الإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية إلا إذا عرف شرف الغاية²، فالمغالاة في التمسك بماديات الدنيا، والتلذذ بحسياتها تنسي صاحبها جوهره الروحي، الفكري الذي كان به إنسانا، فتزرع الشهوة في نفسه زراعا يصعب بعده قلعها³، لذا فإن اهتمام الإنسان بالآخرة ليس خروجا عن الاهتمام بالدنيا بل اهتمامه بالآخرة هو وسيلة للرجوع إليها، والاهتمام بها أفضل مما يهتم بها الإنسان لو أنه ترك الاهتمام بالآخرة⁴، فنصح ابن العربي قائلا: « عليك بروح الأشياء، ولا تأخذ من العسل سوى ما أدخره النحل لنفسه»⁵ تأكيدا منه على أهمية الأخلاق في تسديد المقاصد، والمؤسف أن الوسط العربي الحالي غاب عنه هذا الوازع الذي به يرتقي الإنسان في سلم الكمال.

ترعرع، ونشأ نوع خاص من الأفراد طغت عليهم المادة، وأعمتهم مطالب الدنيا فتدهورت قيمهم بشكل أبعدهم عن المدنية، وهذا ما أطاح بالأمة المسلمة علما بأن هذا الصنف من البشر نستطيع أن نسميهم الإنسان المادي، أو الفرد الجاف، وهم من أفسدوا على باقي الناس « طبائعهم ولبس عليهم... مروءتهم»⁶، وخير مثال على هذا ما نجده في الممارسة الاقتصادية القائمة بالدرجة الأولى على المصلحة المادية، التي تبررها محاولة بلوغ

1 - ابن عربي، رسائل ابن عربي، ص 302

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 73

3 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 12.

4 - طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2013، ص 99.

5 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 26

6 - طه عبد الرحمان، الحق الإسلامي في الأختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2005، ص 85.

التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، باستخدام كل سبل التحايل، واللاعقلانية، وفي هذا يقول طه عبد الرحمان: «هذه الشركات لا تتورع عن التحايل... وممارسة الضغوطات لبلوغ أغراضها... وبسط كامل سلطانها على الشعوب وبث قيمتها المادية في النفوس»¹، فلا يمكن أن تكون العلاقات الكونية التي يولدها الطغيان الاقتصادي إلا «علاقات المصلحة المادية الخالصة»²، وما هذا إلا انحراف خطير ولده التقليد الحرفي للحضارة الغربية، فلا وجود لحداثة عربية على أساس أن جل ما قام به العرب هو التقليد لما هو غربي، وإعادة تطبيقه، رغم كونه ضارا في مجمله، لذا فعلى الأوساط المسلمة أن «تضع حداتها الداخلية أو لا حداثة لها»³، ما دام أنه لا طائل من التكرار فالحداثة «تطبيقا إبداعيا لا تطبيقا إتباعيا»⁴.

توصف الحداثة المادية بإنها حداثة ناقصة، فرغم ما قدمت من تطور مس جميع الجوانب العلمية، والتقنية، والترفيهية إلا أنها سلبت العنصر الأساسي الذي به يتذوق الفرد العربي هذه الجوانب، وهو الجانب الروحي الجامع لكل معاني التوحيد الإلهي، والرابط بين الإيمان، والكمال الإنساني به نستطيع إنشاء حداثة إسلامية نموذجية، فكانت فالحداثة المرجوة هي روحية بالأصل، مادية بالفرع تهدف إلى التجديد، والتغيير دون التملص من الماضي العربي، والهوية المسلمة، لا الانقياد وراء من اعتقد بأن الحياة الفكرية لا يمكن أن نعيشها بأسلوبها المعاصر إلا إذا «بترنا التراث بترا والعيش مع من يعيشون في عصرنا علما وحضارة»⁵.

1 - طه عبد الرحمان، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2006، ص 80.

2 - المرجع نفسه، ص 80.

3 - المرجع نفسه، ص 34.

4 - المرجع نفسه، ص 34.

5 - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط 9، القاهرة، 1993، ص 13.

2- القيم الروحية شرط الحداثة العربية

إن هروب الحداثي العربي عن المسار الديني، جعله يبتعد عن روح الحداثة، بقلب الأحكام والقضايا الجوهرية التي جاء من أجلها القرآن الكريم بجعله الأصل فرعا، والفرع أصلا وعلّة ذلك هو إعادة تطبيق المناهج الغربية بحذافيرها، دون مراعاة القيم القرآنية، فوقع في التناقض، لذا فإن العودة إلى القرآن الكريم والتمسك بنصوصه وجدية تطبيقها على الوجود الإنساني العربي هي فعلا التركيبية الحقيقية للنهوض به وبحدائته، التي ظن أنها مادية فحسب، في حين أنها تحيي وتقوم بالقيم الروحية الدينية الصالحة لكل الظروف، والأحوال، فلا حداثة إلا بروحها ومبدأها الإسلام فقبل التفكير فيها وجب تغذية روحها، والعمل على تنقيتها، لأن من الخطأ النظر إلى الحداثة بصفقتها مشروعا معاديا للدين، خاصة إذ أدركنا أن الحداثة الحقيقية هي التي تؤسس «لحداثة ذات توجه معنوي بديلة عن الحداثة ذات التوجه المادي التي يعرفها المجتمع الغربي»¹.

وجب التأكيد على أن الحداثة عمل روحي موجه إلى الإبداع لا ضده، و لا يكون هذا إلا بالاجتهاد، والنقد، والتميز الذي يبدأ من داخل الذات إلى خارجها حتى يتسنى لنا الجمع بين الروح، والمادة، والماضي، والحاضر. فالبيئة الإسلامية وما تحمله من عادات، وتقاليد دائمة الحضور، والوجود لا يمكن أن نعيش بمعزل عنها لأن الموروث الإسلامي كان «ولم يزل روحا لا حياة للفكر دونها»²، فمن اعتقد أن العادات، والتقاليد الإسلامية الراقية الصحيحة هي سبب تخلفنا ووجب الانفكاك عنها فقد حاد عن الصواب، وكان الضياع والنتية عنوانه كيف لا وهو يسعى وراء تفتح دخيل، قاطعا بذلك كل صلة بجذوره الأولى، جاعلا من رغبته في البحث عن المعرفة الحديثة ذريعة في الكف عن الرجوع إلى الماضي، والأخذ به. كما فعل الغرب دون أن يعلم أنه بصدد استبدال التراث الأصيل، بالتراث الأجنبي،

1 - طه عبد الرحمان، روح الحداثة، ص 16

2- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، د ت، ص 9.

والعمل على ترسيخه في أوساطنا المسلمة، وهذا لكون الفرد العربي يفتقر « إلى مستند لذاته»¹، فأبي حداثة تقدر العقل وتعطيه كل المطلقة في التفسير، والتأويل دون الأخذ بالأساس الديني، والآخرة هي خطوة كبيرة نحو الخروج عن الدين، لذا « ينبغي للعارف أن لا يطلب من العلم إلا ما يكمل به ذاته وينتقل معه حيث انتقل»².

3- طغيان المادة هدم للأخلاق

إن تمركز الحياة العربية المعاصرة حول الأمور الدنيوية، المادية، والاقتصادية فحسب جعلت العلاقات بين الأفراد توجهها المصلحة، والمنفعة الخاصة، زيادة على ذلك الإفتتان بالتقنية إلى حد كبير، جعل الروابط الإنسانية خاوية، جافة، تفتقر إلى كل ما هو روي أخلاقي. فقطعت الأوصال بين الناس وحرّم الحوار بينهم، لغياب الحكم الواعي الذي من شأنه أن يجعل النفس أكثر إجتماعية³، وهذا ما يفسر أزمة القلق الكبيرة، والتوتر العالي الذي يعيشه مجتمعنا، زيادة على تفاقم ظاهرة الإنتحار، وإنتشارها حتى بين الأطفال، دون أن ننسى أزمة العنف المدرسي، ونزيف الطلاق غير المنتهي، رغم التطور المادي الذي نعيشه. فيستوقفنا كل هذا لنتساءل عن الجانب الروحي الضائع، وضرورة الجدية في العمل على إحيائه خاصة داخل الأسرة، لكونها النواة الأولى للمجتمع، بصلاحتها يصلح كله، وبفسادها يضيع، وينهار لأنها منبع العلاقة الإنسانية الأخلاقية منها تنتج الشخصيات السوية، أو المرّضية.

لا تفلح فكرة الحداثة إلا بالتسليم بأنها دعوة للتجديد، و التغيير لكن دون الانسلاخ عن الماضي والتجرد من العادات الأصيلة لأنها روح الأمة، وأن الافتتان بالحداثة المادية

1 - طه عبد الرحمان، حوريات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للإبحاث والنشر، ط 1، بيروت، 2011 ص 16.

2 - رسالة إلى محمد بن عمر الرازي، رسالة رقم 8، من الورقة 105 ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس

3 - Henri Bergson, les deux sources de la morale et de la religion, Edition electronique (ePUB, PDF) v :1,0, les Echos du Maquis, Avril 2013, P 10.

المقلدة لما هو غربي لا يولد إلا حادثة فارغة، عاجزة عن مسايرة الواقع، ومواجهة الأزمات، وخير دليل على ذلك الظلام الذي يعيشه شبابنا بسبب حالات اليأس الدائمة، وصحبة السوء، ومعالجة الغلط بالإدمان، ما جعل مجتمعنا يتخبط في آفات يصعب تجاوزها، ودليل ذلك أن الملفات الأخلاقية هي أكثر القضايا تداولاً في محاكمنا، الأمر الذي يدفعنا -لا محالة- إلى إعادة النظر في أن العقل وحده قاعدة لتوجيه الإنسان، نحو الصواب وأن الرفاه المادي لا يقود إلا نفساً عمياء تفتقر إلى الأخلاق كعنصر ضابط لها لأن الشهوة، والغضب مبدأ السيئات¹، وعليه يتوجب على المجتمع العربي تصحيح معتقده، القائل بأن الحادثة الغربية هي أم الحداثات، لأنها في حقيقة الأمر هي إمكانية من جملة إمكانيات، ما دام التطور الغربي لم يشمل إلا الجانب المادي، ليطغى على باقي الجوانب، ويولد فيها رغبة السيطرة، والاستغلال. والمؤسف أن العالم العربي في تقليده لهذا النوع من الحادثة، أخذ فقط الصورة المادية، وأهمل بدوره أهم جزء وهو الجزء الروحي، لذا لزم الجمع بين الوجه المادي، والمعنوي للحداثة، حتى يرتقي في سلم الإنسانية، ويزكي نفسه إلى درجة الإحسان، واستبدال صفات الأنانية، والفردية بصفات الكمال، والخير وهذا يكون بفعل الحداثة التي تبدأ من الداخل، لتعكس على الخارج كي تكون حادثة عربية، إسلامية ناقدة، موجهة، متماسكة، بروحها الإسلامية.

لا يستيقظ الإنسان المسلم من انبهاره بالعالم الغربي، وأن يقطع حبل الوصال الفكرية عليه إلا إذا ارتفع وازعه الروحي، واشتد في مواجهة هذه القوى الخارجية الغربية عنها، فالإبداع، والتجديد الحقيقي، والجوهري هو الذي تجمع فيه بين الماضي، والحاضر، لا بقطع الصلة بالتراث إنما بطلب الكمال الإنساني، من خلال مقاومة كل ما التصق « بالحداثة من مظاهر أو قيم تضر بالإنسان طلباً للخروج إلى حادثة أفضل»²، فيكون بذلك إبداعاً

1- ابن تيمية، الإيمان، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس، دار الفكر، د ط، د ت، ص 29.

2 - طه عبد الرحمان، الحداثة والمقاومة، معهد المعارف الحكيمية للدراسات الدينية والفلسفية، ط 1، 2008، ص 14.

محمودا، وتصورا معنويا، ترتفع فيه النظرة الجمالية، الذوقية، وتتسع فيه المدارك العقلية، وتزكى فيه الفنون والعلوم، وترقى فيه مكارم الأخلاق، والقيم وهذا لا يكون إلا بتطويق الشهوات، وإعلاء الروحانيات عن الماديات، فبمراعاة المطالب الأخلاقية تزكى معاني الحياة المتواصلة، الفاعلة، المحافظة، الحامية للمروءة، المُكرمة للذات الإنسانية الحقة، فيسقط عمود الأثانية، والتوحش، والقبح النفسي المؤدي إلى الإطاحة بإنسانية الفرد، إيماننا منه بأن الأجسام تحشر على صور أعمالها من الحسن، والقبيح¹.

إن الحداثة الإسلامية الداعية للإبداع القائم على القيم الصالحة، هي الأحق، والأقوى والأنسب لمجتمعنا العربي، في ظل هذه الظروف مع الإيمان بنسبية العقل الذي يشتد ويقوى في صحبة القيم الروحية، لأن هناك حقائق يستحيل منطقيا تعقلها، لذا فإن أزمة الإنسان المعاصر هو اعتقاده الوهمي بأنه امتك الطبيعة، في حين أنه جزء منها لأنه لم يخلقها إنما سخرت له رغم كل إنجازاته سيبقى عاجزا عن تقنينها لذا وجب عدم تضييع الوقت في الجري وراء الطبيعة، ومحاولة السيطرة عليها إنما وجب ترويض ذاته، وتهذيبها، بأن يتورع ويترك كل ما حاك في نفسه² لفهم الطبيعة، وجعلها قاعدة منها يزيد في إيمانه، وتعقله الصحيح لأن ماهية الإنسان ماهية أخلاقية، بها تنهض الأمم، والحضارات منهلها الأول العقيدة الإسلامية، لأن الحصانة الأخلاقية للفرد المسلم تجعله صاحب مضامين دلالية، وطرقا استدلالية واضحة التي بها تتوسع مداركه، وتتفتح آفاقه نحو العالم، فيتواصل ويتفاعل معهم بكل ثقة، محبا محافظا لتراثه، راغبا في التطلع، والانفتاح المبني على شريعة الحق، وهذا عكس الحداثة الغربية الزائفة، التي انبهر بها العديد فأهملوا أصولهم، ومعتقداتهم رغم أنها منذ عصر النهضة تميزت بابتعادها عن القيم، والأخلاق التي كان مصدرها الدين

1 - ابن العربي، رسالة الأنوار، ص 4.

2 - ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 10

إثر ثوراتهم على الكنيسة، ورجالها وكان هذا أول طريق للانحلال الخلفي، ما يجعلنا نجزم بأن أصل الحداثة هي الأخلاق الموجهة لها كبديل للحداثة المادية الزائفة، الجارفة.

مما سبق تقديمه مكننا هذا العمل من حصر النتائج الموالية:

- إن تقليد المجتمع العربي لكل ما هو غربي كان سببا في ابتعاده عن القاعدة الأساسية المكونة للهوية المسلمة.

- إن تأثر المجتمع العربي بالتغيير الحاصل في أوروبا أنساه المنطلق الذي أنبعث منه والمتمثل في مناهضة ظلم الكنيسة، وكل صور الفقر، والفساد المخالفة تماما لما هو حاصل في البلاد العربية، لذا فاختلاف المقدمات يستلزم عنه الاختلاف في النتائج حتماً.

- إن الحداثة الحقيقة التي يجب أن ينشدها المجتمع العربي، هي الثائرة على المؤلف، والخرافة المقيدة للإبداع، المقومة لواقعه، المجسدة لمقاصده.

- إن التطلع نحو الآخر يقوي الهوية العربية، لكن في إطار حدودها المسلمة العربية المحافظة.

- إن الاستقلال التاريخي لا يحدث إلا بممارسة النقد المتواصل، بين الإنسان والآخر مهما كان هذا الآخر.

- عدم إخضاع المشكلات التي تثيرها الحياة المعاصرة، العربية إلى حلول من بيئة غربية لاختلافهما في السبب والنتيجة في الغالب فكل بيئة أصولها.

- ضرورة بذل الجهد في الربط بين الأصالة والمعاصرة حتى نسمح برؤية الماضي في الحاضر لأن الحداثة لا تعني رفض الماضي.

- ضرورة التأكيد على أن إعادة إحياء الماضي في الحاضر، هو بقصد الإصلاح، والتغيير المجدي، والخادم للهوية العربية، المسلمة.

- إن تركيز الاهتمام على الجانب المادي فقط ولد حداثة ناقصة لغياب جزئها الروحي المعنوي

- إن التمسك بمقومات الأمة هو خطوة جادة في جعل الموروث الإسلامي ميزانا تقاس به نتائج أفعالنا المعاصرة.

- ضرورة الإيمان بأن الحداثة حركة ترقى الإنسان من منفعل، إلى فاعل بإعتماده العقل شرطا أساسيا موجه له، تغذيه الأخلاق الإسلامية النبيلة.

- إن الإنسان العربي بحاجة إلى عقل نقي نقاوة شريعة الإسلام، للتمييز بين اللذات وتوجيهها بما يخدم دينه، ودينه.

- قطع الصلة بين مطالب الدنيا، ومحاسبة الآخرة جعلت الفرد العربي يضيع في متاهة الملاذ الزائلة، فضعفت وسائله، لقلّة فضائله.

- ضرورة الجزم بأنه لا حداثة إلا بروحها الإسلامية، وقيمها الدينية الصالحة، لكل الأزمنة، المواتية لكل الظروف.

ثانيا: مشكلة التعليم

تصمّم مناهج، وبرامج سنويا بنية وضع المتعلم في محور الاهتمام التربوي، علما أن هذه الأخيرة تنظم محتوياتها بطريقة تناسب القدرات الفكرية، والنفسية، الحركية والوجدانية، والاجتماعية للدارس، حيث تحرص الفرق التربوية على أن تكون الأنشطة المقترحة مرتكزة مباشرة على فعل التعليم، كما تختار الطرائق البيداغوجية وفق الأهداف التعليمية، لاكتساب الكفاءات المصرح بها في البرنامج، سعيا منها إلى تحفيز المتعلم، وتطوير قدراته، وتفعيل مكتسباته. غير أن الواقع يعكس، ويناقض كل ما سبق ذكره، فالحالة السيئة التي آل إليها التعليم في الفترات الراهنة، رغم كل الجهود المبذولة للنهوض به، تدفع أي مهتم بهذا المجال إلى طرح تساؤلات عديدة عن عدم قدرة المتعلم على التحصيل العلمي، وعن عوامل النفور،

وفقدان الرغبة فيه، وعن كيفية إقناع المجتمع بضرورة تدارك هذا الخطر، فإلى أي حد تدفعنا هذه الأسئلة، وغيرها للبحث عن قاعدة جديدة في فلسفة ابن العربي الأخلاقية تكون علاجاً لأزمة القيم في التربية، والتعليم؟ وما وجه الصلة بين الأخلاق، والتعليم عنده؟

1- علاقة الأخلاق بالممارسة التعليمية عند ابن العربي.

يعيش المتعلم في هذه الفترة حالة فراغ، تركت في نفسه آثاراً سيئة، جعلته يهجر العلم والمعرفة، وينشد مطالبه المادية، متشعباً بمتاع اللذات الحسية، ما يوجب التفكير في نسق تربوي يحتوي على أساليب عملية، الهدف منها هو العودة إلى المصادر الأصلية لبنائها، تضبط فيها القواعد السلوكية، العقلية، المعرفية، والخلقية على وجه الخصوص، لأن الذات البشرية إن غلب جوهر الظلمة فيها جوهر نورها ظهرت جسمانياتها على روحانياتها¹، فتشرد، وتضيع بحثاً عن مطالبها المادية، متجاهلة بذلك حقيقة أن نقاوة العواطف الإنسانية كسب عظيم لهذه الذات، أفضل من الكسب المادي، لذا يبدأ الوجود الحقيقي للبشرية بعد أن تشبع حاجات الجسد، وترفع عنه لتستقر². فالواقع الذي نعيشه صورة واضحة تعبر عن مدى ابتعادنا عن المبادئ الأخلاقية، في ميادين التربية، والتعليم، والمشاكل التي تحدث في المؤسسات التعليمية دليل على ذلك، أين كان الانحلال الخلقى المنشط الأول لها، وهذا ما يبرر حرص ابن العربي على ضرورة دعم الأخلاق الإسلامية للعملية التعليمية، حماية للمتعلم من خطايا المجتمع الفاسد التي يصادفها على الدوام، وصونا له من الانحراف الخلقى في كل أمور حياته، وحفاظاً على تكوينه التعليمي، النفسي، والخلقى من المناهج العاجزة، والبعيدة عن المعاني الجوهرية التي سطرها الكتاب الكريم، والسنة الشريفة في ذلك،

1 - ابن العربي، رسالة شجرة الكون، تحقيق عبد الرحمان حسن محمود، ص 15.

2 - قطب محمد، مناهج التربية الإسلامية، ج 2، دار الشروق، ط 1، دت، ص 376.

لذا يحتاج التعليم إلى تغيير شامل لكل صور الحياة في مثل هذا المجتمع، جوهره الأخلاق، وغذاؤه الإسلام¹.

يمكن المتعلم من تجنب فساد الأخلاق بالمعالجة الروحية، والاستقامة التي هي درج به كمال الأمور وبوجودها تحصل الخبرات، وتتنظم، لذا من لم يكن مستقيما في حاله ضاع سعيه، وخاب جهده²، وهذا ما نادى به الفلسفة الأخلاقية عند ابن العربي المؤمنة بأن نقاوة النفس أساس قوي للمعرفة بل لا تكون إلا بها³، وهي دعوة واضحة إلى إخراج الإنسان من سباته العميق جراء اتباع الهوى، والبعد عن تحصيل العلوم والرغبة في الأغراض الدنيوية، والابتعاد عن الدين، حيث ربط التعليم في الآونة الأخيرة بالمطالب المادية، التي تعدّ سببا واضحا في انتكاسته، أين أصبح المتعلم يطلب العلم من أجل الاستفادة منه، مع أن الواجب أن يكون قصده من كل ما تعلمه تهذيب نفس، وصلاح عقله.

حث ابن العربي على ضبط النفس، وتركيتها، من خلال السيطرة على شهواتها، بتحمل المكاراه التي فيها نجاتها، وتجنب الملاذ التي فيها هلاكها⁴، تحفيزا للمتعلم على الانكباب على المعارف، والعلوم التي تغذي عقله، فتتور بصيرته، وتسدّد غايته، علما أن هذه السيطرة لا تعني القمع، لأنها ما خلقت عبثا إنما لغاية معينة، مع وجوب التحكم في الشهوة، وتصريفها فيما أباحته لها الأوامر الإلهية⁵، لذا أكد ابن العربي على ضرورة الابتعاد عن النزوات لخطورتها، وعدم توافقها مع الطبيعة العاقلة إذ كلما اختل توازنها زاع صاحبها عن الشرع الداعي إلى التمسك بالأخلاق الحميدة، فيهتز استقرار المتعلم، ولا يعود إلى

1 - قطب محمد، مناهج التربية الإسلامية، ج 2، ص 12

2 - القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، ج 2، ص 356.

3 - ابن العربي، كتاب الوصايا، ص 3.

4- ابن العربي، كتاب المنزل القطب ومقاله وحاله، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948، ص 10.

5- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص 383.

طبيعته إلا بالاستناد إلى قيم ثابتة، وراسخة يَكُن لها الولاء، ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، يطمئن روحه، ويزكي نفسه، لذا كان الخير كله من النور، والشرّ كله من الظلّمة¹، وما دور المتعلم العاقل إلا دفع هذه الشرور، فيصبح مهذبا، خيرا، ضابطا لغرائزه، متلهفا على جمع المعارف التي بها ترتقي إنسانيته، لذا حرص ابن العربي على إلزامية حضور الأخلاق قبل الشروع في أي ممارسة تعليمية، لإيمانه بأن التعليم ينمو في حركة تصاعدية من البسيط إلى المركب، ومن المنفعل إلى الفعال، شريطة أن يتم هذا التطور في وسط أخلاقي سليم، تكسب المتعلم القدرة على توجيه ذاته توجيها سليما فيكون مقادما، زاهدا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقا لما توجه إليه، نافذ الهمة، كثير السكون، دائم الفكر، ساهيا عن لذة المدح، وألم الذم²، مبرزاً أن سلامة النفس، واتزانها يكون من خلال الدور الفعال الذي تلعبه الشرائع، والسياسات الحميدة، لردع الظالم عن ظلمه، ونهيه عن غضبه، ومعاقبته حتى يعتدل في جميع أمورهِ، مع رفض كل وجوه العنف، والقسوة داخل الحيز التعليمي، لما فيها من مآخذ تتعكس سلبا على المتعلم، فتحبط رغبته في التحصيل، وتبعث فيه روح التمرد، والعصيان، ما جعل ابن العربي ينهى عن رد السائل، لأنه لا يطلب الطعام إلا الجائع، ولا الهداية إلا الضال³.

نصح الشيخ الأكبر من أراد كبح نفسه الشهوانية أن يرفع من صوت العلم داخل مجتمعه، بمجالسة أهله، لأن من جالس العلماء وقرّ، ومن خالط الأندال احتقر⁴، مع شرط توفر الأدب، والاحترام بين المتعلم، ومعلمه، لأن من خالف شيئا وهو يعرف فضله، وحقه فقد باء من الله بسخط، وهو حسيبه في مكافأته على ما بدر منه من قبح⁵، فالعلم فضيلة لما

1 - ابن العربي، رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، ص 14.

2 - ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 10.

3 - ابن العربي، الوصية، ص 2

4 - الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2، ص 311 .

5 - القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، مج 1، ص 609.

فيه من منافع آجلة وعاجلة، فبه تكون راحة العقل، وهداية المتعلم¹، به يرتقي الإنسان إلى درجة الإيمان، فيخاف ربه، ويدرك عظمته لقوله - تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾²، الدالة على أن من يخشى الله حق خشيته هم العلماء العارفين به، لأنه كلما كانت معرفتهم بالخالق - تعالى- الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى أتم، كانت معرفتهم به أتم، والعلم به أكمل³، لذا كان أول ما أنزل من القرآن من الآيات الكريمت، المباركات، تأمر بالقراءة، وطلب العلم، لقوله - سبحانه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾¹ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾⁴، فهذه الآيات هن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم بها عليهم، وتظهر في كرمه - جل وعلا- على خلقه بتعليم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه بالعلم الذي تميز به عن صاحب الدنيا، فالأول لا يزيده حب العلم إلا رضا الرحمان، والثاني لا يزيده حب الدنيا إلا التماذي في الطغيان⁵

وجه ابن العربي كل عاقل بأن يطلب من العلوم ما يكمل به ذاته، ويكرم نفسه، ويحيى قلبه بخروجه من ظلمة الغرائز إلى صحة الأبدان، واعتدال المزاج، باخضاع عقله السليم، سلامة اعتقاده، إلى الاعتبار في آيات الله - تعالى-، والتركيز على التقاني، في إصلاح حاله، والاشتغال بنفسه، علما أن قيمة العلم لا تتجسد إلا من خلال سعي الإنسان، ومجاهدته بالانكباب على العلوم الإلهية، أو على الأقل ربط معارفه بما هو إسلامي ديني،

1 - الغزالي، بداية الهداية، تحقيق عبد الحميد محمد درويش، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998، ص 18

2 - سورة فاطر، الآية 28

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 544.

4 - سورة العلق، الآية 1-5

5 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص ص 437-438

حتى يضمن سلامته في الدنيا، والآخرة، باجتهاده في تحصيل ما ينتقل معه حيث ينتقل¹، فابن العربي من هذا المنطلق يكون قد وضع بين أيدينا خطة واضحة، رسمت حدودها أخلاق الإسلام، لننتقل منها لمتابعة واقعا التعليمي، وتقسيه، ومن ثم إعادة تقويمه، وهيكلة هيكلته أخلاقية جادة، تشفع في التّقدم العلمي، والثقافي، والمعرفي للدارس مع وجوب ربط المتعلم بضوابط وآداب إسلامية، تعنى بالتنشئة، والرعاية، والمحافظة على السلوكات العقلية، والجسدية، والروحية خصوصا، لتكون بهذا التربية في المنظور الإسلامي ذات نظرة شمولية، واسعة النطاق، تدل على تبليغ الشيء إلى كماله تدريجيا².

يشعر العالم اليوم بشقيه الغربي، والإسلامي بخطورة انفصال التعليم عن القيم، ما دفع بالكثير إلى تفعيل أفكارهم التربوية على ضرورة إعادة الصلة بين الأخلاق، والممارسة التعليمية لما في ذلك من تأثير واضح في بناء المتعلم بناءً سليماً³، يقوم على التكامل بين الجوانب النفسية، والمادية في التعليم قصد تهيئة المتعلم لمواجهة العالم الخارجي، وتحقيق ذاته، والعمل على إسعاد نفسه، لا إشباعها، لذا حرص ابن العربي على ترويض المتعلم، وتربيته، على تزكية نفسه، والمحافظة على عزتها، لكونها أمانة، وفضيلة يطالب بها الدين الكريم، وخصلة من خصال المؤمن، قبل الإقبال على تحصيل العلوم، لانعدام ذلك في غياب التربية النفسية، لكونها عاملا جوهريا في حدوث هذا التكوين، فقبل محاولة تغذية العقل بالمعارف، وجب إصلاح القلب، وإرشاده، خاصة إذا امتلأ من المعارف، فليحذر ميولات النفس لأنها مخربة، مبددة للشمل⁴، مع السعي الدائم لإبعادها عن المحرمات، والأخلاق المذمومة، وتوجيه المتعلم نحو عبادة الله وذكره، لأن العلم لا يجني ثماره إلا من

1 - ابن العربي، رسالة إلى الإمام الرازي، ص 6

2 - البيضاوي عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 1، دار الرشيد، ط 1، بيروت، 2000، ص 3.

3 - الصمدي خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د ط، 2003، ص 8.

4 - ابن العربي، كتاب التراجم، ص 39.

تغلب على ظلمة نفسه، بتصفية قلبه من الخبث، والرذيلة، تأكيدا على أن الجديّة في استناد التعليم على القيم في تفعيل مجالاته ليس المراد منه اعتبار الأخلاق حادثة عارضة، أو فرعا قائما بذاته، إنما هي قضية محورية، جوهرية، تدور من حولها المسائل المتشابكة للحياة¹.

ركّز ابن العربي على المجاهدة، وهي القدرة على تحمل الأذى البدني، والرياضة الدالة على تحمل الأذى النفسي²، لأن بهما تحصل تزكية النفس، وتصفيتهما من الأخلاق المذمومة، إذ كلّما صفت ارتقت، وبلغت كمالها، بما جمعت من عطاء، وعلم يزكّيها، ويقربها من خالقها، علما أن هذه التزكية مرتبطة بمدى معرفة الإنسان لعيوبه، وشدة تورّعه في اجتناب المحرمات، وكل ما فيه شبهة، بما جاء النص الصريح بتحريمه من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع³، وهذا ما يؤكد اعتناء الشيخ الأكبر بطهارة الباطن أولا من الأخلاق المذمومة، من خلال تنقية القلب من الشوائب، والرذائل التي تحول بين الإنسان والمعرفة، عن طريق العبادة، والصلاة التي تحجب الفرد عن الوقوع في المعاصي، لاعتقاده الجازم بأن المرء لا يقوى على ترويض نفسه، وتخليصها من شرورها إلا بالالتزام بالأمر الشرعي⁴، المانع لكل ما يحول بين العبد وربه - سبحانه-.

يبلغ طالب العلم الكمال إذا ما ابتعد عن أماكن اللّهو، لأنه إذا كان يطلب العلم، ويمارس الرذيلة، ليس بإمكانه الوصول إلى الحقيقة لقصور عقله الفاسد الذي قد يصيب، وقد يخطئ⁵، فكان الجاهل هو السفیه⁶، العاجز عن إدارة عقله لقبح أخلاقه، وهذا ما أورده

1 - جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلومصرية، د ط، القاهرة، 1964، ص 28.

2- ابن العربي، رسالة لا يعول عليه، ص 9.

3 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 72.

4 - ابن العربي، رسالة الخلوة المطلقة، ص 12

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 316

6- ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 204.

ابن كثير عندما أقرّ أن بالعقل نميز بين الرجال¹، لذا حث ابن العربي على ضرورة مفارقة مغريات الدنيا، المشتتة للذهن، المذهبة لرشده الذي كان به إنسانا، حتى يتسنى له الدخول على العلم بقلب متفرغ، صاف، وعقل يقظ، لأن انتهاك الفضائل الأخلاقية من طرف المتعلم أعظم ظلما يستوجب الذم، والعقوبة، لذا وازى ابن العربي بين الأخلاق، والممارسة التعليمية، إلى حد انعدام الثانية في غياب الأولى، لأن العلم لا يدخل قلبا مملوءا بالمعاصي، فكان أصل العلم هو العلم بالله، والذي لا يكون إلا من خلال عمارة القلب، وعبادة الباطن، مما يساعد على تهذيب الأخلاق، وكسر النفس الأمارة بالسوء لأن أعداء الإنسان كثر يقول فيهم: الشيخ الأكبر²

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

تحتاج الحياة المعاصرة إلى التعليم الذي يؤسس معارفه بعد تزكية النفس، وتربيتها، فتفعل مناهجه، وترقى من مستوى الكبت إلى درجة الترويض، والقيادة، لأن الدور الجوهرى لهذه المناهج ليس قهر الشهوة، والغضب، ولكن إحاطة المتعلم، وتوجيهه بالرياضة، والمجاهدة حتى تصبح أخلاقه ليّنة، ومرنة، مساعدة على تفعيل إمكانياته، وقدراته الراهنة تفعيلا وافيا يخدمه في مستقبله الذي يبدأ نموه من الحاضر³، وهذا ما يفسر حرص ابن العربي الشديد على الاشتغال بالنفوس لإيمانه بأن السعادة تجلبها الصالح منها، والهلاك من ضدها⁴، من هذا المنطلق يتضح أن التعليم الفعال حسب الشيخ الأكبر، ما قام على العمل، والاجتهاد حتى يتمكن من صقل قدرات المتعلم، وتقويمها، ثم الحرص على تجسيدها شأنه شأن من يصلح الأرض فيقتلع الشوك ليخرج النبات، تأكيدا على أن ربط التعليم

1 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 700.

2 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 4، تحقيق عثمان يحيى، ص 260

3 - جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ص 221

4 - ابن العربي، كتاب القرية، ص 10.

بالأخلاق، مع جدية التطبيق يخلق انسجاما، وتوافقا داخل الوسط التربوي يظهر في اطمئنان المتعلم وثباته، فيقوى على توجيه سلوكه تدريجيا من السيئ إلى الحسن، ما يشجع الحركة التعليمية على تحقيق مقاصدها الجوهرية في التعليم، بجعل الحاضر، الصحيح، والتماسك قاعدة للتنبؤ بغد أفضل.

2- أثر التكافل الاجتماعي في العملية التعليمية عند ابن العربي.

رفض ابن العربي أن تكون التربية فطرية لأنها تكتسب عن طريق الآباء الذين يفترض أن يكون ترويضهم، وتكوينهم لأبنائهم وفق ما يشترطه الدين الإسلامي، فكان من صفات الأبوة عنده إمامها بالعلم، والعمل¹، موضحا أن مهمة تعليم الأبناء مشتركة بين الأب، والأم، لأن الولد يظهر بينهما²، لذا فهو صفحة بيضاء خالية من كل نقش، قابلة لأن يسجل عليها أي شيء، وعلى هذا الأساس فإن مهمة إنجاح التعليم حسب ابن العربي مسؤولية جماعية، كونه ظاهرة اجتماعية تخضع للظواهر المحيطة به، والمحددة لنموه، وتطوره³، فالفرد لا يمكن أن يحقق ذاته إلا بوجود الآخر، كونه مربوطا بمنشئه الأول، ونوعية الأخلاق المحيطة به، فالناشئ تتطبع فيه أخلاق من تكثر مخالطته من أبويه، وأهله، حيث يقول: ابن العربي « والدك هو الأقرب إليك لأنه هو أول ما ظهرت به، وكذا أمك»⁴، رافضا بذلك تهرب الآباء من مهامهم اتجاه أبنائهم، من خلال رسمه لعلاقة تكاملية مشتركة بين الأب، والأم كلما انسجمت، وتوافقت بينهما أثمرت، وقدمت أبناء متكاملين « فالمتكلم أب، والسامع أم، والتكلم نكاح، والموجود من ذلك في فهم السامع ابن»⁵.

تبرز الصورة الأولى للتكافل الاجتماعي داخل الأسرة، لنتنقل تدريجيا إلى المجتمع، حيث يبدأ الفرد بترويض نفسه، وتركيتها، ليكون عنصرا فعالا، سليما داخل الأسرة، فيتضامن مع باقي

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 322

2 - المصدر نفسه، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 322

3 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1982، ص 266

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 324.

5 - المصدر نفسه، ج 2، ص 311

أجزائها، وهذا ما يحفظها من التفكك، والانهييار، ولا يكون إلا بالتعاون بين الزوجين، والذي يفرض عليهما الاشتراك في القيام بالواجبات الأسرية، ومتطلباتها كل بحسب وظيفته الفطرية، التي فطر عليها لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته...والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته»¹، فينمو الود بين الرجل، والمرأة في حياتهم الزوجية لقوله -تعالى-:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً﴾²، تأكيدا على أن من تمام رحمة الله بعباده أن جعل لهم من جنسهم أزواجا، وجعل بينهم رافة، ورحمة³، فينشأ الولد في مثل هذه الأجواء ليلقى الرعاية التامة، تجعل منه فردا سويا قابلا للتغيير، وبقدر هذا الاعتدال، والتوازن يصح الفضل للوالدين، ووجب لهما الشكر، والثناء⁴، علما أن هذا الجهد المبذول في حماية الأبناء بالسعي الجاد في تطبيق التربية الإسلامية على نطاق واسع، هو بحاجة إلى وقفة جادة تفقها الدولة في الحقيقة بزرع الإسلام في حياة الناس، واجتماعهم، وأخلاقهم، وسلوكاتهم، وشارعهم، وتعليمهم، وبيوتهم، ووسائل إعلامهم⁵، حتى لا يكون هناك تعارض بين ما يدرسه المتعلم، وما يعايشه.

حث ابن العربي المتعلم أن يحمي نفسه من الإهانة التي تسببها الصحبة، والمعاشرة السيئة، وإن كانت معها منافع، لما في ذلك من تأثير على تحصيله الدراسي لصعوبة التوفيق بين الخطأ، والصواب في مثل هكذا علاقات، لذا تعتبر العزلة ضمانا لارتقاء العالم بعلمه

1 - العسقلاني بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 5، (49) كتاب العتق، (19) باب العبد راع في مال سيده، المكتبة السلفية، د ط، د ت، برقم: 2558، ص 181.

2 - سورة الروم، الآية 21.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 309.

4 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 325

5 - قطب محمد، مناهج التربية الإسلامية، ج 2، ص 13

إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق- سبحانه-، والتشبث بأذيال محبته¹، فالعلم ينجم عن الاحتكاك السليم داخل الأوساط المستقيمة برعاية الأخلاق الكريمة، والحميدة، الجالبة لكل خير، والمانعة لكل سوء، وهذا ما يبرر حرص ابن العربي ومن حذا حذوه على نقاوة الوسط الاجتماعي، وخلوه من الفتن حتى يكون وسطا ملائما، جاهزا لاحتضان طلاب العلم، وتكوينهم خلقا، وسلوكا، فالبيئة الاجتماعية كلما صلحت كانت حيزا فعالا لصالح الفرد، وسلامة عقله، خاصة وأن حاجة الناس إلى بعضهم صفة لازمة في طبائعهم، فحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد لاحتياج الأدنى لمعرفة الأقصى، واحتياج الأقصى لمعرفة الأدنى²، فالتعليم طبيعة في البشر لأن الإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر، الذي يهتدي به لتحصيل معاشه، والتعاون مع بني جنسه، وعن هذا التعايش الفكري تنشأ العلوم، والصنائع بالرجوع إلى أهل العلم، والمعرفة، فتظهر عملية اجتماعية جديدة هي التعليم³، لذا فإن أفضل تواصل بين المتعلمين ما كان مبنيا على التحاب في الله، والأخوة في الدين، خاصة إذا آمنّا بأن المناهج التربوية المعاصرة في العديد من البلدان الإسلامية تتعرض إلى موجة من الثقافات الغربية، باعتمادها على نظريات دخيلة في تشكيل مناهجها التربوية، ما ولد ازدواجية في الأنماط التعليمية في أغلب المؤسسات التعليمية.

3- ترابط التعليم بالتواضع والمودة عند ابن العربي.

دعا ابن العربي، وأكد على وجوب تواضع المتعلم لمعلمه من خلال تفويض أموره إليه، مع الأخذ بنصيحته، والعمل بها، حماية له من الضياع، والتعصب لأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان⁴، دون أن ينسى طلب وده، والتشرف بخدمته، فالتكبر على العلم حمق،

1 - ابن الجوزي البغدادي، صيد الخاطر، ص 261.

2 - أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، كتاب الحيوان، ج 1، ص 35.

3 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، ص 165.

4 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 4.

وساذجة، فالحكمة ضالة كل إنسان حكيم بعقله، وعلمه كلما وجدها ينبغي أن « يغتنمها ويستفيدها، ويتقلد بها المنّة»¹، مع الالتزام بالصمت حتى تتجلى عنده الحقيقة، فلا يجوز له الخوض في علم لا دراية له به، مع ضرورة التحلي بالصدق، والأمانة العلمية، والمساواة بين جميع العلوم والمعلمين، وحتى يستطيع المعلم القيام بمهمة التدريس الواجب على المتعلم أن يكون بعيدا عن التعالي، فيكون متواضعا، مؤدبا، وقورا، لا يتعدى حرمة مجلس معلمه لقوله - تعالى -: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾² ، نهيا عن مدح النفس، وشكرها، لأن الله أعلم بأهل البرّ منّا³، لذا ينقص الغرور من قيمة الطالب، ويجعله عرضة للوقوع في الغلط، ويضيع ضياع شهوته، ونفسه الساذجة، المتعصبة لأرائها الضالة، المضادة للحقيقة، ما يدفع كل متعلم عاقل من أن يستعمل فكره، ويستثمر عقله، بتحديق بصيرته صوب الغوامض، وحل المشكلات بطول التأمل، والقيام بوظائف العبادات حتى يصل إلى كمال العلوم⁴.

أعطى ابن العربي مكانة راقية للمعلم، لأن كل صنعة تستدعي صانعا ولا بد⁵، شريطة أن يكون هذا الشيخ، والمربي عالما بالحلال، والحرام، وأحكام الفقه⁶، كي يتعامل مع طلابه برفق، فلا يرد السائل منهم أبدا، بل يستقبله بالكلمة الطيبة، والوجه المسرور⁷، فيكتسب ثقتهم، واستجابتهم بالاستماع إلى توجيهاته، والعمل بما يقدمه لهم من معارف، ومكتسبات تشغل فراغهم، ولا يزيدهم هذا إلا نضجا، وتحكما في ملكاتهم.

1 - الغزالي، ميزان العمل، تحقيق سليمان دينا، دار المعارف، ط 1، مصر، 1964، ص 344.

2 - سورة النجم، الآية 32

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 462.

4 - الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 8.

5 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 2، تحقيق عثمان يحيى، ص 328

6 - ابن العربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه، ص 4

7 - ابن العربي، الوصية، ص 2

إن مبدأ الشفقة الذي تقام عليه العلاقة بين الشيخ والمريد أساس قوي لإنجاح العملية التعليمية، من خلال إزالة الحواجز النفسية التي تعتبر عوائق تحول دون تقدم العلم، والتعليم، وسببا واضحا في الامتناع، والهروب منه، لذا وجب حسن التوجيه، والتصرف أثناء ممارسة التعليم، بعدم السماح للمتعلم ببلوغ المراتب إن لم يكن كفؤا، ومستعدا للتعامل مع المعارف، ما دام أن الهدف من طلب العلم هو تحقيق الكمال في الدنيا، والتقرب من الله - سبحانه-، لأن تحصيل العلوم بنية أغراض دنيوية فحسب، دون الرغبة في ترقية الذات، والنفس هو طمع، ورياء، ومذهبة للعقل، والقلب، مع ضرورة الابتعاد عن التوبيخ، والسخرية، كعلاج للسلوكات الخاطئة الصادرة عن متعلم لأن الاستهزاء يفقد المعلم هيئته، والمتعلم حرمة داخل الوسط التعليمي، فالعنف اللفظي من شتم، وسخرية...يجر معه العنف المادي الذي يختم بصراع عنيف بين المتعلم والمعلم، أو بين المتعلم ورفاقه، وهذا ما أثبتته الواقع التعليمي الراهن، لذا وجب النظر إلى عمق المتعلم باختيار قدراته العقلية، وقياس ذكائه، وتقييم إدراكه بمعزل عن الاستهزاء المؤذي للقلوب، المولد للأحقاد، والوحشية، ما دام أن القصد من التعليم حماية المتعلم، ورحمة به، ليعلمه، ويحوطه من الوقوع في الزلل، والخطأ، ويحذره من متاهات الهوى، وطغيان الشهوة في إطفاء نور الرغبة في التعلم، والاستقامة، علما أنه من شروط المعلم، أو الشيخ حسب ابن العربي أن يكون عاقلا، محصلا، ضابطا، ذا نفس أبيّة، وأخلاق راضية، وأعمال زكية، وخلال مرضية، وبطلا في ميدان المعاملات، مفرقا بين الحق، والمحال¹، حتى يكون قدوة لا يمكن إنكارها، أو تجاوزها، لهذا السبب بعثت الرسل، والأنبياء لأن الخالق -جل وعلا- أراد أن يكون في الأرض صاحبا، ومصحوبا، تابعا،

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 71

ومتبوعا لقوله - تعالى - : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾¹، الدالة على أن لكل قوم إماما يأتون به، وهاديا يتقدمهم فيهديهم إلى الخير².

إن التركيز على النتائج الواقعية للتعليم في الفكر الأكبري الأخلاقي، تبرز في تمسكه بالجانب الروحي في التربية، الدالة على التأديب أولا، ثم التعليم ثانيا، وهذا تنبيه على إلزامية السعي بشدة لتجسيد الأهداف التربوية، وممارستها واقعا، من خلال إنزال الغايات المسطرة من دائرة التصورات الصورية، المفسرة للنشاط التعليمي إلى ميدان الحقيقة المغيرة لسلوكات المتعلم، خاصة منها الأخلاقية التي بها يضمن تتابع باقي الجوانب الجسدية، والاجتماعية، والعقلية بشكل سليم، وصحيح، حتى تكون منبع الاستقامات، والفتح، والتقىد بالمنهج الأخلاقي الأكبري في الممارسة التعليمية يستوجب الاهتمام بثلاثة أقطاب رئيسية هي المعلم، والمتعلم، والطريقة، ولا يمكن للتعليم أن يحقق أهدافه إلا بمقدار توفر هذه الشروط، والتحامها، لا الفصل بين قسمها الحسي، والمعنوي كما هو موجود في الفترة الحالية، أين ثبت اهتمام التعليم بجانبه الكمّي بتوجه الأغلبية العظمى ممن ينخرطون في سلك المدارس، ويتعلمون تحت راعيتها إلى اعتبار التربية أداة عملية محدودة، وضيقة تمكنهم من كسب عيشهم³، متجاهلين إثر ذلك دور الجانب النفسي في النهوض بالتعليم، وبممارسته واقعا، ما يجعل التعليم ينزل لا محالة إلى ما هو مادي ملموس، مجردا من القيم الإنسانية ليصبح مجرد سلعة يمكن لأي شخص أن يوظفها لأي غرض⁴، فيباع التعليم، ويشترى بتوجيه من المرتزقة في ظل الفصل بين الواقع الإنساني، وقيمه الأخلاقية العليا.

1 - سورة الرعد، الآية 7.

2 - الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج4، ص 408.

3 - جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ص 56.

4 - الكيلاني عرسان ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات المعاصرة،

مكتبة المنارة، السعودية، ط 1، 1987، ص 55

إن اهتمام ابن العربي بالجانب العملي في التعليم، يمكن أن نرجعه إلى مبدئه القائل بأنه ليس في طريق الله - تعالى - مقام يكون فيه الظاهر دون باطن¹، لذا وثق الشيخ الأكبر التعليم بالأخلاق سعيا منه إلى تحصيل المتعلم، والحرص على انتمائه الحضاري، والحفاظ على هويته المسلمة، وهو مسعى الكثير من المنظمات الإسلامية المعاصرة للتربية، والتعليم في إبراز اهتمامها المتميز بإدماج القيم الإسلامية في المواد التي تدرس في مراحل التعليم المختلفة²، حتى يصبح التعليم ممارسة تظهر آثارها على المتعلم إذا ما تغير سلوكه، وتحسن، فالتعليم حسب الفلسفة الأخلاقية الأكبرية ليس جملة مناهج، ووضعيات تهدف إلى تحقيق كفاءات كالتدريس، والتوظيف، والتصرف، والإنجاز، والتّمرن تظهر لقارئها أنها تامة، لكن أثناء الممارسة يعجز المتعلم على بلوغها، لا لضعف المعلم، أو نقص المنهج، بل لعدم تحضيره روحيا لاستقبال المعارف، ما يفسر الحرص الشديد لابن العربي في ربط الناحية الخلقية الدينية للمريدين بتربيتهم، وتعليمهم من خلال العلاقة التي رسمها بين المعلم، والمتعلم، والتي أقامها على أصول شرعية إسلامية ينطلق منها التعليم، وإليها يعود.

نستطيع أن نستخلص مما سبق جملة من الحلول بإمكانها أن تكون قاعدة لتقويم التعليم، وإنجاحه، وهي كالتالي:

- ضرورة مراعاة التدرج في تقديم المعارف بما يناسب المتعلم.
- ضرورة احترام المعلم للتباين الموجود في الأوساط البيئية للمتعلم، حتى لا يتعدى على حقه، ولا يشجع على التهاون، والهروب من العلم.
- ضرورة إيمان المعلم بأن التعليم ليس شيئا يفرض على المتعلم، ويقحمه قسريا من الخارج، إنما هو تهذيب للأخلاق، وصقل للمواهب الدفينة للمتعلم.

1 - ابن العربي، الفتوحات المكية، ج 1، تحقيق عثمان يحيى، ص 151

2 - الصمدي خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، ص 5

- ضرورة تفعيل الجانب الأخلاقي داخل المؤسسات التربوية من خلال ردع المخالفين، وتحفيز المنضبطين.
- تدريب المتعلم على ضبط نفسه، والرقى بها من خلال الصرامة في الرقابة، والجدية في الجزاء.
- الانتقال بالتعليم من الجانب الصوري الشكلي إلى العملي الميداني لا يقوى إلا بربط أطراف التعليم بالقيم الأخلاقية.
- تطوير الذكاء اللغوي باكتساب معان راقية، موسعة لنطاق المعرفة.
- حماية المتعلم من الانفعالات، والتوترات النفسية الشديدة التي تعيق وظائف العقل
- احترام المعيار الأخلاقي في التعليم حتى نُكُونْ شخصيات سوية، متزنة، تتمتع بالصحة النفسية.
- ضرورة التسليم بأن مهمة التعليم الأخلاقية هي مساعدة المتمدرس الصغير، العاجز كي يصبح إنسانا ذا أخلاق، قادرا، فعالا، وكفؤا.

الخاتمة

خاتمة

- نخلص في خاتمة هذا البحث إلى أن التصوف عند ابن العربي كله أخلاق، لذا فهو عندما انطلق في البحث عن المواقف الكلامية، والفلسفية لأهل النظر جعل من أخلاق التوحيد عنده منطلقاً لنسج مسلماته الراضية لمناهج هذه الفئة من المفكرين كالتأويل، لعجزهم عن الغوص في الكلام عن ذات الله، وصفاته من جهته في ظل صعوبة التحكم في معاني اللفظ العربي لتعدد مدلولاته، ما صعب مهمة إخراج اللفظ من المجاز إلى الحقيقة.

- تعتبر أخلاق التوحيد عند ابن العربي رداً على كلام المتكلمة، والفلاسفة في العقيدة لإيمانه بأن مثل العقل الذي يريد طرق باب الإلهيات كمثل العين التي ترغب في رؤية الشمس، فيعميها بريقها، لذا كانت أي محاولة في إقحام العقل في النص الديني عنده محرمة، حفاظاً على سلامته من التشويه، والتحريف.

- جعل ابن العربي من أخلاق التوحيد أساساً قوياً لإحداث التفاضل بين المؤولين، فكان أهل العرفان عنده الأفضل في التعامل مع مسألة التأويل كونهم أدخلوا قلوبهم من الفكر، والنظر، لإيمانهم بأن معرفة الله - تعالى - لا تحصل بهما، مطيحاً بذلك ببرهان الشاهد على الغائب في الإلهيات، لانعدام البرهنة بمن له مثل مع من لا مثل، ولا نظير له، ما يؤكد أن صوفية ابن العربي جوهرها إسلامي، القرآن، والحديث فيها أرض خصبة لبذر بذوره الروحية.

- إن موقف ابن العربي من مشكلة النصوص المتشابهة الواردة في القرآن تمتاز بالأصالة، والعمق، من خلال دعوته إلى الأخذ بظاهر هذه النصوص من غير تأويل، إما عن طريق الإيمان، أو عن طريق العرفان المؤسس على الإيمان، ليكشف بذلك عن مهارته في الجمع بدقة بين موقف السلفية القائم على حرفية النصوص الدينية، وبين موقف أهل العرفان المبني على الكشف، والإلهام.

- إن العقل الإنساني حسب الشيخ الأكبر إذا ما أحيط بالإيمان القوي تيقن بوجود الله فيسلم بقلب صاف، ومؤمن بوحديته، فيمتنع عن الغوص في العلم الرياني، لاستحالة ذلك، وهو ما يبرر تفنيد ابن العربي لحقيقة أن يكون للفلسفة دور في معرفة الله، لعجز وسيلة العقل المعتمدة عليها، وكذا الحواس، فالله - تعالى - لا يدرك من حيث ذاته كما هو في ذاته بل من حيث وجوده وكما هو في وجوده، لأنه لا ينكشف أمام الفكر الإنساني إلا في مظهر خارجي أجنبي عن ذاته يدل عليه، يتجلى فيه الخالق من غير تقييد، ولا عينية.

- إن إعراض ابن العربي عن العقل، وميادينه لا يعتبر احتقارا له، لأنه يعترف بفضلها في مجال خاص يتناسب مع قدراته، وإمكانياته، وما كان رفضه له إلا في الماورائيات، فكان حرصه على سلامته مستمدا من عقيدة الإسلام الداعية لحفظه، كونه أحد الضروريات الخمسة التي أمر الله - تعالى - بحفظها، ورعايتها، لأن بها صلاح الدين، والدنيا، ما يفسر ربط "الشيخ الأكبر" للعقل بالأخلاق، والضوابط الشرعية، لإيمانه بأن من فسد عقله فقد مناط

التكليف، وعجز عن تحصيل العلوم الضرورية المميزة بين أحواله، والمكونة لاستقامته، فيتوهم قدرة التطلع على الغيبات.

- إن غياب الأخلاق عن العقل تجعله يهجر وظيفته الأولى التي من أجلها خُلِق، والمتمثلة في العبادة، والتأمل، لعدم التزامه الديني الذي به يمهد لبلوغ المعرفة الحقيقية التي تقوم أساسا على معرفة الله - تعالى - في حدود ما نص عليه دستورهِ، فحسب ابن العربي كلما كانت المعرفة بنزاهة الخالق، ووحدايته أتم كانت المعرفة بالمخلوقين أتم، عكس ما قال به المتكلمون، والفلاسفة الذين انطلقوا من المخلوقات لمعرفة الخالق، ما جعل " الشيخ الأكبر " يحرص على تهذيب النفوس، على غرار ما نص عليه الشرع الإلهي، حتى لا تتناقض هذه الذوات بين ما تقول، وما تفعل، فتتركى لقبول الرضى من عند الله، ما دام أن حياة الإنسان في الدنيا ما هي إلا جزء بسيط امتداده الكبير في الآخرة.

- تنوعت العقول في فلسفة ابن العربي الأخلاقية، وتفاضلت، فكان منها ما هو عام للعامة - العقل الفطري -، وما هو خاص للخاصة - العقل الوهبي - كما تميز لأهل الله الذين مكنتهم أخلاقهم العالية من جعل ظلمة الليل نورا، وسعادة عندهم، حبا في الله وتقربا منه عرفانا بفضلِهِ - سبحانه - عليهم، سواء كان تقربا إلهيا عاما معبرا عن واسع قدرة الخالق، ونعمته على خلقه، أم قربا خاصا دالا على سمو حبه، وبالغ رحمته، ووده بعباده الأتقياء، علما أن الرب - تعالى - حسب ابن العربي مهما كانت سعة تجلياته على عباده لا يزال ربا.

- ترفع الأخلاق العالية الأفراد بعضهم على بعض، وتركيبهم، لذا كان مقام فتوة الإنسان حسب ابن العربي رغم تقدمه في السن فضائله، ومكارم أخلاقه، لذا كان التورع، واجتناب الشبهة عنوان أخلاق أهل العرفان، والتوحيد، الذين مكنتهم أخلاقهم الشرعية من الاقتراب من ربهم فارتقوا إلى مستوى رباني بحيث لا ينظرون إلا بعين الله، ولا يسمعون إلا بسمعه، ولا ينطقون إلا عن أمره، ولا يفقهون إلا بنوره، لكن مهما بلغوا من ارتقاء فلن يكونوا إلا عبادا.

- إن وحدة الوجود عند ابن العربي لا تعني بها أن الله هو العالم، والعالم هو الله، إنما هي وحدة في مستوى الوجود الخارجي، أي الوجود من حيث مظهره، وآثاره، وهي وحدة إيجاد، لا وحدة موجودات، فالله - الواحد القهار - أصل جميع الخلائق كما، وكيفا، حقيقة، ووجودا، من غير حلول ولا إتحاد، ولا تركيب، ولا مزج، فما الوجود الحقيقي عند ابن العربي إلا الحق - تعالى -، وكل ما يرى في هذا العالم من مخلوقات هي رموز، ودلالات عليه، لذا ربط ابن العربي العرفان بالإيمان لأنهما عنصران أساسيان، ومتكاملان هدفهما تحقيق الكمال التام في الذات البشرية.

- نادى ابن العربي بأخلاق تقوم على منهج تطبيقي، وواقعي، لاهتمامه بالباطن، وانعكاساته على الواقع، وهو ما جسده أسس العملية الأخلاقية عنده، الظاهرة، والباطنة منها، والتي لا تُفعل إلا عن طريق الإرادة الجادة، المتجلية في الرياضات، والمجاهدات، حبا في الله، هذا

الحب الذي اعتبره ابن العربي أصل العبادة، وجوهرها، لأنه لولا معرفة الله، ومحبه لما سارع المؤمن إلى عبادته.

- تفلح العملية الأخلاقية عند ابن العربي كلما ارتكزت أسسها على ضوابط، ومعايير تضمن صحة صدق هذه الأعمال، منها الاعتصام بحبل الله، وتوحيده، مع الزهد في الدنيا، كلما اجتمعت في المرید تسنى له حفظ عقله، وتقوى ربه، فتكشف له الحقائق، وتتجلى.

- إن تركيز ابن العربي على تطويق نشاط الإنسان بالضوابط الأخلاقية حتى يتمكن من معرفة ما ينبغي أن يتعلمه الفرد، وما يجب أن يتجنبه ليكون صالحا في توجيه نفسه، وقيادة طبائعه، خادما لمجتمعه وأمته، لذا تعتبر صوفية ابن العربي دعوة إلى إيجاد إنسان جديد في أخلاقه، ومثله، ومعتقداته، ومعاملاته، وإنسانيته، واجتماعيته، وهو دليل واضح على أن التصوف الإسلامي فيه ما هو عام للعامة - الأخلاق -، وما هو خاص للخاصة - المعرفة -.

- إن للتصوف الأكبري ظاهر يبرز في تمكين الفرد من فنون الحياة من خلال عمله على ضبط السلوك في اتجاه معرفة الخالق، وباطن يكمن في الزامية التشبع بأداب الشريعة حتى يفلح الإنسان في مقاصده.

- إن تلاعب تصوف عند ابن العربي مع مختلف الأوساط الاجتماعية، في كل الأوقات، تأكيدا على أن فكره الأخلاقي دعامة قوية يحتاجها الواقع العربي الراهن لتقويم مشكلاته

وإصلاحها، فمن خلالها نستطيع التأكيد على أن ضياع أهداف الحداثة، وفشل التعليم سببه غياب المقوم الأساسي لهما - الأخلاق - لنجزم على أن الحداثة العربية روح بالأصل، مادة بالفرع، وأن القيم الروحية جوهرها، خاصة في الوقت الذي طغت فيه المادة هادمة بذلك كل المعايير الأخلاقية، لتجعل من الحداثة العربية عارية دون روح، ولا يقام التعليم حسب الفكر الأخلاقي الأكبري إلا بروح أخلاقية موجه لحركته التعليمية، والتربوية، وبناءها على المودة، والتواضع، والتكافل، لذا فالحاجة إلى التصوف الإسلامي حاجة ضرورية، لصعوبة تقبل مجتمع مسلم يفنقر لأبرز وجوه التصوف الأساسية - الأخلاق -.

قائمة المصادر والمراجع

-أولا - المصادر

-I- أ - القرآن الكريم

ب- الحديث النبوي الشريف

II - مؤلفات ابن العربي المطبوعة

- الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار، تقديم عبد الرحمان حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1986.
- التنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العليا، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط، القاهرة، 1988
- التنزيلات الليلية في الأحكام الإلهية، تقديم وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط، 1987
- التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1986
- توجهات الحروف، مكتبة القاهرة، د ط، د ت
- الدرّة البيضاء، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993
- ديوان ابن عربي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1996
- رسائل ابن عربي، تحقيق سعيد عبد الفتاح، د ط، د ت
- رسالة إلى الإمام الرازي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948

- رسالة الانتصار، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- رسالة الأنوار، دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- رسالة الخلوة المطلقة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، د ط، د ت
- رسالة شجرة الكون، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1987.
- رسالة القسم الإلهي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- رسالة كنهه ما لا بد للمريد منه، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة، 1987
- رسالة لا يعول عليه، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- رسالة موسومة بالحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، المطبعة الرسمية التونسية، د ط، 1899
- شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، ط 2، 1985
- العجالة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، القاهرة، د ط، د ت
- عقيدة أهل الإسلام، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993
- الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى، مراجعة إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، 1974
- الفتوحات المكية، دار صادر، د ط، د ت

- فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، د ط، د ت
- كتاب الأزل، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب التراجم، جمعية دار المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب الجلالة وهو كلمة الله، جمعية دار المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1942
- كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948.
- كتاب الفناء في المشاهدة، جمعية دار المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1942
- كتاب القرية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1943
- كتاب الكتب، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب المسائل، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب المنزل القطب ومقاله وحاله، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب الميم والواو والنون، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب الوصايا، جمعية دار المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948
- كتاب الوصايا، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948

- كتاب الياء، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948

- الموعظة الحسنة، مراجعة وتعليق عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر، ط 1، القاهرة،

1987

- الوصية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد الدكن، 1948

III- المخطوطات المنسوبة لابن العربي

- تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان، رسالة رقم 2، من الورقة 5، وجه، خط مغربي،

مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

- رسالة إنشاء الدوائر الإحاطية على الدقائق على مظاهاة الإنسان الخالق والخلائق،

رسالة رقم 9، من ورقة 111، ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم

5110، المكتبة الوطنية، تونس.

- رسالة إلى محمد بن عمر الرازي، رسالة رقم 8، من الورقة 104 ظهر، خط مغربي،

مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس .

- رسالة إلى محمد بن عمر الرازي، رسالة رقم 8، من الورقة 105 ظهر، خط مغربي،

مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

- رسالة أوراد الأيام السبعة، رسالة رقم 1، من الورقة 3، ظهر، خط مغربي، مسطرتها

33، ضمن المخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

- كتاب شرعة الإسلام إلى دار السلام، رسالة رقم 13، من الورقة 191 ظهر، خط

مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط رقم 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

- كتاب شجون المسجون، رسالة رقم 20، من الورقة 275، ظهر، خط مغربي، مسطرتها 33، ضمن مخطوط 5110، المكتبة الوطنية، تونس.

VI- المصادر المترجمة

- **L'Interprète des désirs**, Présentation et traduction de Maurice Gloton, Avant-Propos de Pierre Lory, Albin Michel, Paris , 1996.

- **Le livre de l'arbre et des quatre oiseaux d'Ibn** رسالة الإتحاد الكوني
في حضرة الإشهاد العيني بمحضر الشجرة الإنسانية الطيور الأربعة Arabi Dans annales islamologiques

Tomes XVII, Institut Francaise, d'Archéologie Orientale de caire, 17-1981 .

- **Le livre des termes techniques du soufisme kitab ictilah as-sufiyah du sheikh al-akbar seyidi muhy ad-din ibn arabi**, introduction et traduction par Slimane Rezki, Tabernacle des lumieres, Juin 2010.

- **Le livre DU NOM DE MAJESTE "ALLAH"**, traduit de l'arabe et présenté par MICHEL Valasan, Edition sagesse et tradition BPE 2441, BamaKo, Mali , 2008.

-ثانياً - قائمة المراجع باللغة العربية

ابن القيم الجوزية شمس الدين، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، تحقيق علي بن محمد الرخيل الله، دار العاصمة، د ط، الرياض، د ت.

-----، الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية، تحقيق محمد بن عبد الرحمان العريفي وآخرون، دار علم الفوائد، د ط، د ت.

-----، بدائع الفوائد، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، د ط، د ت.

-----، مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د ط، د ت.

-----، كتاب الفوائد، دار نور الكتاب للنشر والتوزيع، ط 1، 2010.

ابن تيمية عبد الحلیم، الإيمان، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس، دار الفكر، د ط، د ت.

-----، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 2، السعودية، 1991.

-----، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د ط، السعودية، 2004.

-----، الرد على المنطقيين المسمى أيضا نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، تحقيق شرف الدين الكبتي، مؤسسة الريان، ط 1، 2005.

ابن حبان، كتاب المجروحين من المحدثين، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط 1، 2000.

ابن حزم أبو محمد علي (المعروف بابن حزم الظاهري)، كتاب الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض، دار ابن حزم، د ط، د ت.

-----، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، ط 2، بيروت، 1996م.

ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويشي، دار يعرب، ط1، 2004.

- ابن خلکان أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د ط، د ت.

ابن رشد أبو الوليد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من إتصال، تقديم أبو عمران الشيخ وجلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1982.

ابن سينا أبو علي، الشفاء، مراجعة إبراهيم مذكور، المطبعة الأميرية، د ط، 1952.

-----، عيون الحكمة، تحقيق موفق فوزي الجبر، دار الينابيع، د ط، 1996.

ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1، 1997.

ابن مسكويه أبو علي، تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، د ط، بيروت، 1966.

أبو العباس أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1999.

أبو الفرج ابن الجوزي، أخبار الأذكيا، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 2003.

-----، تلبيس إبليس، دار القلم للطباعة والنشر، د ط، بيروت، د ت.

-----، صيد الخاطر، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992.

 كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعة، تحقيق نور الدين جيلار،
 دار أضواء السلف، ط 1، 1997.

أبو بكر عبد الله (المعروف بابن أبي الدنيا)، موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب
 الثقافية، ط 1، 1993.

أبو حفص الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق علي محمد معوض
 وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1998.

أبو داود سليمان، سنن أبي داود، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر
 والتوزيع، ط 2، الرياض، 2007.

أبو طالب المكي محمد، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام
 التوحيد، تقديم محمود إبراهيم ومحمد الرضواني، مكتبة دار التراث، ط 1، 2001.

أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ)، رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، تقديم علي أبو
 ملحم، مكتبة الهلال، ط الأخيرة، 2002.

 رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة
 الخنائجي، ط 1، 1997.

 كتاب الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، منشورات مكتبة
 الهلال، ط 3، 1990.

أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة الخانجي ودار الفكر، د ط،
 1996.

-----، كتاب الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية، تحقيق بدر بن عبد الله

البدر، دار ابن حزم، ط 1، 1993

الآبي أبو سعد، نثر الدرّ في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغاني محفوظ، دار الكتب

العلمية، ط 1، 2004

أحمد أبو عبد الرحمان (الشهير بالنّسائي)، تعليق ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف

للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، د.ت.

أحمد أمين، ظهر الإسلام، مراجعة شفيق البسط، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 2006.

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة، د ط، د.ت.

أرسطو طاليس، كتاب النفس، نقله إلى العربية أحمد فؤاد الأهواني، دار الإحياء للكتب

العربية، ط 1، 1949.

أزفد كولبي، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلاء عفيفي، مكتبة النهضة المصرية،

القاهرة، ط 5، 1965.

الأزهري أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام سرحان، مراجعة محمد علي النجار،

الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ط، د.ت.

أسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو مصرية،

د ط، مصر، 1965.

الأصبهاني أبو القاسم، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق ودراسة

محمد بن محمود أبو رحيم، دار الولاية، ط 1، الرياض، 1990.

الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد

معوض، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1993.

إيمانويل كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ترجمة نازلي إسماعيل حسين وآخرون، المؤسسة

الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 1991.

الباقلاني أبو بكر، التمهيد، صححه رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة المشرقية، د ط،

بيروت، 1957م.

-----، كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر،

مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1987.

البخاري أبو عبد الله، صحيح الإمام البخاري، قام على نشره علي حسن، دار الزهراء

للإعلام العربي، 2006.

البغدادي علاء الدين، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل،

ضبط وتصحيح عبد السلام علي شاهين، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، د ت.

البنغوي أبو محمد، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية

وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط 1، الرياض، 1989.

البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، د ط
القاهرة، 1984.

بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربي الفقيه)، أحكام القرآن، مراجعة محمد عبد
القادر عطا، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، د ت.

بن جزيا الكلبى أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب
العلمية، ط 1، بيروت، 1995.

بيار بويانسي، أبقرس، ترجمة بشارة سارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1،
بيروت، 1980.

بيدبا، كلية ودمنة، ترجمة عبد الله ابن المقفع، دار المعارف، د ط، بيروت، 1994

البيضاوي عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشيد، ط 1، بيروت، 2000.

البيهقي أبو بكر، شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بيوني زغلول، دار
الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000.

-----، كتاب الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الجنان ومؤسسة الكتب
الثقافية، ط 1، 1987.

الترمذي محمد، سنن الترمذي، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع، ط 1، الرياض، 2008.

الثعالبي عبد الرحمان، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1997

الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، تحقيق محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط

1، بيروت، 2002.

جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلومصرية، د

ط، القاهرة، 1964.

الجويني عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، تعليق صلاح بن محمد بن عويضة، دار

الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997.

-----، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق فوقية حسن

محمود، عالم الكتب، ط 1، 1965.

الجيلالي عبد القادر، الفتح الرباني، د ط، د ت.

الجيلي عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق أبو عبد الرحمان

صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1997.

-----، شرح مشكلات الفتوحات المكية ل تحقيق يوسف زيدان، دار سعاد

الصباح، ط 1، الكويت، 1992.

حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع، ط 4، بيروت، 1992.

الحمبلي محمد، البحور الزاخرة في علوم الآخرة، تحقيق محمد إبراهيم شلبي شومان، شركة غراس للنشر والتوزيع، ط 1، 2007.

-----، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1996.

الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1979.

الخلواتي إسماعيل، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، د ت.

الدَّارمي أبو محمد، مسند الدَّارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني، ط 1، 1997.

ديكارت روني، مقال عن المنهج، ترجمة محمد الخضير، مراجعة وتقديم محمد مصطفى حلمي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط 2، 1968.

الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق اكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1983.

الرازي فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، تقديم أحمد حجازي السقا، مطبعة دار التضامن، د ط، القاهرة، 1986.

-----، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1، 1981.

-----، كتاب النفس والروح وشرح قوامها، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي،
د ط، د ت.

-----، لباب الإشارات والتنبيهات، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات
الأزهرية، ط 1، مصر، 1986.

-----، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين،
مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، د ط، د ت

الزركشي عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، ج 5، مراجعة عبد القادر عبد الله
العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، الكويت، 1992.

زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط 9، القاهرة، 1993.

الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،
تخريج وتعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط 3، بيروت، 2009.

ساعد خميسي، نظرية المعرفة عند دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2001.

السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد
الطناحي دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت

السجستاني أبو يعقوب، كتاب إثبات النبوات، تقديم وتحقيق عارف تامر، المطبعة
الكاثوليكية، ط 1، بيروت، 1996

السخاوي محمد عبد الرحمان، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على

الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1985

سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع، 1991.

السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان

بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2002.

السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك

فهد، د ط، المملكة العربية السعودية، د ت.

-----، الأكليل في إستنباط التنزيل، مراجعة أبو الفضل عبد الله محمد الصديق

الغامري الحسيني، د ط، د ت

-----، الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو

والإعراب وسائر الفنون، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، ط 1،

بيروت، 2000.

-----، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،

مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط 1، 2003.

-----، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق سامي النشار، دار

نصر للطباعة، ط 2، د ت.

الشاطبي أبو إسحاق، الإعتصام، تقديم وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، د ط، د ت.

-----، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة، دار ابن عفان، ط 1، 1997

الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد، د ط، د ت.

شهاب الدين أحمد بن أبي ربيع، سلوك المالك في تدابير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغاني، دار كنان للطباعة والنشر، د ط، 1996

الشهرزوري ابن صلاح، فتاوى ومسائل ابن صلاح في التفسير والحديث في الأصول والفقهاء ومعها أدب المفتي والمستفتي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، ط 1، بيروت، 1986.

الشهرستاني أبو بكر، المثل والنحل، تحقيق أمير مهنا وحسن فاعور، دار المعرفة، ط 3، بيروت، 1993.

الصمدي خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د ط، 2003.

صهيب سمران، مقدمة في التصوف، دار المعرفة، ط 1، 1989.

الطبراني أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1995.

-----،المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط
2، القاهرة، د ت.

الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل أي قرآن، تحقيق بشار عواد معروف وعصام
فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1994

طه عبد الرحمان، الحداثة والمقاومة، معهد المعارف الحكيمية للدراسات الدينية والفلسفية، ط
1، 2008.

-----، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، ط 1،
2005.

-----، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2013.

-----، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار
البيضاء،المغرب، ط 2، د ت.

-----، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، المغرب،
2006.

-----، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي
العربي، الدار البيضاء، ط 1، المغرب، 2000.

-----،حورات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت،
2011.

عبد الحليم محمود، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي، ط 2، د ت.

عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1980.

عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، ط 2، بيروت، 1981.

عرايبيّة سهام، منزلة العقل عند محي الدين بن العربي، منشورات ألفا للوثائق، ط 1، الجزائر، 2017.

العسقلاني بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية، د ط، د ت.

الغزالي أبو حامد، بداية الهداية، تحقيق عبد الحميد محمد درويش، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998.

-----، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الأفاق الجديدة، ط 2، بيروت، 1975.

-----، ميزان العمل، تحقيق سليمان دينا، دار المعارف، ط 1، مصر، 1964.

-----، إحياء علوم الدين، تقديم بدوي طبانة، مكتبة كرياضة فوترا، د ط، أندونيسيا، د ت.

-----، المنقذ من الضلال، تحقيق وتقديم محمود بيجو، مراجعة محمد سعيد رمضان البوطي وعبد القادر الأرنؤوط، المكتبة التوفيقية، د ط، د ت، ص 68.

-----، الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، ط 1، 1978.

-----، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، ط 2، بيروت، 1975.

الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تقديم علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، ط 1، د ت.

-----، تحصيل السعادة، تقديم عليو ملح، دار الهلال، ط 1، 1995.

-----، أهل المدينة الفاضلة، تقديم ألبير نصري نادر، دار الشروق، ط 2، بيروت، د ت.

فؤاد معصوم، أخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، ط 1، 1998.

فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، د ط، 1983.

القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، د ط، الرياض، 2003.

القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحميد محمود ومحمود دينا شريف، دار المعارف، د ط، د ت.

القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، إعداد وتحقيق معروف مصطفى رزيق، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 2001.

القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تعليق ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، د.ت.

القشيري عبد الكريم، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000.

قطب محمد، مناهج التربية الإسلامية، ج 2، دار الشروق، ط 1، د.ت

الكيلاني عرسان ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات المعاصرة، مكتبة المنارة، السعودية، ط 1، 1987.

الماوردي أبو الحسن، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، ط 1، بيروت، 2013.

-----، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، د.ت.

محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، 2009.

محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 1991.

محمد منير آغا النقلي الدمشقي الأزهري، الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية، دار ابن كثير، د.ط، دمشق، د.ت.

محمود الألوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، د ت.

محمود الفراب محمود، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محي الدين مطبعة نصر، ط 1، 1994.

محمود كيشانة، فلسفة الأخلاق عند إخوان الصفا، دار ابن نديم للنشر والتوزيع، ط 1، 2017.

المروزي عبد الله، الزهد والرقائق، ط 1، دار المعراج الدولية، 1995.

مسلم أبو الحسين، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، وشركة ابن باديس للكتاب، ط 1، الجزائر، 2010.

المصباحي محمد، إشكالية العقل عند ابن رشد، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1988.

النسفي أبو البركات، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق سيد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت.

نصر حامد أبو زيد، العربي، هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 2002.

-----، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، المركز الثقافي العربي، ط 5، 2003.

النورسي بديع الزمان سعيد، موسوعة كليات رسائل النور، ترجمة زاهد الملاز كردي، شركة رسائل النور، ط 1، 2010.

النيسابوري أبو عبد الرحمان، المقدمة في التصوف وحقيقتها، تحقيق يوسف زيدان، مكتبة الكليات الأزهرية، د ط، د ت.

هنّاد بن السري الكوفي، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمان بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط 1، 1985.

ويل ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، ط 6، بيروت، 1988.

رابعاً - قائمة المعاجم والموسوعات

- أبو البقاء الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد ووضع

عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1998

- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت.

- أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل

الصفاء عن كلام خاتم الأولياء، دار قباء للطباعة والنشر، د ط، 2000.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، 1982.

- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط 1، بيروت، 1987.

- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، ط 1،

1981.

- الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط 1،

القاهرة، 1987.

- الكشاني عبد الرزاق، معجم إصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شهين، دار المنار، ط 1، 1992.

ظامسا - المجلات العربية

- مجلة جذور، يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، العدد 45، 2016
- مجلة جماليات، تصدر عن مخبر الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية، بجامعة مستغانم، العدد 2، 2015
- مجلة مركز دراسات الكوفة، تصدرها جامعة الكوفة، العراق، العدد 39، 2015.
- مجلة الوحدة، مجلة فكرية يصدرها المجلس القومي للثقافة العربية، باريس، فرنسا، العدد 49، أكتوبر 1988

ساحسا - قائمة المراجع باللغات الأجنبية

- **A.Guthlin**, les Pensées de Pascal, Reproduites d'après le texte autographe disposées selon le plan primitif et suivies des OPUSCULES, P.LETHIELLEUX, Libraire-Editeur 10 Rue cassette, 10, Paris
- **Alain Ducq**, la voie dévotionnelle du soufisme en Irak du VIII^e au IX^e siècle, Edition Références, Paris, 2011 .
- **Henri Bergson**, les deux sources de la morale et de la religion, Edition électronique (ePUB, PDF) v :1,0, les Echos du Maquis, Avril 2013.
- **C-Chitick William**, the death and the world of Imagination Ibn Arabis eslamolygy in the muslim world volume:LXXVIII N° 1 Published by the Duncan Black Machdonald center at Hartford Seminary Janury 1998.

- **Farid-ud-din ‘attar**, le memorial des saints, traduit d’après A.Pavet de courteille, introduction de Eva de Vitray-meyerouitch, Edition du Seuil, 1976.
- **Gril Denis**, Adab and Revelation or one of The Fondations of the Hermeneutuc of Ibn Arabi In Muhyiddin Ibn Arabi a commemorative volume Edited By Stephen Hirtenstein and Michael Tierman, Element Shaftesbury, dorest,Rockport,Massachusetts, Brisabne, qucensland of the Muhyiddin Ibn Arabi, Society.
- **LAILA Khalifa**, Ibn Arabi l’initiation à la futuwa, Edition dar Albouraq, Beyrouth, Liban, 2001 .
- **Vincent Derkaoui**, les Joyaux de l’orient, le maitre soufi et l’adepte, Edition Ossmi, Mais 1994.

سابع - المجلات والدوريات الأجنبية

- **Archives de sciences sociales des religions**, N° 125, 2004.
- **Horizons maghrebins-le droit à la memoire**, N° 65, 2011.
- **Revue de l’histoire des religions**, N° 215-1, 1998.
- **Revue des mondes musulmans et de la méditerranée**, N° 63-64, 1992.

ثامنا - مواقع الانترنت أو الويبجغرافيا

- <https://ar.univ-mosta.dz/index.php>
- https://www.persee.fr/issue/remmm_0997-1327_1992_num_63_1
- <http://www.seuil.com/ouvrage/le-memorial-des-saints-farid-ud-din-attar>
- <http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/ksc>

فهرس الأيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
11	11	الشورى	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١)
12	1	الأعلى	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١)
12	78	الرحمان	﴿ نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾
12	180	الأعراف	﴿ وَبِلِلَّهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾
12	180	الصفات	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠)
13	79-78	الشعراء	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾
13	79	الكهف	﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾
14	117	المؤمنون	﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾
15	7	آل عمران	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧)
16	100	يوسف	﴿ وَقَالَ يَا بَنَاتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾
17	26	الجن	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦)

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
18	2	القيامة	﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾
18	30-27	الفجر	﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾
19	125	الأنعام	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾ ﴾
21	67	التوبة	﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿٦٧﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
22	79	التوبة	﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾
22	15	البقرة	﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾
22	4	إبراهيم	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾
24	82	الأنعام	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
24	13	لقمان	﴿ يَبْنِي لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾
27	4-1	الإخلاص	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١١٧)	البقرة	117	28
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨)	التوبة	128	35
﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾	الأعراف	22	36
﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾	النساء	56	36
﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥)	الكهف	65	36
﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾	الأنفال	29	36
﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣)	الأعراف	143	36
﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (٢)	الليل	2	37
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)	آل عمران	28	38
﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾	الروم	30	43

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
43	171	البقرة	﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فُهُمَّ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾
43	35	النور	﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾
46	53	فصلت	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
51	122	الأنعام	﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾
51	24	محمد	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾
54	54	البقرة	﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾
57	103	التوبة	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾
57	27	الحج	﴿ وَأَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾
66	83	الأنعام	﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾
71	4	التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾
71	10	إبراهيم	﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾
72	69	العنكبوت	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾
83	56	الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
84	30	البقرة	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
84	63	الفرقان	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣)
87	2	الحشر	﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (٢)
87	17	الغاشية	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١٧)
88	22	الأنفال	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢)
89	179	الأعراف	﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٩)
89	21	الأحزاب	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
91	37	الحج	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾
93	29	الأنفال	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾
94	32	الحاقة	﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٣٢)
94	155	الأعراف	﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾
94	80	التوبة	﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾	الإسراء	85	100
﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ﴾	الرحمان	2	100
﴿ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَعْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	الحديد	28	101
﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾	الكهف	65	101
﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ﴾	النجم	5	102
﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	يوسف	96	102
﴿ يَتَادَمُ أَنبئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ ﴾	البقرة	33	103
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	البقرة	30	105
﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾	الحج	1	107

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
107	22	البقرة	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾
107	5	فاطر	﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾
108	6	الانفطار	﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾
108	70	الأحزاب	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾
108	105	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾
108	21	الذاريات	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾
109	53	فصلت	﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
109	105	المائدة	﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾
109	105	المائدة	﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾
111	37	ق	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾
112	54	الروم	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
115	27	ص	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴾
116	128	التوبة	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾
118	79	النساء	﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾
119	3	الزمر	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾
121	198	الأعراف	﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾
123	29	الحجر	﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾
124	5	الفاحة	﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾
129	9	الزمر	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ بِأَنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾
130	16	السجدة	﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
130	29	الفتح	﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
130	79	الإسراء	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾
130	79	الإسراء	﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾
131	2	المزمل	﴿ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾
131	79	الإسراء	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ ﴾
131	6	المزمل	﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ ﴾
132	3	العصر	﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾
133	8-7	الشرح	﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾
134	80	النحل	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾
134	67	يونس	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
135	18	ق	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾
136	11-10	سورة القلم،	﴿ وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾
136	12	الحجرات	﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾
138	3	المؤمنون	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾
142	12	محمد	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾
142	16	السجدة	﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
142	175	آل عمران	﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾
142	28	فاطر	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾
142	30	آل عمران	﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾
143	71	الزخرف	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾
146	5	البيئنة	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
149	16	الكهف	﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾
153	3	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
153	122	آل عمران	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾
154	29	الملك	﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾
154	164	الأنعام	﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾
155	58	الفرقان	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
155	2	الأنفال	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾
156	126	آل عمران	﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
157	159	آل عمران	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾
158	159	آل عمران	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾
159	18	المطففين	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴾ ﴿١٨﴾
159	7	المطففين	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ﴾ ﴿٧﴾
159	99	الحجر	﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ﴿٩٩﴾
161	15	الحجرات	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾
164	3-2	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٢﴾
167	31	محمد	﴿ وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغَنَّكُمْ ﴾ ﴿٣١﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
168	200	آل عمران	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾
169	45	البقرة	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾
169	24	السجدة	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِثَابِتِنَا يُلْقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
170	35	فصلت	﴿ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾
170	10	الزُّمَر	﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾
171	24	الرعد	﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾
172	146	آل عمران	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾
172	153	البقرة	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾
172	75	الفرقان	﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾
172	10	الزُّمَر	﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾
172	155	البقرة	﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾
172	157	البقرة	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
173	18	يوسف	﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
173	6	الفاتحة	﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾
173	44	ص	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ ﴾
174	199	الأعراف	﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّاتِ ﴿١٩٩﴾ ﴾
175	3	الصّف	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾
175	35	الأحقاف	﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾
176	93	البقرة	﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾
176	159	آل عمران	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ ﴾
176	139	آل عمران	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾
177	27	النساء	﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾
178	7	طه	﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾
178	22	يونس	﴿ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾
179	11	الرعد	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

فهرس الآيات القرانية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
180	56	المائدة	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾
181	66	النساء	﴿ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾
181	20	التوبة	﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾
182	119	المائدة	﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾
182	35	الأحزاب	﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾
182	23	الأحزاب	﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾
184	2	يونس	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
185	57	يونس	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾
185	110	البقرة	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾
186	262	البقرة	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
187	49	مريم	﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾
188	119	التوبة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾
193	146	النساء	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
194	101	آل عمران	﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾
195	4	القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾
195	7	الحشر	﴿ وَمَا ءَانْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوٓا۟ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾
195	78	الحج	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾
199	11	الشورى	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾
199	29	الأنبياء	﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ ۚ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾
199	22	سبأ	﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ ۚ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾
199	255	البقرة	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ۚ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
200	2	النحل	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾
203	269	البقرة	﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
204	96	النحل	﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾
204	96	النحل	﴿ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾
204	20	الحديد	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ۖ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ مِّنْ بَيْنِكُمْ ۖ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ لِّلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾
207	10	الملك	﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾
209	12	الجنات	﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَغْوَا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
209	57	الأعراف	﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
209	91	المائدة	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
211	9	الإسراء	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾
212	31	النحل	﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣١)
212	63	مريم	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣)
214	1	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾
215	179	البقرة	﴿ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (١٧٩)
216	16	التغابن	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾
219	97	النحل	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧)
220	5	الصَّف	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ﴾ (٥)
243	28	فاطر	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨)
243	5-1	العلق	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾
248	21	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فهرس الآيات القرانية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
250	32	النجم	﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ﴿٣٢﴾
252	7	الرعد	﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿٧﴾

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الرواة	الحديث
13	السخاوي محمد عبد الرحمان	«إنا الله أدبني فأحسن تأديبي»
13	أبو داود	« قُمْ أَوْ أَذْهَبْ - بئس الخطيب أنت »
16	ابن ماجه	« إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة، وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة »
20	الإمام مسلم	«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمان، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»
23	الطبراني	« لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال إن يكثر لهم من المال فيتحاسدوا، فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن بيتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله...»
46	الإمام البخاري	« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »
46	هنّاد بن السري الكوفي	« تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق »

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

54	البيهقي أبو بكر	« قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه»
57	النسائي	«...جعلت قرّة عيني في الصلاة»
57	الإمام مسلم	« كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزّي به»
70	أحمد بن حنبل	«...أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري...»
72	أبو داود	«...كلمة عدل عند سلطان جائر»
74	الإمام مسلم	«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»
94	ابن ماجه	«...كن ورعا تكن أعبد الناس...»
118	ابن ماجه	« إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق، فاقتربوا منه، فإنه يلقي الحكمة»
118	الإمام مسلم	«...والخير كله في يديك...»

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

119	الترمذي	« دع ما يريبك إلى ما يريبك »
119	الدارمي أبو محمد	« استفتت نفسك، استفتت قلبك يا وابصة - ثلاثا-، البر ما اطمأنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك »
130	الإمام البخاري	« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »
131	النسائي	« إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا »
135	الإمام مسلم	« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت... »
135	ابن ماجه	« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »
135	الإمام مسلم	« أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد إغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته »
136	الطبراني	« إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا »
136	الطبراني	« الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه »

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

136	الإمام مسلم	« لا يدخل الجنة نمام »
136	الإمام البخاري	« أفلا أخبركم بشراكم؟ قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة الباغون البراء العنت »
137	أبو داود	« إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها »
139	المروزي عبد الله	« رحم الله عبدا قال خيرا وغنم أو سكت عن سوء فسلم »
139	الترمذي	«... وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »
139	الترمذي	«من صمت نجا »
140	ابن ماجه	« ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت الآدمي نفسه فتلت للطعام، وتلت للشراب، وتلت للنفس »
143	الإمام مسلم	« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

144	الإمام البخاري	« من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »
146	الإمام البخاري	« يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن »
147	البيهقي أبو بكر	« الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في العزلة، وواحد في الصمت »
149	الإمام مسلم	« إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي »
150	الطبراني	« طوبى لمن ملك لسانه، ووسع به بيته، وبكى على خطيئته »
151	ابن ماجه	« المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم »
152	ابن حبان	« صوامع المؤمنين بيوتهم »
152	الإمام البخاري	« رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب، يعبد ربه، ويدع الناس من شره »
155	الترمذي	« لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكّله، لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً »
160	ابن أبي الدنيا	« ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين »
160	الإمام مسلم	« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

161	الأصبهاني أحمد	« ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما قرّ في القلب وصدقه العمل »
171	ابن الجوزي أبو الفرج	«من أخلص لله أربعين يوماً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»
174	أبو داود	« ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه »
180	الخطيب التبريزي	من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»
185	الإمام البخاري	« فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه »
186	الإمام مسلم	« قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سألت... »
186	ابن ماجه	« من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار »
188	الترمذي	« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »
188	الترمذي	«...فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»
195	الإمام مسلم	« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

206	أحمد بن حنبل	« وما إزداد أحد من السلطان قربا إلا إزداد من الله بعدا »
206	الإمام البخاري	« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »
211	الترمذي	« كل شراب أسكر فهو حرام »
214	الإمام مسلم	إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»
215	الترمذي	« تقوى الله، وحسن الخلق »
219	أبو نعيم أحمد	« من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم »
248	العسقلاني بن حجر	كلكم راع ومسؤول عن رعيته...والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته»

فهرس الأعلام

- أبو بكر محمد بن علي الملقب (ابن العربي محي الدين): 2,3,7,9

- الطائي حاتم: 9

- ابن الزكي محي الدين: 9

- الأمير عبد القادر الجزائري: 9

- السيد الخضر: 101

- الرسول محمد النبي: 13,16,20,23,27,74,105,130,137,139,149,181

26,46,69,70,97,134,136,140,143,152,160,188,195,224

- ابن كثير أبو الفداء: 16,21,88,150,154,203,246

- ابن خلدون عبد الرحمان: 17,100,103,106,189

- الأشعري أبو الحسن: 18

- الجبائي أبو علي: 19

- علي بن أبي طالب: 19

- أبو محمد علي (المعروف بابن حزم الظاهري): 51،45

- الباقلاني أبو بكر: 20

- السيوطي جلال الدين: 25،39،139،150،190

- ابن القيم الجوزية شمس الدين: 25،61،98،126

- الأصبهاني داود بن علي بن خلف: 33

- ابن تيمية عبد الحلیم: 40

- الغزالي أبو حامد: 41،62،86،141،150

- الجويني عبد الملك: 41،44،85

- الشهرزوري ابن صلاح:42
- ابن الجوزي أبو الفرج:44،48
- أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب:52
- أرسطو طاليس:55
- كانط إيمانويل:59،63
- الفارابي أبو نصر:88، 58
- الرازي فخر الدين الفقيه:61،104،131،159،166،173،176،203
- أبو طالب المكي:05،67،190
- الجيلي عبد الكريم:05،69،71،189
- المصري ذو النون:45،72،191

- رابعة العدوية:78

- ابن مسكويه أبو علي:85

- ابن سينا أبو علي:54،86،99

- السجستاني أبو يعقوب:86

- أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب (بالجاحظ):86،96

- المحاسبي أبو عبد الله:87

- الطبري أبو جعفر:88

- ابن رشد أبو الوليد:91

- موسى عليه السلام:95،101،176

- عمر بن نفييل:97

- عمر بن الخطاب:97
- عامر بن يظرب العدوانى:97
- المصباحى محمد:99
- الجنيد أبو القاسم:102،148،154
- البسطامى أبو يزيد:102
- يعقوب النبى:102،173،187
- عبد الرحمان السعدى:109
- القشبرى عبد الكرىم:05،132،159،165،168،186،190،196
- عمرو بن العاص:135
- لقمان الحكىم:139،140،190

- الماوردي أبو الحسن: 140،168،211
- الثعالبي عبد الرحمان: 141
- القرطبي أبو عبد الله: 150،168،176
- الزمخشري أبو القاسم: 155،216
- البغوي أبو محمد: 155،178
- أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف (ابن العربي الفقيه): 147
- نوح النبي: 176
- إبراهيم النبي: 13،176،186
- إسحاق النبي: 187
- يوسف النبي: 16،103

- أيوب النبي: 173

- البيهقي أبو بكر: 191

- الشاطبي أبو إسحاق: 210

- عمر بن عبد العزيز: 215

- حسن حنفي: 229

- طه عبد الرحمان: 231، 233

- عبد الرحمان بدوي: 228

- الجابري محمد عابد: 229

فهرس المواضيع

الموضوع.....الصفحة

- مقدمة..... 7-1

الفصل الأول:.....63-8

63-9	أخلاق التوحيد عند ابن العربي تبطل مناهج المتكلمة والمتفلسفة في الإلهيات
10	أولاً: أساس بطلان آليات المتكلمين في معرفة ذات الله وتنزيهها
10	1- قصور التأويل عن معرفة ذات الله
20	2- تعدد معاني اللفظ في اللسان العربي توجب رفض التأويل
26	3- عجز أهل النظر عن تنزيه ذات الله وصفاته
27	أ- مسألة أصل العالم
28	ب- مسألة قدم العالم

29	ج- مسألة خلق العالم
30	د - مسألة إختراع العالم
32	ثانيا: الأخلاق معيار تفاضل المؤولين عند ابن العربي
32	1-المؤولون على أساس العقل المجرد (أهل النظر)
33	2-المؤولون على أساس العقل والإيمان (أهل الظاهر)
35	3-المؤولون على أساس الكشف (المتصوفة وأهل العرفان)
38	ثالثا: أسباب رفض ابن العربي للفلسفة في معرفة ذات الله
38	1-عجز الفلسفة عن الغوص في العلم الإلهي
47	2-قصور آليات الفلسفة في معرفة الله
47	أ- قصور العقل
53	ب- قصور الحس

126-64: **الفصل الثاني**

126-65	أخلاق التوحيد أساس العقل السليم عند ابن العربي
65	أولاً: مظاهر فساد العقل المفارق لأخلاق التوحيد
65	1- وهم العقل المتطلع للغيبات
72	2- تشويه العقل للمعاني الروحية.
80	3 - انحراف العقل عن العبادة والتأمل
85	ثانياً: أخلاق التوحيد معيار تفاضل العقول
85	1- العقل الفطري
91	2- العقل المكتسب.
98	3- العقل الوهبي.
106	ثالثاً: طبيعة أخلاق التوحيد عند أهل الله
106	1- ظلمة الليل نور عند أهل الله

112	2- الفتوة مقام قوة عند أهل الله
116	3 - الورع واجتناب الشبهة من أداب أهل الله

الفصل الثالث: 191-127.....

191-127	أسس الأخلاق العملية عند ابن العربي
128	أولاً: أسس أعمال الظاهر
128	1- السهر والصمت
140	2- الجوع والعزلة
153	ثانياً: أسس أعمال الباطن
153	1- التوكل واليقين
167	2- الصبر والعزيمة
182	3- الصدق

الفصل الرابع: 225-192

225-192	ضوابط أخلاق التوحيد وغاياتها عن ابن العربي
193	أولاً: ضوابط أخلاق التوحيد عند ابن العربي
193	1- ضابط الشرع
197	2- ضابط التوحيد
202	3- ضابط الزهد
207	ثانياً: غايات أخلاق التوحيد عند ابن العربي
207	1- حفظ العقل
212	2- تقوى الله
217	3- الكشف

254-226: **الفصل الخامس:**

254-226	حاجة الواقع العربي الراهن إلى الفكر الأخلاقي الأكبري (مشكلة الحداثة والتعليم أنموذجاً)
227	أولاً: مشكلة الحداثة
227	1- الحداثة العربية روح بالأصل مادة بالفرع
234	2- القيم الروحية شرط الحداثة العربية
235	3- طغيان المادة هدم للأخلاق
239	ثانياً: مشكلة التعليم
240	1- الأخلاق أساس الممارسة التعليمية
247	2- أثر التكافل الإجتماعي في العملية التعليمية عند ابن العربي
249	3- ترابط التعليم بالتواضع والموثقة عند ابن العربي

-
- 261-255 خاتمة -
 - 386-262 قائمة المصادر و المراجع -
 - 328-287 فهرس البحث: -
 - 305-287 فهرس الآيات القرآنية:
 - 313-306 فهرس الأحاديث الشريفة: .
 - 321-314 فهرس الأعلام:
 - 328-322 فهرس المواضيع:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

المشرف: أ.د. ساعد خميسي

الطالبة: سهام عرابيية

ملخص بالعربية لرسالة دكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان:

فلسفة الأخلاق عند محي الدين بن العربي

الملخص:

أنطلق ابن العربي من مذهبه الفلسفي الأخلاقي إلى بحث المواقف الكلامية والفلسفية لأهل النظر جاعلا من أخلاق التوحيد عنده منطلقا لنسج جملة من المسلّمات سعى من خلالها رفض التأويل ومكّنه من ذلك عجز أهل النظر عن الغوص عن المسائل الكلامية منها مسألة قدم العالم وخلقه... إضافة إلى تعدد معاني الألفاظ في اللسان العربي التي تبطل بدورها إقحام العقل في النص الديني حفاظا على سلامته من التشويه أو التحريف ليخلص بذلك إلى أن الأخلاق الإيمانية أساس قوي لإحداث تفاضل بين المؤولين فكان أهل العرفان أو الطائفة العالية كما سماها ابن العربي الأفضل كونها نجحت في التعامل مع قضية التأويل لأنها أخذت قلبها من الفكر والنظر لإيمانها بأن معرفة الحق لا تحصل بهما فوصف الشيخ الأكبر هذه الطائفة بأهل الظاهر الناجية عقائدهم تسليما منهم بأن العقل السليم إذا ما أحيط بالإيمان القوي تيقن بوجود خالقه وسلّم بقلب صاف مؤمن بنزاهته ووحدانيته رافضا اعتماد العقل في الدخول على العالم الرباني لاستحالة ذلك.

أستدل ابن العربي على فساد العقل في غياب الأخلاق من خلال جعلها شرط في وجوده مبرزاً صحة ذلك بأن العقل كلما فارقته الأخلاق توهم التطلع على الغيبات، وفشل في تذوق المعاني الروحية فضاع حظه من إدراك عالمه الحسي الواقعي لنسيان وظيفته الأولى التي خلق من أجلها التمييز والرؤية فيتوه عن الرشد والصلاح لتكون بذلك العقول في فلسفة ابن العربي الأخلاقية على أنواع متباينة منها ما هو عام للعامة - العقل الفطري-، ما هو خاص للخاصة - العقل الوهبي-، كما تميز لأهل الله الذين مكنتهم أخلاقهم حسب الشيخ الأكبر من جعل ظلمة الليل نور وسعادة عندهم حبا في الله وتقرباً منه فكان مقام فتوتهم، أخلاق عالية تزكيتهم وترفعهم عن غيرهم لذا أكد ابن العربي على أن التورع واجتناب الشبهة عنوان أخلاق أهل العرفان والتوحيد وآدابهم.

حصر ابن العربي جملة من الأعمال عددها بتسعة اعتبرها أمهات للخير ضرورية هي لكل سالك في طريق الله مصنفاً إياها إلى صنفين الظاهر منها كالسهر والجوع والعزلة والصمت وأخرى باطنة تبرز في العزيمة واليقين والتوكل والصبر ما جعل الفلسفة الأخلاقية عند الشيخ الأكبر مرآة تنعكس فيها أغلب القضايا الراهنة لمعرفة مدى صحتها والوقوف على نقاط ضعفها من مسألة التعليم والحداثة أين ثبت أن علة فشل مذاهب الأول وضياع أهداف الثاني هو افتقارهما للقيم الروحية فكان التعليم حسب الفلسفة الأخلاقية عند ابن العربي أساسه الأخلاق الموجهة للحركات التعليمية التربوية المبنية على التكافل الاجتماعي بين المعلم والمتعلم جاعلاً من التواضع والمودة عروة وثقة تربط بينهما ضف إلى هذا ثبت أن الأخلاق منطلق رئيسي للمشروع الحدائثي العربي بمجرد عرضها على الفكر الأخلاقي الأكبر ما دام أنها روح بالأصل مادة بالفرع ما يؤكد على إلزامية القيم الروحية كشرط للحداثة العربية بحكم أن طغيان المادة عليها هدم لسلم الأخلاق فيها فجعل حداثة عارية دون روح.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الفلسفة، ابن العربي، العقل، النفس، الشهوات، التوحيد،
التقوى، الزهد، الشرع، القلب، الإيمان.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

المشرف: أ.د. ساعد خميسي

الطالبة: سهام عرابية

ملخص بالفرنسية لرسالة دكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان:

فلسفة الأخلاق عند محي الدين بن العربي

Résumé:

Ibn Al-Arabi s'est lancé dans sa doctrine philosophique et morale de recherche. Dans les positions verbales et philosophiques des gens de vue et de discernement, et met de l'éthique du monothéisme un point de départ pour une série de concession , par lesquelles il a cherché à rejeter les curricula de cette catégorie de penseurs tels que l'interprétation. Et lui a permis de l'incapacité des personnes qui cherchent au submersion dans le paroles du Dieu, et ses Spécificités et Particularités d'une part.

Vu le manque des difficultés de contrôle des significations multiples de la langue arabe, il est même difficile aux paroles de la métaphore de donner la vérité, ce qui a pousser et incitant Ibn Al-Arabi à l'ablation de l'inculcation de l'esprit dans le texte religieux pour protéger son intégrité de la distorsion, Insistant sur le fait que l'éthique du monothéisme et l'uniformité est une base solide pour faire la différence entre le récitant des gens de haut gamme comme il est décrit par Ibn Al-Arabi.

Parce qu'elle a réussi à traiter et résoudre la question de l'interprétation parce qu'elle avait bouleversé son cœur de pensée et à considérer sa croyance que la connaissance de Dieu n'obtient pas en reconnaissant que le bon esprit et de mental sain, s'il est entouré d'une foi forte croit en l'existence de Dieu avec cœur pur.

C'est pourquoi Ibn al-Arabi réfute le fait que la philosophie a un rôle dans la connaissance de croire au Dieu et qu'elle l'accorde à l'impuissance des moyens de l'esprit, ainsi que l'humiliation qu'Ibn al-Arabi attribue à la corruption de l'esprit. Le paradoxe de l'éthique du monothéisme, soulignant la possibilité que la philosophie soit source de rationalité et de discrimination, à condition qu'elle soit entourée de cette moralité.

Ibn al-Arabi a souligné dans l'éthique du monothéisme la base de l'esprit sain en mettant en lumière les manifestations de la corruption et représenté dans l'illusion de la capacité de regarder l'invisible, et nous manquons de goûter les significations spirituelles, En plus de perdre sa chance à percevoir son vrai monde sensoriel pour oublier son premier travail pour lequel il a été créé et représenté dans le culte ; et la méditation aide à distinguer et corriger la vision, cet oubli qui aliène la raison de la rationalité et de la justice, de sorte que les esprits de la philosophie morale d'Ibn Arabi sont importants pour le public - l'esprit inné et ce qui est spécial pour l'esprit lunaire particulier.

Comme un privilège pour le peuple de Dieu, qui leur a permis l'éthique unifiée selon Ibn al-Arabi fait l'obscurité de la lumière de la nuit, et le bonheur dans leur amour de Dieu, et près de lui.

Donc, Ibn al-Arabi a souligné que l'évitement et l'évitement de la suspicion est le titre de l'éthique des gens de Tarfan et Tawhid, et leur étiquette.

Ibn al-Arabi a énuméré un certain nombre de travaux, neuf d'entre eux comme cadeaux aux mères pour le bien, nécessaire pour toutes les promenades dans le chemin de Dieu. Et une base solide sur laquelle le processus moral est construit, classé en deux catégories. Les actes apparents tels que la peur, la faim,

l'isolement, le silence et d'autres mystères se distinguent par la détermination, la certitude, la confiance et la patience.

permet selon Ibn al-Arabi de dessiner des contrôles pour l'éthique de l'uniformité apparente dans la loi, et l'unification, l'ascétisme, chaque fois que je rencontrais l'homme était capable de sauver son esprit, et renforcer son Seigneur révéler les faits.

C'est pourquoi la philosophie morale d'Ibn al-Arabi est un pilier fort nécessaire à la réalité arabe actuelle pour rectifier ses plus grands problèmes, tels que la modernité et l'éducation. Et que la grande pensée est un miroir dans lequel la plupart des questions actuelles sont reflétées.

Grâce à laquelle nous pouvons souligner la perte des objectifs de la modernité, et l'échec de l'éducation quand ils manquaient des éléments les plus importants des valeurs spirituelles, et morales.

Le projet moderniste arabe peut s'incarner s'il transcende le problème de l'oubli de l'aspect moral, en soulignant que l'esprit de modernité arabe de l'article original de la branche Et que les valeurs spirituelles sont en fait un prérequis dans cette modernité, surtout quand l'article éclipsait celui qui prônait par là pour toutes les valeurs. Et que les valeurs spirituelles sont en fait un prérequis dans cette modernité, surtout lorsque l'article accablait ceux qui le préconisaient pour toutes les valeurs, rendant la modernité arabe sans l'esprit et l'éducation selon la philosophie morale d'Ibn Arabi essence éthique dirigée vers ses mouvements éducatifs L'affection, l'humilité et le fondateur de la solidarité sociale entre l'enseignant et l'apprenant.

Mots clés :Ethique , Philosophie, Ibn al-Arabi, Esprit, soi, Désirs,

Unification, Piété, Ascétisme, Shara, Cœur, Foi .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

المشرف: أ.د. ساعد خميسي

الطالبة: سهام عرابية

ملخص بالإنجليزية لرسالة دكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان:

فلسفة الأخلاق عند محي الدين بن العربي

Abstract

Ibn al-Arabi launch and go ahead on his philosophical and moral doctrine of research. In the verbal and philosophical positions of the people of view, making the ethics of monotheism has a starting point for weaving a series of inoffensive peaceable, through which he sought to reject the process of this group of thinkers such as interpretation, and thus enable the people of sight to dive in the talk the self-God and his attributes for this part.

In difficulty and under control the meanings of the words of the Arabic tongue to the multiplicity of meanings, what is difficult task of taking the word out of tropeand metaphor to the truth, Prompting and pushed Ibn al-Arabi to invalidate the inculcation of the mind in the religious text in order to protect its integrity from distortion.

Surely and undoubtedly that ethics of monotheism is a strong basis to make a difference between the reciter was the people of the high range as the called Ibn al-Arabi, being successful in dealing with the issue of interpretation

because it abandoned the heart of thought, and consideration of the belief that knowledge of God does not get them by acknowledging thgem, that the mind if he is surrounded by strong faith, he is sure of the existence of God, and he recognizes with a pure heart and believes in his integrity and his unity, excluding the reliance of the mind to enter the lordly world for impossibility.

This explains Ibn al-Arabi refutation of the fact that philosophy has a role in knowledge of God, and so on to the senses of being susceptible to error, and the humiliation that Ibn al-Arabi attributed to the corruption of the paradoxical mind of the ethics of monotheism, stressing the possibility that philosophy is a source of rationalization and discrimination, provided that it is surrounded by this morality.

Ibn al-Arabi is determined to make the ethics of monotheism the basis of sound mind by shedding light on the manifestations of corruption, which is the illusion of the ability to look at the unseen, and we failed to taste the spiritual meanings, in addition to losing his luck in the realization of his real sense of reality to forget his first job created for it and represented in worship, meditation helps to distinguish, and correct vision, this oblivion that alienates the mind from rationality, and righteousness, so that the minds of Ibn al-Arabi moral philosophy on the types of what is important for the public the innate mind.

As a privilege to the people of God, who enabled them unified ethics according to the son of the arab to make the darkness of high morals, and lift them from others, so Ibn al-Arabi that the reluctance and avoid suspicion the title of the ethics of the people of gratitude and unification, and their etiquette.

Ibn al-Arabi enumerated a number of works, nine of them as gifts of good mothers, necessary for every walker in the path of God, and a strong foundation on which the moral process is built, classifying them into two categories: visible works such as fame, hunger, isolation, silence and other mysteries that stand out in determination and certainty, and trust in their integration enables Ibn al-Arabi to draw controls for the ethics of uniformity apparent in the law, unity,

asceticism, whenever the man was able to to save his mind, and strenghtem the lord revealed to him the facts, and reflected, for this reason is considered the moral philosophy od Ibn al-Arabi strong pillar needed the current Arab reality to rectify its biggest problems modernity, education, reflective thought mirror most of the current issues to know the validity, and to identify their weaknesses.

It is through this that we can emphasize the loss of the goals of the modernity and the failure of education when they lack the most important elements of spiritual and moral values. The Arab modernist project can be embodied if it transcends the problem of forgetting the moral aspect by asserting that Arab modernity is actually a spirit of the branche.

The truth is a basic condition in this modernity, especially when the article overwhelmed those who advocated it for all values, making Arab modernity bare without spirit and education is based on the moral philosophy of Ibn al-Arabi essence of ethics directed to his educational movements and education based on the pain Dah, humility, and founder of social solidarty between the teacher and the learner.

**Key word : Moral, Philosophy, Ibn al-Arabi, Mind, Self, Désires,
Monotheism, Piety, Asceticism, Shara, Heart, Faith.**